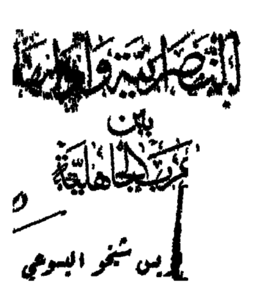
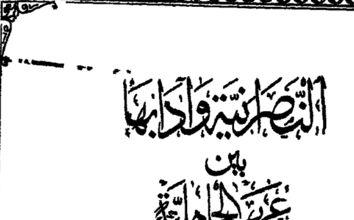


القسم الأول

في تاريخ النصرانية [illegible] في عهد الجاهلية

طبع في مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين في بيروت
سنة ١٩١٢



للاب لويس شيخو اليسوعي

القسم الأول

في تاريخ النصرانية وقبائلها في عهد الجاهلية



طبع في مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين في بيروت
سنة ١٩١٢

النصرانيّة وآدابها

بين

عرب الجاهلية

لمّا باشرنا قبل عشرين سنة بنشر تأليفنا الموسوم بشعراء النصرانيّة كان قصدنا ان نقدّم عليهِ فصلاً موسّعاً في النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة. لكنّ الانسان في التفكير والله في التدبير فاضطرّتنا الاحوال قبل انجاز الكتاب الى السفر الى البلاد الاجنبيّة حيث قضينا خمس سنين منقطعين الى دروس اخرى شغلتنا عن الشرق وعن العلوم الشرقيّة ولمّا انكفأنا راجعين الى الوطن انثالت علينا الاشغال من كلّ وجه حتى انصرف فكرنا الى همّ كل يوم بيومهِ وتسويف الوعد الى أجَل غير مسمّى

على أنّنا لم ننسَ تماماً وعدنا بل كنّا في زيارتنا للمكاتب العموميّة في اوربّة وابّان دروسنا الخصوصيّة ندوّن ما يحضرنا من ذلك ونعدّ الموادّ لهذا البناء املاً بتشييدهِ قريباً لا بل كنّا اذا ما سنحت الفرصة نسلف القرّاء من تعليقاتنا قطعاً تجدها في بعض مقالاتنا في المشرق كنصرانيّة غسّان (١: ٥١٩ و ٥٥٤) ودين امرئ القيس الشاعر الجاهلي (٨: ٨٨٦ و ٩٤٩) وغير ذلك ممّا جعلناهُ كتمهيد لمقال اطول

وزد على ذلك انّ التشديد الزائد في مراقبة المطبوعات كان يمنعنا عن ايضاح افكارنا كما كنّا نودّ فكان الامر يخمد همّتنا ويثبّط عزمنا

فاليوم والحمد لله قد توفّر [illegible] وتسهّلت الامور فيجوز لنا ان نستوفي هذا البحث على قدر الامكان. وزدنا على كتابهِ وسائل جديدة في ما سطّرهُ اصحاب الرحل الحديثة الى بلاد العرب وما نقلوهُ عن الآثار القديمة كالكتابات الحميريّة والنبطيّة والصفويّة واليونانيّة وكالتصاوير والتماثيل التي وُجدت في اطراف جزيرة العرب مع ما نُشر في هذه السنين الاخيرة من التآليف المفقودة في السريانيّة واليونانيّة والعربيّة وما كتبهُ المستشرقون في هذه الاكتشافات فراجعنا كل ذلك لنقتبس منهُ انوارًا نستضيء بها في بيّنات درسنا

على انّ البحث في النصرانيّة وآدابها تقتضي نظرًا سابقًا في جزيرة العرب واقسامها

واهلها يليه بحث ملخّص في اديان العرب القدماء قبل ظهور الدين النصراني وانتشاره في احياء العرب

١ جزيرة العرب : موقعها واقسامها واهلها

خصّ الله جزيرة العرب بموقع عجيب كان سبب غناها وجعل لها حصناً طبيعياً يصونها من سيطرة الامم الفاتحة بما بسط فيها من المفاوز والصحارى القحلة . فتراها متوسّطة بين آسية وافريقية ترتفق على سواحل بحر العجم والهند والقلزم من ثلث جهات وتزاحم من الشمال الشرقي الى الشمال الغربي بلاد العراق وما بين النهرين والشام ومصر . فكانت محاورةً لمهد البشر الاوّل تنظر الى نموّهم وترقّيهم وفتوحاتهم وربّما كانت وصلةً بينهم ومستودعاً لتجارتها لا انها لم تدعهم يزحفون عليها ليضربوا فيها اطنابهم وان فعلوا على رغم منها كان دخولهم في براريها كسحابة صيف لم تلبث ان تنقشع فيعود اهلها الى استقلالهم

جزيرة العرب مربّع مستطيل يمتدّ من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وهو في جنوبه اعرض منهُ في الشمال و يبلغ سطحهُ نحو ٣,٠٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربّع قسمها اليونان ثم الرومان من بعدهم الى ثلاثة اقسام : العربية الصخرية وكانت قاعدتها سلع (סלע) المسمّاة بتر (Petra) تمتدّ خصوصاً في شبه جزيرة سينا . ثم العربية القفرة غير المأهولة اخصّها المفازات الواقعة في واسط العرب في نجد وتهامة واليمامة الى جهات عمان والمهرة . ثم العربيّة السعيدة وهي اليمن خصبها

امّا العرب فلم يعرفوا هذا التقسيم وانّما قسموا بلادهم الى عدّة انحاء اخصها صحارى نجد في اواسطها يليها الحجاز مشرفاً على البحر الاحمر بينهما تهامة . وفي الجنوب الشرقي اليمن وحضرموت ومهرة في شمالها البحرين وعمان على سواحل بحر الهند وفي شمالها الغربي الجوف واليمامة . ثم هجر او الاحساء على سواحل خليج فارس ثم العراق العربي وبوادي الجزيرة الى بادية الشام شرقي دمشق حيث حوران واللجا والصفا والبلقاء وجولان في برّية طور سينا

اما سكّان جزيرة العرب فقد قدموا اليها من الشمال واستوطنوها وكانت زحفات القادمين تتوالى فتدفع القبائل الجديدة امامها العشائر السابقة الى ان وجد هؤلاء البحر في وجههم وربّما خاضوه اذا وجدوا فرصة تمكّنهم من قطعه كما فعلوا في الحبشة

وفي مصر في عهد السُّلالة المعروفة بالرعاة (الهيكسُس) . وهذه القبائل لم تكن كلها من اصل واحد فكان بينها قوم من ابناء كوش المنتمين الى كنعان بن حام فسكنوا خصوصاً بعض جهات اليمن . الّا انّ معظمهم ينتسبون الى يقطان او قحطان من ذرّيّة سام . وقد فرق الكتاب الكريم بينهم (مزامير ٧١ : ١٢) فدعا الاوّلين سبا (סבא) والاخرين شبا (שבא) . و يضاف الى الساميين منهم ابناء اسماعيل بن ابراهيم اخصّهم النبطيّون والقيداريّون وابناء قطورة سريّة ابراهيم ومنهم المديَنيّون وكانت سُكنى هؤلاء في بادية الشام وشرقي بحر لوط وفي شبه جزيرة سينا وقسم من الحجاز

٢ اديان العرب قبل النصرانيّة

ليس بحث أغمض من تعريف اديان العرب في الجاهليّة . وان استفتينا كتبة الاسلام في ذلك وجمعنا كل ما اثبتوهُ في تآليفهم التي نجت من مخاليب الزمان لما زاد مجموعها على اسطر قليلة . وكان ابن الكلبي ألّف كتاباً في اصنام العرب الّا انّ كتابهُ قد ضاع ولحسن الطالع قد نجا معظمهُ بما نقلهُ عنهُ اصحاب معاجم اللغة وياقوت في معجم البلدان . وكذلك روى الحاج خليفة في كشف الظنون (٥ : ٤٤) كتاباً آخر في الاصنام للجاحظ وهو ايضاً مفقود وقد جمع بعض المستشرقين كلودلف كراهل (L. Krehl : *Ueber die Religion der vorislamischen Araber*) والعلّامة فِلهوسن (Wellhausen : *Reste arabischen Heidentums*) ما عثروا عليهِ من ذلك . على انّ هذه المنقولات لا تشفي غليلاً وكثيرًا ما تجدها مضطربة متناقضة فلا تعرف الغثّ بينها من السمين . ولعلّ اوسع ما جاء في ذلك ما كتبهُ الشهرستاني في الملل والنحل واحمد بن واضح المعروف باليعقوبيّ وهذا نصّهُ (طبعة ليدن ج ١ ص ٢٩٤—٢٩٦) :

« وكانت اديان العرب مختلفة بالمجاورات لاهل الملل والانتقال الى البلدان والانتجاعات فكانت قريش وعامّة ولد معدّ بن عدنان على بعض دين ابراهيم يحجّون البيت ويقيمون المناسك ويقرون الضيف ويعظّمون الاشهر الحرم وينكرون الفواحش والتقاطع والتظالم ويعاقبون على الجرائم فلم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاة وكان آخر من قام بولاية البيت الحرام من ولد معدّ ثعلبة بن اياد بن نزار بن معدّ . فلمّا خرجت اياد وليت خزاعة حجابة البيت فغيّروا ما كان عليهِ الامر في المناسك حتى كانوا يفيضون من عرفات قبل الغروب ومن جمع بعد ان تطلع الشمس . وخرج عمرو بن لُحَيّ واسمُ لحي ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر الى ارض الشام وبها قوم من العمالقة يعبدون الاصنام فقال لهم : ما هذه الاوثان التي اراكم تعبدون . قالوا :

هذه الاصنام نعبدها فنستنصرها فتنصرنا ونستسقي بها فتسقى . فقال . الا تعطوني منها صنماً فاسير به الى ارض العرب عند بيت الله الذي تفد اليه العرب . فاعطوهُ صنماً يقال لهُ هُبل فقدم به مكّة فوضعهُ عند الكعبة فكان اوّل صنم وضع بمكّة ثم وضعوا به إساف ونائلة كل واحد منهما على ركن من اركان البيت . فكان الطائف اذا طاف بدأ باساف فقبّلهُ وختم به ونصبوا على الصفا صنماً يقال لهُ « مجاور الريح » وعلى المَرْوة صنماً يقال لهُ « مطعم الطير » وكانت العرب اذا حجّت البيت فرأت تلك الاصنام سألت قريشاً وخزاعة فيقولون : نعبدها لتُقرّبنا الى الله زُلفَى . فلمّا رأت العرب ذلك اتّخذت اصناماً فجعلت كل قبيلة لها صنماً يصلّون لهُ تقرّباً الى الله فيما يقولون . فكان لكلب بن وبرة واحياء قضاعة ودّ منصوباً بدومة الجندل بجرش . وكان لحمير وهمدان نسر منصوباً بصنعاء وكان لكنانة سُواع . وكان لغطفان العُزّى وكان لهند وبجيلة وخثعم ذو الخَلَصة . وكان لطيّء الفُلس منصوباً بالحبس . وكان لربيعة واياد ذو الكعبات بسنداد من ارض العراق وكان لثقيف اللات منصوباً بالطائف . وكان للاوس والخزرج مناة منصوباً بفَدَك ممّا يلي ساحل البحر . وكان لدوس صنم يقال لهُ سعد . وكان لقوم من عُذرة صنم يقال لهُ شمس . وكان للازد صنم يقال لهُ . رئام »

واذا اضفت الى الاصنام المذكورة في هذه النبذة اسماء آلهة اخرى ورد ذكرها في المعاجم وفي بعض التواريخ والشروح كرضا ومناف وجَلْسد وسعير والقصير بلغ بك العدّ الى نحو ثلاثين صنماً . واذا بحثت عنها وعن صفتها وخواصها والامكنة التي شاعت فيها عبادتها وطرائق مناسكها وجدت الكتبة يتباينون ويتناقضون فلا يكاد يعوَّل على كلامهم . ولعلَّ كثيرًا من هذه الاصنام لم تُعبَد في جزيرة العرب كودّ وسُواع ويغوث ويعوق ونَسْر الذين يقال عنهم انهم من آلهة قوم نوح (اطلب سورة نوح ع ٢٢—٢٣) فاين هذا وما زعم ابن اسحاق وابن هشام انَّ في الكعبة كان عدد الاصنام ٣٦٠ على عدد ايّام السنة

وقد سعى المستشرقون ان يسدّوا هذا الخلل فاستخرجوا اسماء لاصنام أُخر عربيّة من اعلام الرجال المسبوقة باسم عبد كعبد الاسد وعبد تيم وعبد الحارث وعبد الدار وعبد عمرو وعبد المدان وعبد المطلب وعبد الملك وزعموا انَّ المضاف الى عبد مدلولهُ صنم من الاصنام . وكذلك الاسماء المسبوقة بامرء كامرئ القيس وامرئ اللات او المختومة باسم ايل كشراحيل وحبيل وشهميل وقسميل . ومنها اعلام عربيّة وردت في التواريخ اليونانيّة او الاسفار المقدسة او الكتابات النبطيّة مركّبة من الفاظ دالة على الاله مثل Ἀρχαμηλος و Ζαβδιηλ و שלמה و משואל وغير ذلك

فهذه الأعلام وغيرها ايضاً ممّا يمكن جمعها من المعجمات والآثار ولو ثبت انّها دالّة

على أصنام العرب ومعبودات القبائل الّا انّها لا تفيدنا قليلًا لمعرفة خواصّها وسدنتها والامكنة والازمنة التي شاعت فيها عبادتها وطرائق اكرامها والمناسك الخاصّة بها. وفي بعض رواياتهم عنها ما لا يقبلهُ العقل السليم ويردّهُ النقد الصحيح كقول مؤرخي العرب عمومًا بانّ اوّل من اتى بالاصنام من بلاد الشام وجعلها في الكعبة انّما هو عمرو ابن لحي رئيس بني خزاعة لمّا طرد بني جرهم منها وتولّى مع قومهِ تدبيرها. فلدينا كما سترى شواهد تبطل هذا القول. ومثلهُ مزاعم أخرى لا بدّ ان تُعرض على محكّ الانتقاد فلا تُقبل الّا بالبرهان لان مؤرخي العرب لم يدوّنوا رواياتهم الّا بعد الاسلام بزمن طويل فكتبوا ما تناقلتهُ الالسن شفاهًا فتضاربت رواياتهُ واختلفت صورهُ

فهلمّ نروي خلاصة ما ورد من ديانة العرب في اقدم الآثار الحجريّة او في التواريخ القديمة مستندين في ذلك الى ما كتبهُ اوثق الكتبة مع ما جمعناهُ في مطالعاتنا العديدة. وهذا اخصّ التآليف الحديثة في هذا الصدد:

١ جزيرة العرب قبل محمّد في الآثار للعلّامة ف. برجه — Berger (Ph.) : *L'Arabie avant Mahomet d'après les Inscriptions.*

٢ اديان العرب في الجاهلية لبرغمان — Bergmann : *De Religione Arabum anteislamica.*

٣ العرب في الشام قبل الهجرة للعلامة دوسو — Dussaud (R.) : *Les Arabes avant l'Islam en Syrie.*

٤ سُواع والعُزَى والكتابات اليمنيّة — Glaser (E.) : *Suwâ' und al-'Uzza.*

٥ مقدمة كريمه على تاريخ محمّد — Grimme (H.) : *Mohammad.*

٦ ابحاث عن الشرق الاسلامي لهرتمان — Hartmann (M.): *Der islamische Orient, II, Berichte und Forschungen.*

٧ ديانة عرب الجاهليـة للالماني كراهل — Krehl (L.) : *Ueber die Religion der vorislamischen Araber.*

٨ تاريخ الشرق القديم لفرنسوا لونرمان وبابلون — Lenormant (Fr.) et Babelon. *Histoire ancienne de l'Orient*, 9ᵉ éd.

٩ العرب القدماء للعلّامة نولدك — Noeldeke (Th.) : *Arabs (ancients)* dans « ENCYCLOPEDIA OF RELIGION AND ETHICS »

١٠ تاريخ العرب لكوسان دي برسفال — Perceval (C. de) *Essai sur l'Histoire des Arabes avant l'Islamisme.*

١١ بنو لخم في الحيرة لروتشتين — Rothstein (G.) *Die Dynastie der Lahmiden in al-Hira.*

١٢ بقايا الوثنيّة بين قدماء العرب للمستشرق فلهوسن Wellhausen (J) : *Reste arabischen Heidentums*, 2e éd.

هذا الى مقالات متعددة ظهرت في المجلّات الاسيويّة الفرنسويّة والالمانيّة والنمساويّة وفي نشرات اخرى شرقيّة كالنشرة الساميّة وغير ذلك

*

كان زعم رنان زعماً غريباً واراد ان يثبتهُ بالادلة الوضعيّة لولا انّ الاكتشافات الحديثة جاءت كلها مزيّفة لزعمهِ ذهب المذكور الى انّ الشعوب الساميّة عموماً والعربيّة خصوصاً كانت تقول بالتوحيد لا عن وحي خاصّ بل عن غريزة لأنّ عقل الساميين على زعمهِ مطبوع من اصلهِ على البساطة فيوافق توحيدُ الله بساطةَ عقله. وكانت غايتهُ من ذلك ان ينكر الوحي بالاله الواحد الى بني اسرائيل

فالآثار العربيّة قد كذّبت هذا الزعم كما كذّبتهُ اكتشافات بقيّة البلاد الساميّة. فانّ العرب في الجاهلية عاشوا في الشرك مدّة قرون عديدة. اما شركهم فكان تأليهَ قوى الطبيعة اجمالًا والانوار العلويّة خصوصاً. ولا عجب فانّ قوماً كانت عيونهم ليلًا مع نهار تشخص الى الاجرام النيّرة لم يلبثوا ان عظّموها حتى تحوّل تعظيمها الى اكرام وسجود لظنّهم انّ فيها قوى فائقة الطبيعة ثم انّ العرب قبل توغلهم في الجزيرة كانوا جاوروا الكلدان واخذوا منهم عبادة النجوم. ومما لا شكّ فيهِ انّ عرب اليمن كانوا على ديانة الصابئين يعبدون الكواكب والسيّارات السبع. قال الشهرستاني في الملل والنحل (طبعة لندن ٤٣١) : « اما بيوت الاصنام التي كانت للعرب والهند فهي البيوت السبعة المعروفة المبنية على السبع الكواكب » يريد بالعرب اهل اليمن خصوصاً

❊ الشمس ❊ بل عمّت عبادة الكواكب كل انحاء العرب فكانوا يعبدونها في شمالي جزيرة وفي عربيه وجنوبها غربي على صور شتى وتحت اسماء مختلفة ولما كانت الشمس هي النيّر العظيم فان عبادتها بين العرب وقعت على نوعين (١ تارةً يؤنثونها وتارةً يذكّرونها ولدينا على صحتهِ شواهد وافية في القرن السابع قبل المسيح فانّ بين الكتابات التي وُجدت في [illegible] عند حصاره على مدينة دومة الجندل وظفره بملكتها التي كانت كاهنة [illegible] شمس (A. Layard: *Inscriptions*, p. 72).

١) وفي [illegible] ان شمساً كان صنماً لبني تميم ولعذرة وكان له بيت وكانت [illegible] وكانت سدانته في بني اوس . الّا انهم لم يصيبوا [illegible]

ومن الشواهد القديمة السابقة لعهد المسيح شهادة هيرودوتس الذي يصرّح في تاريخهِ (ك ٣ ف ٨) بانّ العرب كانوا يعبدون اوروتال (Οὐροτάλ) وهي لفظة مركّبة في اللغات الاراميّة من (אור) اي نور و(העלה) كالعربية تعالى من فعل (עלה) اي علا والمعنى النور المتعالي وارادوا بهِ الشمس . والدليل عليهِ انّ هيرودوتس بعد ذكرهِ اوروتال اردف بقولهِ « وهو ديونيسيوس او بخوس » الذي كان عند اليونان اله الشمس . وكرَّر ذلك الجغرافي استرابون (Strabon, XVI, 741) والمؤرخ اريان (Arrien, VII, 20) ومثلهم اوريجانوس في القرن الثالث للمسيح في ردّه على كلسوس (Origenes : *contra Celsum*, V, 37) . وكان النبطيّون يعبدون الشمس عبادةً خاصّة وكان لهم في عاصمتهم سلَع (Petra) معبد كبير لاكرامها . وانما كانوا يدعونها باسم آخر وهو ذو الشَرى (Δουσάρης) اي الاله المنير وقد ورد اسمهُ مرارًا في كتابات عيون موسى ومدائن صالح وطور سينا (١) . اما كون ذي الشرى يراد بهِ الشمس فالامر واضح من قول استرابون الذي يؤكّد انّ النبطيين يعبدون الشمس (Ἥλιος) . وكانوا جعلوا عيدها في ٢٥ ك ١ كما افادنا القدّيس ابيفانيوس في كتابهِ عن الهرطقات (Epiphanius Hares, 51) . وزاد مكسيموس الصوري انّ النبطيين كانوا اتخذوا صنماً لذي الشرى وهو حجر اسود مكعّب علوُّهُ اربعة اقدام وعرضهُ قدمان (Maximus Tyr., c 38).

ومن الاسماء التي شاع بها اسم الشمس في جهات العرب واكرموها على منطوقه « ذو الشارق » و « المحرّق » وكانوا يصرّحون عن اكرامهم لها بان يتسمّوا باسمائها اذ وجدوا بين اسماء العرب مَن دعوا باسم عبد الشمس وامرئ الشمس وعبد المحرّق وعبد الشارق ومن صنام جنوبي العرب « الذريح » ارادوا به ايضاً الشمس الطالعة

❊ القمر ❊ ليس لدينا نصّ صريح يوءه بعبادة العرب للقمر الّا ما يقال عن عبادة بني كنانة (Bergmann, I) وكذلك قد عبده الحميريّون وبقيّة الصابئين مع السيّارات السبع . بل نرجح ان عبادتهُ شاعت في غير انحاء من الجزيرة وربّما جمعوا بينهُ وبين الشمس فعبدوهما معاً

❊ العزّى ❊ ومن اشهر معبودات العرب التي شهد لها قدماء الكتبة من يونان ورومان وغيرهم اللات يقول كتبة العرب (طلب معجم البلدان لياقوت ٤ : ٣٣٦-٣٣٧) انّها كانت

(١) وفي معجم البلدان لياقوت انّ ذا شرى كان صنماً لدوس وكانوا قد حموا لهُ حمى

صخرة بيضاء مربعة تعبدها ثقيف في الطائف وكانوا اتخذوا له بيتاً فطافوا بهِ وجعلوا له سدنةً. واليوم قد اجمع الاثريون على انَّ اللات هي الزُّهرة. ولنا على ذلك شهادة هيرودوتس المؤرخ. قال في تاريخهِ (ك ١ ف ١٣١): ان العرب يعبدون الزهرة السماوية Ἀφροδίτη Οὐρανία وهم يدعونها أليتّا (Ἀλίττα) وقد اصلح اسمها في محلّ آخر (ك ٣ ف ٣) فدعاها الإلات (Ἀλιλάτ) وهو اختصار الالاهت كما اختصروا الاسم الكريم الاله فقالوا الله. ثم اختصروا الالاتِ فقالوا: اللات. وكانت اللات معبودة في كثيرٍ من جهات الجزيرة ليس الطائف فقط كما زعم كتبة العرب فانَّ الاثريين وجدوا كتابات عديدة ورد فيها ذكر اللات ولا سيما في بلاد النبط في حجر وصلخد والبصرى حيث كان لها هيكل وفي انحاء حوران وحتى في تدمر. وتدعى هناك بالقاب تدلّ على مقامها كاللات العظمى وأمّ الآلهة. وكانوا يضيفون الى اسمها اسم المكان الذي تُكرم فيهِ فيقولون « لات صلخد » و« لات حبران » الخ

ودخل اكرامها بين اهل المدر وبين سكنى حوران المتكلمين باليونانيّة فنقلوا اسمها الى اليونانيّة على صورة « اثيني » (Ἀθηνᾶ) وهي عند اليونان إلهة الحكمة (Minerve) لكنّ صورها واوصافها في الكتابات القديمة تثبت على كونها الزُّهَرة (Vénus). ومّما يدلّ على انتشار عبادتها بين العرب كثرة الاسماء المركّبة من اسمها كوَهبلات وتيم اللات وعمرو اللات وزيد اللات وغيرها ايضاً مما وُجد في الآثار والاعلام القديمة

وعُرفت الزهرة باسماء اخرى على مُقتضى احوال ظهورها مساء بعد غيوب الشمس او صباحاً قبل طلوعها فيدعون نجمة المساء عَثَر وهي ايضاً استار او عشتر (Astarté) او عَثَرعَتَا (Atargatis) اما نجمة الصبح فشاع اسمها العُزّى اي الالهة السامية. وجاء ذكرها باسم كوكب الحُسن في ميامر اسحق الانطاكي (ص ١: ٢٤٧) من كتبة اوائل القرن السادس وصرّح بانها هي الزهرة. واخبر پروكوپيوس المؤرخ في القرن السادس انّ المنذر صاحب الحيرة ضحّى للعُزّى ابن عدوّهِ الحارث ملك غسّان وكان في يدهِ كأسير. وذكر العزّى قبلهُ القديس افرام السرياني والقديس ايرونيموس. ثم روى القديس نيلوس من شراف القسطنطينيّة خبر ابنهِ الذي اسرهُ عرب البادية وارادوا تضحيتهُ لاهتهم العزّى اي الزهرة عند طلوعها صباحاً اولا انّ النوم تثاقل

عليهم فنجا الولد وذلك نحو السنة ٤١٠ للمسيح. وفي تواريخ السريان انّ احد ملوك الحيرة ضحّى للعزّى عدداً من البتولات المسيحيّات. وكان كثير من العرب يتسمّون باسمها فيُدعون « عبد العزى ». ويظنّ العلّامة نولدك انّ الغريّين او الطربالين اللذين كان المنذر في يوم شؤمهِ يصبُّ عليهما دم اوّل وافدٍ اليهِ انما كانا رمزًا الى العزّى (١

ومن اسماء العزى ايضاً المناة كأنهم دعوها بذلك لسطوتها (٢ . وعلى رأي ياقوت (٤:٦٥٢) انّها كانت من الاصنام التي اتى بها عمرو بن لحي وانّها اقدمُها. وقال في محلّ آخر (٤:٣٣٧) انّ اللات أُخذت من مناة. وروى عن ابن الكلبي (٤:٦٥٢) انّ مناة كانت صخرة وهذا كلّهُ ينطبق على صورة العزى واللات السابق ذكرهما وكما دعوا عبد العزى سمّوا ايضاً عبد مناة وكان اخصّ اكرام مناة في هذيل قريباً من مكّة وفي يثرب. وكانت قبائل الازد وغسّان قبل تنصُّرها تعبدها (ياقوت ٤:٦٥٢)

ومن اسماء الزهرة ايضاً « كبر » ذكرهُ افتيموس الكاتب اليوناني (Pocock, 21) وقال انّها من معبودات العرب وانّ كبر (χαβαρ) هي الزهرة او نجمة الصبح . ودعاها قدرينوس المؤرخ كُبَر (χουβαρ) (٣

وكان اهل الجاهلية عموماً ولا يُستثنى منهم العرب يجعلون الآلهة ازواجاً لكل ذكرٍ انثاهُ فكان لإلهة الشمس تِرْبُها وهو البعل من اصنام العرب ايضاً كان مكرّماً في شبه جزيرة سينا وتَسمّى بهِ العرب عبد البعل واوس البعل وربّما اشاروا بهِ الى الشمس . وكان ذكَر العُزّى الاله « عزيز » الذي وُجد اسمهُ في عدّة كتابات في جهات الرها وحوران. وكان ذكَر اللات « اللاه » وجدوا اسمهُ في آثار كتابيّة . وكان لعَتَر زوجها وهو الاله « مونيموس » الذي يُذكر مع « عزيز »

وممّا يلحق بعبادة الكواكب والنيّرات العظمى عند عرب الجاهليّة اكرامهم لزُحَل

---

١) وافاد الشهرستاني في الملل والنحل (ص ٤٣١) بانّ قصر غمدان الشهير الذي كان في صنعاء انما كان بيتاً على اسم الزهرة

٢) اطلب دوسو « العرب في الشام قبل الاسلام » (ص ٢٣١)

٣) اطلب ايضاً تاريخ نيقيت (Nicetas) في مجموع اعمال آباء اليونان (Migne, PP. GG. t. 140, col. 105-132) ويزعم بلوشه (Blochet) ان (χαβαρ) تصحيف عطية كعبة . اطلب كتابه (Blochet : *La culte d'Aphrodite Anahita chez les Arabes du Paganisme*, Paris, 1902)

والشِعْرى والدَبَران والجوزاء او الجبّار والثريّا يُستدلّ عليه من بعض اقوالهم او من أعلامهم كعبد الثريّا وعبد نجم وعبد الجبار. وكذلك تعظيمهم لبعض المظاهر الجويّة كتعظيم الاله قُزَح الذي كان يُكرَم قريبًا من مكّة. وقد افادنا يوسيفوس الكاتب في كتابه العاديّات اليهوديّة (Ant. XV, 255) ان عرب آدوم كانوا يكرمون الهًا يدعونهُ (Koζé) ورأْيُ العلماء انهُ قُزَح المذكور واليهِ نسبوا قوس الغمام

وكانوا يدلّون على آلهتهم بنعوت شتّى فمن اصحاب الاسفار الحديثة في اليمن وفي جهات الصفا كغلازر (Glaser) ودوسو (Dussaud) وجدوا في الكتابات الحميريّة والنبطيّة ذكر تقادم لآلهتهم فنها الاله مالك والاله رحمان والاله رحيم والاله عزيز السابق ذكرهُ. وربّما نسبوا آلهتهم الى بعض لامكنة التي كانوا يُكرَمون فيها مثاله ذو الشرى وذو خَلَصة وذات السلام

ومن الاصنام المذكورة في الكتابات الحجريّة وفي بعض الآثار القديمة والاعلام التاريخية موصوفاتٌ شتّى تدلّ على اسماء معاني كالخصب والسعادة والغنى والعزّ منها الاله جَدّ والاله سَعد والاله رُضا والاله عُزى والاله وَدّ والاله مَناف فهذه كلها كان العرب يكرمونها ويتفاءلون بها وينتسبون الى عبادتها فدَعوا باسمائها عبد الجدّ وعبد الرُضا وعبد ودّ وعبد مناف. وجاءت اسماؤها جميعًا في الكتابات المكتشفة حديثًا. ويقول الكتبة المسلمون ان اهل دومة الجندل كانوا يكرمون صنمًا على اسم ودّ (ياقوت ٤ : ٩١٣)

وللعرب صنف آخر من الشرك شاع عند أُمم كثيرة وهو تكريمهم لمواليد الطبيعة (fetichisme) من جمد ونبت وحيوان. فمن آثار تعظيمهم للجماد اكرامهم لحجارة بيضاء او سوداء كانوا يوقعونها موقع التجلّي للقوات العلويّة كانت تُكرم في بعض جهات اليمن والحجاز وبلاد النبط. وكان ذلك شائعًا عند غيرهم من اهل الشرق. فان هيكل الشمس في حمص كان محتويًا على حجر اسود يمثل اله الشمس وكان هليوغبَل سادنًا لهُ قبل ان يتولى التدبير كقيصر رومانيّ. وكان ذو خلصة مروةً بيضاء

ومن آثار اكرامهم للجماد الانصابُ وهي حجارة كانوا ينصبونها في انحاء بلادهم ذكرًا لآلهتهم ويصبّون عليها الزيت او الأَقط او السمن او يطلونها بدم الذبائح. ولعلّهم

اقاموها في بعض المواطن كتذكار لحادث جليل ارادوا تخليده بينهم فأكرمها الأخلاف وعظَّموها

وكذلك كانوا يقيمون المناسك لبعض الاشجار كالنخل. وقد روى الكتبة كياقوت وابن خلدون ان العزى كانت تكرم في نجران على صورة النخلة. وكذلك في نخلة اليمانية مكان قرب مكة (ياقوت ٤ : ٧٧٠) ومنها ذات انواط قال ياقوت (١ : ٣٩٣) : « انها شجرة خضراء عظيمة كانت الجاهليَّة تأتيها كلَّ سنة لها فتعلّق عليها اسلحتهـا وتذبح عندها وكانت في جوار مكة ». وقد بقي شيءٌ من هذه الاكرام الاشجار حتَّى يومنا في امكنة حيث يعلق بعض جهَّال العرب وغيرهم اخلاقاً واسمالاً من الخرق في اغصان بعض الاشجار لينجوا من الحمَّيات (١

وكما عبد اهلُ الجاهليَّة الجماد والنبات عبدوا ايضاً بعض الحيوانات والطيور منها النسر الوارد ذكره في القرآن (٧١ : ٢٣) مع ودّ وسواع ويغوث. وممن شهد على كون نسر من معبودات العرب كتاب التلموذ لليهود (في فصل عبوده زارا) وكتاب تعليم الرسول عدي في القرن الثالث للمسيح وكلاهما يدعوه باسمه الآرامي « نشرا » (ܢܫܪܐ) وقد امتدت عبادة النسر بين الآراميين. ومنها « عَوف » وهو اسم طائر صيَّاد واحد اسماء الاسد ورد ذكرهُ كاله في الاعلام فقالوا عبد عوف. وزعم البعض ان اسماء القبائل كاسد وغر وكلب كانت تدلّ سابقاً على بعض عبادة يقدّمها اصحاب القبائل لهذه الحيوانات. وقد بقي ايضاً اثر هذه العبادة في خدمة بعض الطيور والاسماك في انحاء الشرق كالرها وحلب وطرابلس فانَّا رأينا ذلك بالعيان

هذا نظر اجمالي في آلهة العرب ومعبوداتهم. ويلحق به عدَّة ابحاث يلزمنا الكلام عنها

(المقامات الدينيَّة) العرب امَّا اهل وَبَر وامَّا اهل مَدَر فكان يصعب على القسم المتبدّي منهم ان يتخذوا امكنةً ثابتة لاقامة عباداتهم ومن ثم كانت الفرائض عندهم بسيطة يقيمونها حيثما حلُّوا امَّا بتوجيه نظرهم الى الاجرام الفلكيَّة مع ذكر آلهتهم وامَّا ببعض اعمال تقويَّة من سجود ودعاء وتقادمُ لاسيما في بعض اطوار حياتهم المهمَّة كمولد بنيهم وتزويجهم ودفن موتاهم وفي بعض امكنة عالية يدعونها المشارف. وكان أكرامهم

١) اطلب رحلة الاب جوسن الدومنيكي الى بلاد مواب (Janssen: *Coutumes des Arabes au pays de Moab* p. 330-337)

لمواليد الطبيعة يوافق ايضاً حالتهم البدويّة فيجدون منها شيئاً اينما ساروا كالانصاب وبعض الاشجار والطيور التي يعينونها ويزجرونهـا على مقتضى حركاتها يميناً او شمالاً. وكذلك يتيمّنون بالصيد السانح ويتشاءمون بالبارح. وكان الاب في عائلتهِ والشيخ في قبيلتهِ يقومان مقام الكهنة ويتولّيان اجراء المشاعر الدينيّة باسم ذويهم

امّا اهل المدَر وبالاخصّ الذين بلغوا منهم درجةً راقية من التمــدُّن كالحميريين والنبطيين ودول الحيرة وكندة وغسّان فما كانوا ليكتفوا بهذه العبــادة البسيطة وانما خصّصوا لدياناتهم امكنةً كانوا يفردونها لذلك امّا بمضارب يزينونهــا باصناف الجلود والاقمشة على شكل قبّة العهد في بني اسرائيل وامّا بتشييد بعض الابنية لهذه الغاية وكان بعضهــا فخيماً اثيرًا كغمدان وبعض هياكل النبط ممّا ظهرت آثاره في هــذه السنين الاخيرة في مدينة سلَع وجوارها . وقد نقل الكاتب اليوناني ديودورس الصقليّ (Diod. III, 45) عن السائح الاقريطشي اغاثرشيدس في القرن الثاني قبل الميلاد وصفاً لثلاثة هياكل زارهــا في جزيرة العرب قريباً من سواحل البحر. وربما دعوا هذه الهياكل بالمساجد فان لفظة المسجد قديمة وردت في كتابات النبط المكتشفة حديثاً

ومن مقاماتهم الدينيّة (الكعَبات) وهي بيوت مربّعة مرتفعة على اشكال الكعاب كانوا يفرزونها لديانتهم منها ذو الكعَبات في شمالي الجزيرة لبني اياد ومنها كعبة نجران والكعبة اليمانيّة حيث كان بنو خثعم يعبدون صنمهم المسمّى ذا الخلصة مع غيره من الاصنام . واشهر منها الكعبة الحجازيّة في مكّة واوّل من ذكرها في التاريخ ديودورس الصقلي في القرن الاوّل قبل المسيح حيث قال (ك ٣ ص ٢١١): « انّ في جهات العرب المجاورة لبحر القلزم هيكل يبالغ في اكرامهِ كل العرب »: وربّما سمّوا كعباتهــم بالبيوت لانها كانت مكعّبةً . وكثر عدد هذه الهياكل في بعض الامكنة حتّى ان بلينيوس الطبيعي في القرن الثاني المسيح عدّ منها ستين في مدينة سبا حاضرة اليمن و٦٥ في تمنة مدينة بني غطفان

وكانوا يتخذون لهذه المقامات (حرماً) اي يجعلون لها دائرة تحفظ حرمتها ولا يجوز لاحد انتهاكها وكان حرَم مكة اشهرها. وكذلك كان يخدم هذه المقامات رجــالٌ يدعونهم كهنة او كهّاناً ويريدون بهم الخبيرين بالاحوال الماضية والعرّافين وربما دعوهم

سَدَنة اي خدَماً للمقدس لقيامهم بحاجاتهِ وحاجات زوّاره. ومنهم من تسمّى باسم هذه الامكنة كعبد الكعبة وعبد الدار

وكانوا يزيّنون تلك الهياكل بالصاوير المنقوشة على جدرانها او ينصبون فيها التماثيل للاصنام على هيئات شتّى. منها حجارة منحوتة بيضاء او سوداء ومنها صخور من العقيق وبعض الحجارة الكريمة او الصخور العاديّة كسعد معبود بني كنانة الذي فيه يقول الشاعر:

اتينا الى سَعْدٍ ليجمعَ شَمْلَنا فشتّتَنا سَعْدٌ فلا نحنُ من سَعْدِ
وهل سَعْدُ الّا صخرةٌ بتَنُوفةٍ من الارض لا تدعو لغيٍّ ولا رُشْدِ

ومن الاصنام ما كان يُمثّل اشخاصاً بعينهم يجعلون في ايديهم شارات او امتعة تدلُّ على خواصهم الموهومة كودّ وهُبَل جعلوا في ايديهما اقواساً وازلاماً. وكالشمس اتّخذوا لها صنماً بيدهِ جوهر على لون النار وجعلوا لها بيتاً حجّوا اليهِ وكذلك اتّخذوا للقمر صنماً على شكل العجل وجعلوا في يدهِ جوهرةً. ونصبوا ايضاً اصنامهم في خارج الهياكل بقربها او على مشارف ليراها الناس كنائلة واساف ومناف

وكانوا يكرمون تلك الاصنام بمناسك مختلفة منها (حجّهم) اليها افراداً او زرافات. وكانوا اذا اغتسلوا او توضّأوا يطوفون حول الصنم دفعات معدودة ويستلمون الصنم او يقبلونهُ ويتقرّبون منهُ بتلبية معلومة قد دوّن منها الكتبة بعضها كتلبية ذي الكفّين صنم دوس رواها ابن حبيب: «لبّيك اللهمَّ لبّيك لبّيك انّ جرهماً عبادك. الناس طُرُف وهم تلادك. ونحن اولى منهم بولائك». وروى تلبية نَسر: «لبّيك اللهمّ لبّيك لاننا عبيد. وكلّنا ميسرة وانت ربنا الحميد». وتلبية شمس صنم تيم: «لبّيك اللهمَّ لبّيك لبّيك ما نهارنا نجرُّهُ. ازلامهُ وحرُّهُ وقرُّهُ. لا نتّقي شيئاً ولا نضرُّهُ. حجّا لربّ مستقيم برُّهُ»

ومن مناسكهم ايضاً انهم كانوا يسكبون (السَّكب) من خمر او زيت او حليب لاصنامهم او يجعلون امامها طعاماً يأكلهُ الطير وقد سمّوا لذلك بعض آلهتهم «مطعم الطير»

وكانوا ايضاً يقصّون عند اوثانهم نواصي اولادهم او يحلقون شعورهم. او يرمون عندها الجمرات وهي الحصَى كما اثبت ذلك احد كبار المستشرقين العلّامة شوڤين (١. وكانت العذارى ايضاً يرقصن حول الاصنام مسبلات ذيولهنَّ كما قال امرؤ القيس:

---

١) اطلب كتابهُ في ذلك V. Chauvin: *Le jet des pierres au Péler. de la Mecque.* Anvers, 1902

فعنَّ لنا سربٌ كأنَّ نعاجهُ عذارى دُوار في مُلاءٍ مُذَيلِ

ومن اخصّ مناسك العرب الذبائح لاصنامهم وخصوصاً للّات والعزّى ومناة: فانهم كانوا يرون في سفك الدماء وسيلة لاخماد غضب الآلهة وللتقرُّب منهم وطلب رضاهم وما كانوا يأنفون من تضحية البشر انفسهم كما سبق القول. وممَّن شهد على ذلك برفيريوس الفيلسوف الوثني (١ في القرن الثالث للمسيح قال «ان اهل دومة الجندل كانوا كل سنة يضحّون لالهتهم رجلًا ثم يدفنونهُ بقرب المذبح». وروى پروكوپيوس اليوناني ومؤرّخ سرياني قديم نشر اعمالهُ لند (Land) ان المنذر ضحّى للعزّى ابنَ ملك غسان اسيرهُ و٤٠٠ من الرواهب المتنسكات في بعض اديرة العراق. وقد اتّسع نيلس من كتبة القرن الخامس بوصف غزوات اهل البادية لطور سينا وذكر قتلهم الرهبان الذين هناك وشرح خصوصاً ما حلّ بابنهِ تاودولس الفتى وكيف اسرهُ اهل البادية من العرب فعوَّلوا على تضحيتهِ للعزّى كوكب الصبح. وقد وصف الكاتب ما كان دارجاً عندهم من العادات في مثل هذه المناسك فنرويهِ هنا مرَّةً للدلالة على ديانتهم فقال يذكر تفاصيل ذبائحهم (٢:

«وليس لهؤلاء الهمج دين الّا انّهم يكرمون كوكب الصبح (العُزَى) ويحرّقون لهُ بخوراً ويضحّون له بافضل غنائمهم التي غنموها في غزواتهم وهم يفضّلون لذلك الشبّان اذا كانوا في عزّ الشباب وصبيحي الوجوه. ويعدّون لهذه الغاية مذبحاً من الحجارة والصخور التي يكوّمونها وينتظرون السحر حتى اذا لاح كوكب الصبح يضربون الضحيّة بالسيوف ويشربون دمها. وعادتهم اذا لم يقع في يدهم احد من الاسرى ان يضحّوا ناقةً من العيس خالصة البياض فينيخونها ويدورون حولها ثلاثاً ثمَّ يتقدَّم كاهنهم او زعيمهم بكل رونق وهم يتغنّون باغانيهم فيضرب بسيف حادّ عنقهُ ويتلقَّى دمها فيشربهُ ثم يركض الباقون ويقطع كل منهم قطعةً من الذبيحة فيأكلونها نيئةً ويسرعون في ذلك لئلَّا يبقى شيء من الجزور حتى الجلد والعظام عند طلوع الشمس...»

ثم انتقل الكاتب الى وصف ما جرى لابنهِ وكان الفتى مترهّباً معه في جبل الطور يعيش منفرداً في بعض المغاور فهجم عليهِ العربان واذ رأوهُ وسيماً جميلًا استعدّوا لتقريبهِ للعزّى فقال نيلس راوياً اخبار ابنه بعد ان نجا من الاسر:

---

(١) صنّف كتاباً في تسمية (Porphyrius: *De abstinentia* II, 56)

(٢) اطلب عمل السابع يونان ميلر (Migne, PP. GG. LXIX [illegible])

« وكان هؤلاء الغزاة عزموا على تضحيتي نحم صح فأعدُّوا كلّ شيء للذبيحة في سحر اليوم التالي فاقاموا لذلك مذبحاً وهيَّأوا السيف والسُّكب والاقداح والبخور وكنتُ اما مُلقًى على وجهي على الحضيض امأ نفسي فكانت مرتفعة الى الله ادعو اليهِ بحرارة كي ينقذني من هذا الخطر العظيم . . . وكان البرابرة قضوا قسماً كبيراً من ليلهم كلًا وشرباً ورقصاً حتى غلب عليهم النوم فهجعوا الى الصباح ولم يستيقظوا الّا والشمسُ قد طلعت وفات وقت الضحيَّة . . . فلمَّا رأوا ذلك اخذوني الى قرية تدعى « سوقا » وتهدَّدوا بقتلي امام اهلها ان لم يفدني احد منهم . فرحمني احدهم ودفع فديتي واهتمّ بشأني اسقف المحلّ وها انا الان عائد الى والدي »

ومن دياناتهم اذا ضحَّوا الضحايا ان يصبُّوا دمها على الانصاب كما سبق ويطلوا بهِ اجسامهم ويغمسوا بهِ ايديهم عند حلفهم دلالةً على صدق مواعيدهم ويدعون ذلك « اليمين الغموس »

٣ بقيَّة اديان الجاهلية غير النصرانيَة

كان الشرك يعمُّ كما ترى بلاد العرب في الجاهليَّة ولا نريد ان نحدّد هنا زمنه هل امتدَّ الى مدَّة القرون التي سبقت الاسلام او هل شمل انحاء الجزيرة التي عرفت الاله الواحد الصمد فندع الامر للفصول الآتية

وانما نضيف الى قولنا السابق شيئاً عما عُرف من الديانات الأُخر في جزيرة العرب غير النصرانيَّة بوجيز الكلام فنقول انَّ هذه الاديان كانت المجوسيَّة والصابئيَّة واليهوديَّة وقد نوَّه بها في القرآن غير مرَّة

١ (المجوسيَّة) ديانة قدماء الفرس الذين كانوا يعبدون النار ويرون فيها صورة اللاهوت ويقرنون بها عبادة النور . اخذوا هذا الدين من كيومرت احد اجدادهم وخصوصاً من زرادشت حكيمهم . فهل أثَّر هذا الدين في العرب فالامر ممكن بل هو محتمل لتقرُّب بلاد العرب شمالًا من الفرس ولخدمتهم لملوكهم في جهات العراق . وممَّن اشاروا الى دخول المجوسيَّة بين العرب ابن قتيبة فزعم انَّ المجوسية كانت في تميم والله اعلم

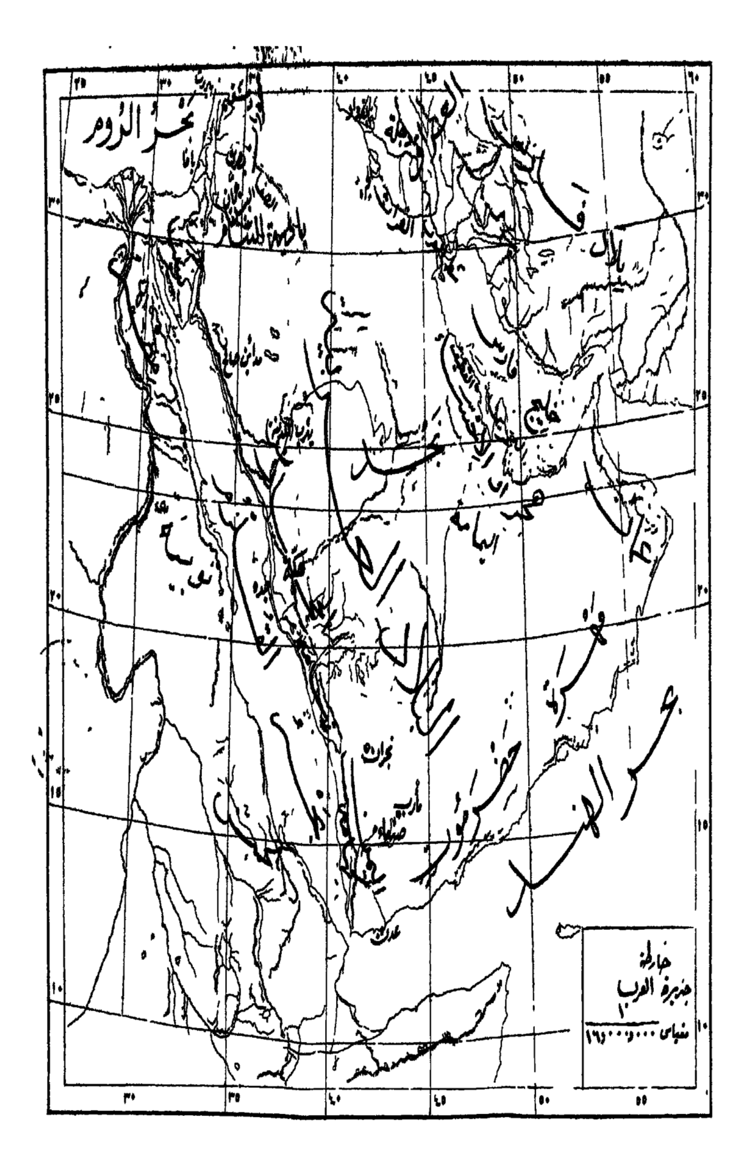
٢ (الصابئيَّة) اذا اريد بها عبادة النجوم والشمس والقمر والسيارات السبع فانها انتشرت خصوصاً في جنوبي جزيرة العرب . اما اذا اريد بها شيعة المندائيين الذين لا يزال منهم بضعة الوف في العراق فانَّ تأثيرها في العرب كان منحصراً ومن اراد تاريخ

هذه الشيعة فعليهِ بالمقالات المطولة التي نشرهـا حضرة الاب انستاس في المشرق في سنواتهِ الثالثة والرابعة والخامسة فانهُ استوفى فيها الكلام

ويلحق بدين الصابئين مذهب الحرَّانيين الذين عبدوا النيّرات السماويَّة مدة اجيال طويلة وكان لهم بيت في حرَّان يعظمونهُ بقي الى خلافة المأمون فأُخرب. وكذلك المَنويَّة المنسوبة الى ماني وتدعى ايضاً بالثنويَّة لقول اصحابها بوجود مبدأين متناقضين هما النور والظلمة وآل امر هذه الشيعة الى الزندقة وقالوا قول الدهريين

٣ (اليهوديَّة) دخل اليهود في ازمنة مختلفة في جزيرة العرب فاستوطنوا في بعض جهاتها. وعلى الاخصّ بعد جلاء بابل لما فرَّ بعض بني اسرائيــل من وجه الاشوريين فتوغلوا في انحاء العرب. وحدث مثل ذلك بعد خراب اورشليم على يد الرومان اذ تشتت شمل اليهود. وكانت سكناهم خصوصاً ما وراء بحر لوط وفي جهات تيماء ووادي القرى في يثرب وخيبر وبعض احياء اليمن. ولم نعلم من اخبارهم الَّا النزر القليل. ومما لا ريب فيهِ انَّ القبائل اليهوديَّة كانت تعيش بين العرب دون ان تختلط بهم مواظبةً على عاداتها المألوفة وشرائطهـا الدينيَّة كما ترى الموسويين في بلاد غير جزيرة العرب. وممن كتبوا عن تأثير اليهوديَّة في دين العرب ابراهيم غايغر (Abr. Geiger) لهُ كتاب عنوانهُ « ما اخذ محمد عن اليهوديَّة وفيهِ مبالغات ظاهرة وزاد عنـهُ تطرُّفًا المستشرق دوزي (Dr R. Dozy) الذي وضع كتاباً عن اليهود في مكَّة منـذ عهد داود الى القرن الخامس بعد المسيح (Die Israeliten zu Mekka von Davids Zeit bis in's 5te Jahrhundert unserer Zeitrechnung) « Leipzig, 1864 » وفيهِ من المزاعم الغريبة التي لم يوافقه عليها اصحاب النقد





بحر الروم
نجد
نجران
مأرب
صنعاء
عدن
حضرموت
بحر الهند
خارطة
جزيرة العرب
مقياس ١ / ١٦،٠٠٠،٠٠٠

الفصل الأوَّل

تاريخ النصرانية في جزيرة العرب

هيَا بنا الآن بعد هذه المقدمات الوجيزة نبحث عن النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية وهما البحثان اللذان جعلنا الفصول السابقة كتمهيد لهما

الباب الاوَّل

مبادئ النصرانية بين العرب

قلنا في مطلع كلامنا انَّ الافادات التي خلَّفها كتبة العرب عن الاديان الشائعة في جزيرتهم قبل الاسلام نزرة قليلة. وهذا القول يصحُّ ايضًا في النصرانيَّة مع انها كانت اقرب اليهم عهدًا واذ ذكروا الدين المسيحي لا يكادون يذكرون من تاريخهِ غير شيوعهِ في بعض القبائل. هذا اذا اعتبرت فصولهم الوجيزة التي خصُّوها بالاديان. بيد انهم في عرض كلامهم عن بعض عادات العرب وقصصهم وامثالهم ولَهَجاتهم حدا بهم الامر الى ان يأتوا بمعلومات أخرى سديدة تجدها متفرّقة متشعّثة في تآليفهم لم يجمعها حتى الآن العلماء المستشرقون لانشغالهم بالبحث عن آلهة العرب وعن فكّ رموز دياناتهم القديمة ونشر ما وجدوهُ مدفونًا في بلادهم من الكتابات الحجريَّة في اللغات الحميريَّة والنبطيَّة والصفويَّة فضلًا عن اليونانيَّة واللاتينيَّة وما استخرجوهُ بالحفر من الآثار بعد مخاطرتهم بالسياحة

وكذلك ورد في كتب نصارى اهل الشرق ولاسيما قدماء الروم والسريان وبعض الكتبة اللاتينيين فوائد شتى عن النصرانيَّة في انحاء العرب دوَّنوها في معرض رواياتهم التاريخيَّة واوصافهم الاجتماعيَّة ورحلاتهم العلمية وفي اخبارهم عن اولياء الله القديسين الشهداء او النسَّاك المتعبّدين في بوادي العرب مما رأوهُ بالعيان او استفادوهُ من شهود عيانيين او كتبة موثوق بهم فهذه المعلومات ايضا عظيمة الشأن غالية الاثمان لم تُجمع حتى اليوم تمامًا وانما روى منها بعض الكتبة فصولًا تحتاج الى توسيع وتكملة نخصّ

منها بالذكر الكتب والمقالات الآتية ما عدا ما ذُكر من ذلك في التآليف التي عدَّدناها سابقاً:

١ اعمال البولنديين : مقالة للاب كرپنتيه اليسوعي في النصرانية بين العرب

1 E. Carpentier S. j.: *De SS. Aretha et Ruma Commentarius* (Acta SS., X, Octob., 661—697).

٢ اصول النصرانية في بلاد العرب العلامة رَيْت

2 Wright: *Early Christianity in Arabia*, London 1855.

٣ الشرق المسيحي للاب لوكيان

3 Lequien: *Oriens Christianus*.

٤ دي ساسي: مقالة عن تاريخ العرب قبل محمَّد

4 Le B[on] de Sacy (S.): *Mémoire sur l'Histoire des Arabes avant Mahomet.*

٥ تاريخ الدول العربية بين المسيح ومحمَّد

5 J. J. Reiskii: *Primæ lineæ Historiæ Regnorum Arabicorum inter Christum et Mohammedem.*

اعلم انَّ اقدم الآثار النصرانيَّة كما لا يخفى الاناجيل الاربعة وتاريخ اعمال الرسل القديس لوقا ورسائل بعض تلاميذ الربّ الأوَّلين. وكلها من القرن الاوَّل للمسيح كما يقرّ بهِ معظم العلماء من الاباحيين فضلًا عن المؤمنين وإن كان اولئك يخالفون الكاثوليك في تعيين سنة كتابة هذه الاسفار واصحابها . فهذه الآثار لا تخلو من الدلائل على ان العرب نالوا شيئاً من انوار النصرانيَّة منذ بزوغ شمسها

ولعلَّ اوَّل من استحقَّ ان يُنظم من العرب بين تَبَعَة السيد المسيح اولئك الشيوخ الذين عُرفوا بالمجوس فأتوا الى بيت لحم وأهدَوا الربَّ ألطافهم وسجدوا لهُ في مهدهِ كما اخبر متى في انجيلهِ (ف ٢). اما كونهم من العرب او على الاقلّ بعضهم فلنا على ذلك عدَّة بيّنات ترجح هذا الرأي ان لم تجزم بهِ قطعياً. فمن ذلك اقدم نصوص الآباء والكتبة الكنسيين من القرن الثاني للمسيح الى القرن الخامس الذين يجعلونهم عرباً كالقديس يوستينوس في القرن الثاني في مباحثهِ مع تريفون. وترتوليان المعلم في كتابيهِ ضدّ اليهود (ف ٩) وضدّ مرقيون (ك ٣ ف ١٣). وكالقديس قبريانوس في القرن الثالث في ميمرهِ عن كوكب المجوس . وكالقديس ابيفانيوس في القرن الرابع في شرحهِ لدستور الايمان (عدد ٨). والقديس يوحنا فم الذهب معاصرهِ في الميمر الثاني على شرح انجيل متى .

وهكذا فسّر هؤلاء الكتبة آية اشعيا النبي عن المسيح (ف ٦٠ ع ٦): « كثرة الابل تغشاكِ بُكران مِديَن وعيفة كلّهم من شبأ يأتون حاملين ذهباً ولباناً يُبشّرون بتسابيح الربّ ». وسبق داؤد فقال (مز ٧١): « ملوك سبأ وشبأ يقرّبون له العطايا ». فانّ مِديَن وعيفة وشبأ كلها تدلّ على نواحي العرب

وعليها تدلّ ايضاً الالطاف التي قدَّمها هؤلاء المجوس للمسيح اي الذهب واللبان والمرّ وكلّها من مرافق بلاد العرب. فان ذهب انحاء العرب كان مشهوراً (١ وتنبأ داؤد بتقدمته للمسيح (مز ٧١) فقال: « يؤدون اليه من ذهب شبأ ». اما اللبان والمرّ فلا يكادان يُستخرَجان من غير جزيرة العرب فيتّجر بهما اهلها كما شهد على ذلك قدماء الكتبة بعد سفر التكوين (٣٧: ٢٥)

ثمَّ يؤيد هذا الرأي قول المجوس في الانجيل لهيرودس بانهم رأوا نجم المسيح في الشرق فاتوا ليسجدوا له. فقولهم « في الشرق » يدلّ على بلاد العرب اكثر من سواها لوقوعها شرقي فلسطين فضلًا عن كون العرب يُعرفون بالاسفار المقدَّسة بني الشرق (وبالعبرانية בני קדם بعناها) بل شاع هذا الاسم عند الرومان واليونان فاشتقوا منهُ Sarraceni و Σαρακηνοί

وزد على ذلك انَّ النجم الذي رآه المجوس هو الكوكب الذي سبق وانبأهم بهِ بلعام في مشارف مُوآب (سفر العدد ٢٤: ١٧) لما قال: « انهُ سيطلع كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من اسرائيل ». فتحققت النبوءة حيث تنبأ بها بلعام مرغوماً فتناقل العرب نبوّتهُ ابناً عن اب وراقبوا كوكبهُ حتى رأوه. ولا بأس من كون هولاء القادمين الى مهد المسيح يُدعون مجوساً. فانَّ هذا الاسم كان يطلق عند العبرانيين على حكماء الشرق عموماً وكثيراً ما اثنى الكتاب الكريم على حكمة العرب في سفر أيوب وسفر الملوك الثالث (٤: ٣٠) وسفر باروك (٣: ٢٣). وقد شهد كتبة اليونان بانَّ فيثاغورس الفيلسوف رحل الى جزيرة العرب ليأخذ الحكمة عن اهلها. بل صرَّح بلينيوس الطبيعي بانَّ بلاد العرب كانت بلاد مجوس (٢

١) قال سترابون ان الذهب لا يُعدَّن في بلاد العجم لكن في بلاد العرب In Perside aurum nullum effoditur, effoditur tamen in Arabia (Strabo, l. XVI)

٢) اطلب تاريخهُ الطبيعي « Fuere in Arabia quos Græci et Latini « Magos » vocant (Plin., *Hist. Nat.*, XXV, 5)

وفي الانجيل الطاهر شاهدٌ آخر على سبق العرب في معرفة السيّد المسيح وذلك لما ذكر المبشرون متى (ف ٤ عدد ٢٤ — ٢٥) ومرقس (٣ : ٧) ولوقا (٦ : ١٧) في جملة الجموع المتقاطرة الى استماع تعاليم الربّ اهل آدوم والمدن العشر وما وراء الاردن. فلا شكَّ ان صيتهُ يكون بلغ العرب القاطنين في تلك الجهات. بل ذكر الانجيل (متى ٨ : ٣١ ومرقس ٧ : ٣١) ان السيّد المسيح عبر الاردن وتجوَّل في المدن الواقعة ما وراء ذلك النهر ومرَّ بالمدن العشر (١ وصنع الآيات في بقعة الجرجاسيين. وكان اهل الحضر والمدر من العرب يسكنون تلك الانحاء فلا يقبل العقل انَّهم لم يقتبسوا شيئاً من انوار ابن الله الكلمة

ثم ما لبث العرب ان نالوا نصيباً طيّبا من الدعوة المسيحيَّة وذلك يوم حلول الروح القدس على التلاميذ في العليَّة الصهيونيّة كما اخبر القديس لوقا في سفر الاعمال (ف ٢) فانهُ صرَّح بانَّ العرب كانوا في جملة الذين عاينوا آيات ذلك اليوم الشريف وسمعوا الحواريين يتكلَّمون بلغتهم العربية. فلا جرم انَّ بعضاً منهم كانوا في عداد الثلثة الالاف المصطبغين ذلك اليوم (اعمال ٢ : ٤١) فلما عادوا الى بلادهم نشروا بين مواطنيهم ما رأوا وسمعوا من امر المسيح وتلاميذهِ

وبعد مدَّة قليلة اثار اليهود على تلامذة الرب تلك الاضطهادات التي ذكرها صاحب الاعمال (ف ٨) فكانت على شبه الرياح التي تقوّي الشجرة النامية وتوصل جذورها في الارض وتنقل بزورها الى امكنة اخرى فتزداد وتتوفر. واول من يُذكر من الرسل انهُ دخل بلاد العرب هو الاناء المصطفى القديس بولس فانَّهُ اخبر عن نفسهِ في رسالتهِ الى اهل غلاطية (ف ١ع ١٧) انهُ بعد اهتدائهِ الى الايمان بظهور السيّد المسيح لهُ على طريق دمشق واعتمادهِ على يد حنانيَّا التلميذ هرب من دسائس اليهود الى جزيرة العرب حيث اقام مدَّة. فمن البديهي انَّ ذلك الرسول الذي خصَّهُ الله بدعوة الامم باشر مذ ذاك الحين بالتبشير فدعا الى النصرانيَّة من رآهم من العرب مستعدّين لقبول دين الخلاص لئلا يحلَّ بهِ ذلك الويل الذي كان يوجس منهُ فزعاً حيث قال (١ كور ٩ : ١٦) : الويل لي ان لم ابشر. وعليهِ فتصادق على قول الذين يجعلون بولس الرسول

---

١) اطلب في المشرق (١١ : ٨١) مقالة الاب ابرد دوراس في رحلة السيد المسيح الى فينيقية والمدن العشر

كاحد رسل العرب. وقد عدَّهُ بعض كتبة الروم كأوّل الدعاة الى المسيح في بصرى حاضرة حوران

ولمَّا جرى نحو السنة خمسين للمسيح افتراق الرسل اذ ساروا الى اقطار المعمور ليقوموا بمهنة التبشير التي امرهم بها سيدهم كان لبلاد العرب نصيب حسن في هذه القسمة المباركة فان التقاليد القديمة تتواصل وتتفق على ان بعض الرسل تلمذوا امم العرب وقبائلهم من جهات مختلفة وقد جمع العلّامة يوسف السمعاني في مكتبتهِ الشرقيَّة في المجلّد الثالث القسم الثاني (Bibl. Or. III², 1-30) كثيرًا من شواهد كتبة اليونان والسريان والعرب التي تثبت كرازة الرسل في احياء العرب وفي اقطارها المتباينة كبادية الشام وجهات طور سينا واليمن والحجاز والعراق يذكرون منهم متى وبرتلماوس وتداوس ومتَّيا وتوما. وقد نقل بعض هذهِ الشواهد المؤرخون المسلمون نفسهم كالطبري في تاريخهِ (ج ١ ص ٧٣٧ — ١٣٨) وابي الفداء في تاريخهِ (١: ٣٨) والمقريزي في الخطط (٢: ٤٠٣) وابن خلدون في تاريخ العبر (٢: ٤٧) والمسعودي في مروج الذهب (١: ١٢٧). هذا فضلًا عن بعض تلاميذ الرسل كفيلبس الشمَّاس وتيمون وادّي او تدّاي ممن تناقل الرواة خبر بشارتهم بين العرب. وكفى دليلًا بهذه الشواهد المتعدّدة على انَّ الدعوة النصرانيَّة التي امتدَّت الى اقاصي المعمور لم تهمل جزيرة العرب القريبة من مهد الدين المسيحي. بل كان اهلها يقبلون كل يوم الى فلسطين ويمتزجون بسكانها امتزاج الماء بالراح فيعاملونهم ويتاجرونهم. وقد ذكر القديس ايرونيموس في شروحهِ على نبوة ارميا (ف ٣١) ونبوة زكريا (ف ١) انَّ اسواقًا سنويَّة كانت تقام قريبًا من سيحم (نابلس) يأتي اليها عدد عديد من نصارى ويهود ووثنيين يقصدونها للمتجرة من بلاد الشام وفينيقية وبلاد العرب. فلا نتعدَّى اذن طورنا ان اكّدنا انتشار النصرانيَّة في بلاد العرب منذ عهد الرسل. وبذلك تحققت نبوّات الانبياء الذين سبقوا وتنبَّأوا باهتداء العرب وايمانهم بالمسيح. قال نبي اشعيا بعد وصفهِ العجيب للسيّد المسيح (ف ١١ع ١ — ١٠) ذكرًا الشعوب التي تقبل شريعتهُ فجعل منها آدوم وموآب. وكرّر ذلك في الفصل ٤٢ وعدَّد قبائل قيدار وبلاد سلع (Petra) وفي الفصل ٦٠ ذكر بين المستنيرين بانوار اورشليم وملكها الموعود مدينَ وعيفة وسبأ وقيدر والنبط وفيهِ يذكر قدومهم على المسيح ليهدوه الطافهم من ذهب ولبان. وكان النبي داود (في مزمورَيهِ ٦٧ع ٣٢ و ٧٢: ٨٠

— ١٠) سبق اشعيا في ذكر سجود العرب للمسيح وطاعتهم لـهُ. ومثلهما ارميا في فصلهِ التاسع حيث ذكر « افتقاد الرب للامم المختونين مع الغلف... أدوم وبني عمّون وموآب وكلّ مقصوصي الزوايا الساكنين في البريّة »

وفي السنة ٧٠ للميلاد تمّت نبوة المسيح عن خراب اورشليم فلم يبقَ فيها حجر على حجر وتفرّق بقايا اليهود شذر مذر بعد ان قُتل منهم وسُبي الألوف ومئات الالوف الّا ان من كانوا تنصّروا منهم كانوا بامر الرب سبقوا وخرجوا من المدينة وعبروا الاردن وسكنوا في مدن العرب التي هناك كما اخبر اوسابيوس المؤرخ (١. فاستوطنوا تلك الاصقاع وكان يرعاهم اساقفة من جنسهم. وقد وجد اصحاب الآثار في ايامنا عـددًا دثرًا من كتبهم الدينيّة كالاناجيل الاربعة وبعض اسفار التوراة وقطعًا طقسيّة واناشيد وصلوات وغير ذلك مما يشهد على نصرانيتهم وسكناهم زمنًا طويلًا في تلك النواحي. وهذه البقايا كانت مكتوبة باللغة الفلسطينيّة اي الآراميّة الشائعة في فلسطين. ولا ريب انّ العرب الذين حلّ بينهم هؤلاء النصارى اخذوا شيئًا من تعاليمهم واستضاؤوا بانوار دينهم

واذا استقرينا اقدم آثار النصرانيّة وما كتبهُ آباء الكنيسة الاوّلون في القرون الاولى للميلاد وجدناهم يذكرون الدعوة المسيحية في جزيرة العرب امّا تعريضًا وامّا تصريحًا فمن تعريضهم بذلك قولهم جميعًا بانّ الايمان المسيحي « منتشر في العالم كلهِ » فان صحّ هذا القول في البلاد القاصية حتى الهند والعجم وجزائر البحر أفلا يكون ايضًا صحّ بالحري في بلاد العرب المجاورة لمنبع الدعوة المسيحية. فترى القديس مرقس في آخر انجيلهِ (١٦ : ٢٠) مؤكدًا بانّ تلاميذ الرب « خرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات ». وبعدهُ بقليل كان يشكر بولس الرسول اهل رومية في رسالتهِ اليهم (١ : ٨) « على انّ ايمانهم يبشَّر به في العالم كلهِ ». وفي رسالة القديس اغناطيوس النوراني تلميذ الرسل الى اهل افسس (PP. GG., V, col. 647) يذكر « الاساقفة الذين يرعون مؤمنين في العالم كلهِ ويتفقون جميعًا بالايمان ». ومثلهُ معاصرهُ القديس بوليكربوس الذي كان يدعو المسيح « راعيًا للكنيسة الكاثوليكيّة المنتشرة في العالم كلهِ » (Ibid., col. 1035) فهذه النصوص وغيرها كثير تثبت صريحًا انتشار الدين المسيحي في العالم كلهِ فتشمل ايضًا بلاد العرب ولولا ذلك لَما امكن القديس اوغسطينوس

١) اطلب تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٥ (Migne, PP. GG., XX, 221)

ان يقول في شرحهِ على المزمور ٦٦ (PP. LL. t. 36, col., 669) «نحن الكاثوليك منبثُّون في الارض كلها لاننا نعلن بكل مكان ما للسيد المسيح من المجد ونشترك بهِ» ولمَّا استطاع قبلهُ كيرلس الاورشليمي ان يقول في تعليمهِ الثامن عشر (PP. GG., t. 33, col. 1043) : «تُدعى كنيستنا كاثوليكية لأنها منتشرة في كل المسكونة من اقاصي تخوم الارض الى اقصى حدودها». وسبقهما القديس قبريانوس فقال في كتاب وحدة الكنيسة (PP. LL., IV. col. 502) : «انَّ الكنيسة تُلقي اشعَّتها في كل المعمور». وقال معاصرهُ القديس ايريناوس في كتابهِ ضدَّ الهرطقات (PP. GG. VII. col. 550): «انَّ الكنيسة المنتشرة في سائر العالم قد ورثت الايمان من الرسل وحفظتهُ بكل حرص»

وزاد عن هؤلاء ايضاحاً في اواسط القرن الثاني للمسيح القديس يوستينوس الشهيد من اهل نابلس في مباحثتهِ مع تريفون اليهودي (PP. GG., VI, col. 750) فعدَّ بين من دانوا بدين المسيح «الساكنين في الخيم واهل البادية» قال: «ليس مطلقاً جنس من البشر سواء كانوا من اليونان او البرابرة وبأيّ اسم تسمَّوا حتى العائشين في العَرَبات (الاسقيثيين) والساكنين في الخيم الذين يرعون المواشي واهل البادية الذين لا يحلّون في بيت الا وبينهم جموع يقدّمون الصلوات والقُربات للربّ باسم يسوع المصلوب»

وقال ايريناوس معدّدًا الشعوب التي دخلت بينهم النصرانية (PP, GG. VII. col. 554) وقد دعا العرب باهل الشرق كما روى مفسّروهُ: «هذا الايمان المسيحي هو اليوم منبث في العالم كلّهِ. فترى الالسنة مختلفةً والنفس واحدةً والقلب واحدًا سواء اعتبرتَ آل جرمانية او الايبريين و الغلتيين او سكان الشرق او مصر او ليبية والامم التي في اواسط الدنيا فكلّهم يعتقدون اعتقادًا واحدًا يشبه ايمانهم الشمس التي تضيءُ العالم كلّهُ وهي واحدة »

وللمعلم ترتليان في اوائل القرن الثالث نصوص متعدّدة يؤكد فيها انتشار النصرانيّة بين كل شعوب زمانهِ مهما كانت بعيدة او مجهولة فما قولك بالعرب؟ قال في كتابهِ الى الامم (Ad Nationes, c. 8) « تأمّلوا انهُ لا يوجد اليوم امةٌ الّا ودخلت فيها النصرانيّة (non ulla gens non christiana). وفي الفصل السابع من ردّهِ على اليهود يعدّد في جملة المتنصرين ليس فقط الامم الخاضعة للرومان

« لكن غيرها كثيرة كالسرماتيين والداقيين والجرمانيين والاسقيثيين وقبائل مجهولة واقطار متفرقة وجزائر البحر ففيها كلها يُعرف اسم المسيح وفيها يملك »

وكثيرًا ما دعا الكتبة جزيرة العرب باسم الهند لاسيا جهات اليمن وقد شاع هذا الاسم بهذا المعنى (اطلب البولنديين في المجلّد العاشر من اعمـال القديسين من شهر ت ١ ص ٦٧٠) . واليها اشـار القديس يوحنا فم الذهب في ردّه على اليهود (PP. GG., XXX. 500) قال : « انظر بأيّ سرعة انتشرت الكنيسـة في كل اطراف المسكونة وبين كل الشعوب وذلك بتجرّد فضل الاقناع حتى انَّ أممًا كثيرة تركت أديانها وتعاليم اجدادها وشيّدت هياكل لتعبد فيها الربّ فمنها ما هو واقع في ممالك الرومان كالاسقيثيين والمغاربة واهل الهند ومنها ما هو خارج عن تخوم الرومان الى جزائر بريطانية واقاصي العالم »

و بعضهم قـد دعوهم صريحًا باسم العرب او الاسماعيليين . قال ارنوبيوس في القرن الثالث للمسيح يذكر الشعوب الوثنية التي بشّر بينها الرسل فأُنشئت الكنائس لمن تنصّر منهم (ك ٢ ف ٥ و١٢) : « انظروا العجائب التي جرت في انحـاء المعمور منذ ظهور المسيح حتى انهُ لا يكاد يوجد الآن امّة عريقة بالهمجيّة الّا لطّفت خشونتها محبّتهُ بهِ واخضعت عقلها للايمان بتعاليمهِ فاتّفقت على ذلك اجيال الناس المتباينة المختلفة طباعًا وآدابًا . وممَّا نقدر أن نحصيَهُ من هذه الشعوب اهل الهند والصين والفرس والمادّيين والذين يسكنون في بلاد العرب ومصر وجهات آسية وسوريّا . وفي كل الجزائر والاقاليم »

فترى انهُ احصى بلاد العرب في جملة من دان للمسيح في ذلك العهد . وقد ذكرهم المؤرخ سوزمان (PP. GG. t, 67, 1476) في القرن الرابع وافاد « ان بعض قرى العرب ودساكرهم يوجد فيها اساقفة » . وكذلك صرّح بذكرهم تاودوريطس في القرن الخامس في كتابهِ المعروف بدواء اضاليل اليونان (PP. GG. T, 88, p. 1037) قال : « ليس فقط قد خضعت للمسيح الامم الخاضعـة لشرائع الرومان كالحبش المتخمين لتبية وقبـائل الاسماعيليين . . . بل حتى غيرهم من الامم احنوا رؤوسهم لتعاليم الصيّادين وشرائع الانجيل كالسرماتيين والهنود والعجم والصينيين (Seræ) والبريطانيين والجرمانيين » . وقال مثل ذلك في محلّ آخر في كتابهِ المسمَّى التاريخ الرهبانيّ (PP. GG. t, . 82 , p. 1471)

الباب الثاني

النصرانيّة بين عرب الشام

اذا نظرت في خارطة الى بحر الشام وحدَّدت مدينتيهِ الساحليَّتين طرابلس شمالًا وعكَّا جنوباً ثمَّ سرت منهما على خطَّين متوازيين الى الشرق بلغ بك السير بعد رحلتين من طرابلس وثلاث الى اربع مراحل من عكَّا الى مفاوز متَّسعة تمتدُّ على مدى البصر الى جهة تدمر فالفرات شمالًا والى مشارف الشام فاللجا وتلال الصفا حتى جبال حوران وسهول البلقاء جنوباً فكلّ تلك النواحي الرحبة الارجاء التي تقيس نحو اربعمائة كيلومتر طولًا في مثلها عرضاً تُعرف اليوم ببادية الشام

ولم تكن هذه البادية في سالف الاجيال قفرة قليلة السكَّان لا تكاد تجد فيها كاليوم غير قرًى معدودة او بعض احياء البدو الذين يتنقَّلون فيها مع مواشيهم انتجاعاً للمراعي. وانَّما كانت بعد تملُّك الرومان عليها في اوائل التاريخ المسيحيّ أصبحت كروضة غنَّاء شيِّد فيها اصحابها المدن العامرة لسكنى الاهلين وابتنوا الحصون الحريزة تأمينا للطرق وعزَّزوا الزراعة والفلاحة وانبطوا الآبار وحفروا الصهاريج لجمع مياه الامطار وخدّدوا القنيّ لسقي المزروعات. والآثار الباقية من هذه الاعمال الى يومنا تنطق بعمران تلك الاصقاع وحضارتها الراقية

اما سكَّانها فكانوا من عناصر شتى بينهم الرومان المستعمرون لاسيما من الجنود الذين اتموا مدَّة خدمتهم ثم جالية اليونان من بقايا الدول السابقة منذ عهد الاسكندر والسلوقيين ثم الوطنيُّون والفنيقيُّون الذين احتلُّوا تلك البلاد لاستثمارها والمتاجرة فيها وكانت تلك الانحاء اوفق ما يتمنَّاه العرب لسكناهم فترى اهل الحَضَر منهم يسكنون القرى ويتعاطون اشغال الفلاحة. امَّا اهل الوبر فكانوا يرعون مواشيهم في الارياف ويرتزقون بلحومها والبانها واصوافها. وقد نما فيها عددهم حتى رسخت قدمهم وصار اليهم الامر

وكان الرومان في بدء احتلالهم يعدُّون العرب كخطر على البلاد لما اعتادهُ اهل البدو من الغزوات وشنّ الغدرات والسلب والنهب فحاولوا غير مرّة كسر شوكتهم

غير انهم عرفوا بالاختبار انّهم لا يظفرون بهم ظفرًا تامًّا ما لم يستنجدوهم ويستعينوا ببعض عشائرهم لقطع دابر الشاذ الباقين منهم. فحالف الرومان شيوخ قبائلهم ودفعوا لبعضهم قسما من السلطة على بادية الشام بصفة شيوخ او ملوك فكانوا يتصرفون مع اهل جنسهم تصرُّف السيّد مع المسود وربَّما زاحموا الدولة الرومانية كلما كانوا يشعرون بانتقاض حبلها او ضعف ولاتها. فترى النبطيين منهم في اواسط القرن الاول للمسيح متقلدين الحكم على دمشق نفسها كما ورد عن الحارث ملكهم في رسالة بولس الرسول في رسالتهِ الثانيـة الى اهل كورنثية (١١ : ٣٢) وتبعهُ في الحكم غيرهُ من النبط. وقد افادنا تاقيتس المؤرخ في تاريخ طيطس بانَّ الرومان كانوا تخذوا في مقدمة جندهم كتيبةً من العرب كانوا يتقدَّمون الجيش في محاربة اورشليم على عهد وسبسيانوس وابنهِ طيطس. بل كان الرومان يدفعون لبعض الفرق العربيَّة وظائف معلومة ليقوموا بحراسة التخوم الرومانيَّة من جهة البادية. وقد اخبر اميان مرقلينوس (Ammien Marcellin, XXV, 6) في ترجمة يليانوس الجاحد بانَّ بعض شيوخ هؤلاء المتحالفين قدموا على القيصر وشكوا اليـه تأجيل عمّالهِ في دفع رواتبهم فغضب يليانوس وزجرهم بقولهِ انّـهُ: اعدَّ لهم حديدًا (لقتالهم) لا ذهبًا (لأجرتهم). فخرجوا ناقين على الرومان ولحقوا بجيش العجم وحاربوا يليانوس مع جيش سابور فكانت عليهِ الدَّولة

امَّا الديانة التي كانت عليهـا امم بادية الشام وقبائلها فكانت خلطا من اديان الوثنيَّة فكان اليونان والرومان أتوا بمعبوداتهم المنوطة بالسيَّارات كالمشتري وزحل وعطارد والزهرة والمريخ فاكرموها اكرام اجدادهم ومواطنيهم لها في اثينة ورومية. ونشر الفينيقيون عبادة تموز وعشتروت والبعل. امَّا النبط فكانوا يفضِّلون ذا الشرى (Dusares) واللات وشمس وينبع. ثمَّ اختلطت هذه العناصر المتباينة وتداخلت اديانهم ببعضها واكرم كل قوم معبودات القوم الآخرين

وفي غضون ذلك ظهرت النصرانيَّة وقامت مناهضة تلك الاديان كلِّها دون ان ترضى ان تختلط بها او تبدلها بشيء ولرجح ان الدين المسيحي دخل بـلاد العرب من غربي الجزيرة من جهة الشام حيث انتشر بعد صعود السيد المسيح بزمن قليـل كما ورد في سفر الاعمال. ولا يبعد عن العقل ان بولس الرسول رحل الى العربية كما جاء في

في رسالتهِ الى اهل غلاطية (١ : ١٧) دون ان يكون سبقهُ اليها احد من المتنصّرين او خلّف فيها اثرًا من دينهِ

والظاهر انَّ النصرانيَّـة دخلت اوَّلًا في حاضرة حوران اعني بُصرى كما تشير اليهِ التقاليد القديمة التي تناقلها الكتبة اليونان والسريان ثمَّ العرب المسلمون من بعدهم. فقد ورد في جدول دورتاوس السوري لتلامذة السيّد المسيح السبعين انَّ تيمون احد الشمامسة السبعة المذكورين في سفر الاعمال (٣:٨) نشر الدعوة النصرانيَّة في مدينة بُصرى فعُدَّ كرأس اساقفتها. وفي الروايات التي تداولها الكتبة النصارى عن الرُّسل واثبتها السمعاني في مكتبتهِ الشرقيَّة (ج ٤ ص ١ — ٢٠) انَّ البعض منهم تلمذوا العرب وخصُّوا بهم عرب بادية الشام وحوران كما يظهر من القرائن. وصرَّح بالامر المقريزي في كتاب الخطط والآثار (ج ٢ ص ٤٨٣) فروى عن متى العشَّار « انهُ سار الى فاسطين وصور وصيدا وبصرى ». وقال ابن خلدون في تاريخه (٢ : ١٥٠): « ان برتلماوس بُعث الى ارض العرب والحجاز ». اما تدمر وباديتها فذكر سليمان اسقف البصرة في كتابهِ السرياني المعنون بالنحلة (Budge : *Book of the Bee, p.106*) انَّ يعقوب بن حلفا بشّر فيها

على انَّ هذه الشواهد في الدعوة النصرانيَّة الاولى في بادية الشام تعمّ كل عناصر الاهلين ولا تفرز العرب من سواهم فتُبقي شكًّا في تنصُّرهم الَّا انَّ ما يتبع ذلك العهد من الشواهد التاريخيَّة اصرح واجلى. فقد اتفق مؤرخو العرب انَّ القبيلة الاولى التي تولّت على بادية الشام باسم الرومان انَّما كانت قضاعة من قبائل اليمن. ثمَّ غلبتها على الامر سليح ثمَّ جاءت بعدهم قبيلة غسان فملكت على عرب الجابية وبقي ملكها الى ظهور الاسلام. والحال انَّ هذه القبائل الثلاث قد دانت بالنصرانيَّة على رأي اولئك المؤرخين. قال اليعقوبيّ في تاريخهِ (طبعة ليدن ١ : ٢٣٤) عن قضاعة « انَّ قضاعة اوَّل من قدم الشام من العرب فصارت الى ملوك الروم فملَّكوهم فكان اوَّل الملك لتنوخ بن مالك بن فهم... فدخلوا في دين النصرانيَّة فملَّكهم ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب ». وكذلك بنو سليح فقد صرَّح بنصرانيتهم المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ٣ : ٢١٦) قائلًا: « وردت سليح الشام فتغلبت على تنوخ وتنصَّرت فملَّكها الروم على العرب الذين بالشام

امَّا نصرانيَّة غسَّن فهي من الامور التاريخيَّة الراهنة التي لا يختلف فيها اثنان. على انَ كاتباً من البغددة اغفل اسمهُ كان تصدَّى لنا في هذه المسألة ونشر في المقتبس (٢: ٣٨٢) رأيا خالف فيهِ مجموع المؤرخين وزعم اننا بنسبتنا النصرانيَّة الى غسان ركبنا شططا فرددنا عليه بمقالتين ضافيتين نشرناهما في المشرق (١٠: ٩ و٥٥٤) جمعنا فيهما البيِّنات اللامعة والشواهد الساطعة التي تثبت تدين غسَّان واحيائها وملوكها بالنصرانية ولا بأس ان يقال غسَان كلّها مع امكان وجود بعض افراد او عشائر لم يكونوا نصارى فان الكلام على الاغلبية. ولاثبات زعمنا اتينا بالادلَّة التابعة التي لم نركن فيها الى اقوال مؤرخي العرب فقط وكل ذي انتقاد يعلم انَّ كتبة العرب لم يدوّنوا تاريخا صحيحا قبل القرن الثامن وانما نقلنا نصوص كتبة يوثق بهم من يونان ورومان وسريان ممن كانوا معاصرين للحوادث التي فصَّلوا اخبارها وامكنهم الوقوف على صحَّتها اما بالمعاينة واماً بصوت العموم

نصرانية غسَّان

غسَّان قبيلة يمنية قدمت جهات الشام بعد انفجار سدّ مأرب وسيل العرم فاستوطنوها ثم تغلبت على اهلها بعد سليح كما سبق فصار اليها الامر وتبعت قضاعة وسليحا في نصرانيتهما. والكتبة العرب لسان واحد في اثبات ذلك فان تتبَّعنا اثار النصرانية في كتبهم وجدناهم يذكرون لملوك غسَّان الاوَّلين ابنيةً تدلُّ على نصرانيَّتهم فان حمزة الاصبهانيّ في تاريخ الملوك والانبياء (ص ١١٧) يؤكّد ان ثاني ملوك غسَّان عمرو بن جفنة بنى بالشام عدَّة ديورة « منها دير هند ودير حالي ودير ايوب ثم ذكر (ص ١١٨) الايهم بن الحارث بن جبلة اخي المنذر الغسَّاني الاكبر انهُ بنى دير ضخم ودير النبوة ». ومن المعلوم انَّ تنصُّر الملوك يدلُّ عادةً على تنصُّر رعاياهم. وفي الواقع لا تكاد تجد مؤرخا عربيًّا الَّا يشير الى نصرانيَّة غسَّان فالمسعودي في مروج الذهب طبعة مصر (١: ٢٠٦) وفي كتاب التنبيه والاشراق طبعة ليدن (ص ١٦٥) وابن رسته في كتاب الاعلاق النفيسة (طبعة ليدن ٢١٧) وابو الفداء في تاريخهِ (١: ٧٦) والنويري (Rasmussen, 72) وغيرهم لا يدعون في الامر ريبا. وقال اليعقوبي من كتبة القرن العاشر للمسيح (في تاريخهِ

١ : ٢٩٨) : «واماَّ من تنصَّر من احياء العرب فقوم من قريش ومن اليمن طيّ وبهراء وسليح وتنوخ وغسَّان ولخم» ..

وقال السيوطيّ في المزهر نقلاً عن كتاب الالفاظ والحروف بانَّ اللغة العربيَّة لم تؤخذ من قبائل شتى الى ان قال انَّها لم تؤخذ « ولا من قضاعة وغسَّان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانيَّة » يريد بالعبرانيَّة السريانيَّة الفلسطينية

وممن اشار الى نصرانيَّة غسان النابغة في بائيتهِ التي مدح فيها ملوك غسَّان واثنى على دينهم وذكر عيد الشعانين فقال :

محلَّتهم ذات الإلهِ ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ
رقاق النعال طيِّبٌ حجزاتهم يحيّون بالريحان يوم السباسبِ

هذا ما علق في ذهن العرب عن نصرانيَّة غسَّان ولعلَّهُ كاف ليقنع بشيوع دين المسيح في بادية الشام كلّها لانَّ كلامهم يدلّ على انَّ النصرانيَّة بتلك الاصقاع ما كانت محصورة في غسَّان بل امتدَّت ايضاً الى القبائل العربيَّة من اهل الحضر والمدر الذين سكنوا في تلك الانحاء واختلطوا بمستعمريها . فمن اراد ان يتتبَّع تاريخ النصرانيَّة بينها ينبغي عليهِ ان يجمع ما دوَّنهُ المؤرخون اليونان والرومان والسريان منذ انتشار الدين المسيحيّ في تلك الجهات اذ لا يجوز القول بانَّ النصرانيَّة لم تزل في غير الاجانب المستوطنين فيها واقوالهم جديرة بالاعتبار وهم معاصرون الامور التي كتبوا عنها

فممَّا رواهُ اوسابيوس القيصري في تاريخهِ الكنسي (ك ٦ ف ١٩) انَّ النصرانيَّة كانت في مبادئ القرن الثالث للمسيح راسخة القدم وافرة العدد في بصرى حاضرة حوران . وقد اخبر عن اوريجانوس المعلّم الاسكندري الشهير انَّهُ رحل ثلاث مرات الى بصرى . فالمرَّة الأولى استدعاه حاكما الروماني المدعوّ جاليوس سنة ٢١٧ ليفقّهه تعاليم الدين المسيحيّ ويتخبَّره فجاء اوريجانوس الى بلاد العرب ملبّيا دعوتهُ وبعد انَّ اتمَّ مرغوب الحاكم وعمَّدهُ رجع الى الاسكندريَّة . امَّا الرحلة الثانية فباشرها اوريجانوس كما افاد اوسابيوس في تاريخهِ (ك ٦ ف ٣٣) بسبب بيرلوس مطران بصرى . فانَّ هذا الرجل كان من مشاهير اساقفة زمانهِ في

بلاد العرب ألّف رسائل ومقالات دينيَّة وادبيَّـة فصيحة الالفاظ بليغة المعاني لولا انَّهُ شطَّ في كلامهِ عن لاهوت السيّد المسيح فجرى بينـهُ وبين الاساقفة معاصريهِ جدال وخصام ولمَّا لم يقنعوه ارسلوا الى اوريجانوس ليأتي الى حوران فيباحث بيرلُّوس المذكور ويردّهُ عن ضلالهِ فعاد المعلّم الاسكندري الى حاضرة بلاد العرب وبعد ان اجتمع باسقفها وتحقق شططهُ عرض عليهِ الرأي الصحيح وأزال ريبهُ فجاهر بيرلُّوس بخضوعهِ للايمان المستقيم امام مجمع من الاساقفة عُقد لذلك وانصرف اوريجانوس راجعاً الى الاسكندريَّة. ففي التئام هذا المجمع دليل واضح على نفوذ النصرانيَّة في بادية الشام ووجود اساقفة في مدنها كجرش (Gerasa) وربَّة عمَّان (Philadelphie)

امَّا المرَّة الثالثة التي قدم فيها اوريجانوس الإمام الى بادية الشام فكانت بسبب بدعةٍ ابتدعها بعض اهلها فزعموا انَّ النفوس تفنى بالموت كالاجساد ثم تُبعَث يوم الدينونة معها لتنال الثواب عن اعمالها. فلمَّا عرف اوريجانوس بهذا القول اسرع الى تفنيدهِ في مجمع ضمَّ اربعة عشر اسقفاً وبيَّن امـام الجموع الملتئمة لاستماعهِ حقيقة تعاليم الكنيسة فرد الضالين وثبَّت الايمـان في قلوبهم وانكفأ منصرفاً الى مركزهِ (راجع تاريخ اوسابيوس ك ٦ ف ٣٧)

وكان قبـل ذلك بمدَّة اشتهر مبتدع آخر نصراني من عرب الشام اسمهُ منيم (Monoimos) كان هذا كطاطيانوس (Tatien) تلميذاً للقديس يستينوس النابلسي والفيلسوف الشهيد لكنَّهُ خلط بين الآراء الفلسفيَّة والايمان كما ذكر تاودوريطوس في كتـاب الهرطقات (Fab. Hær., I, 18) واتَّضح مؤخرًا من كتاب القديس هيپوليتس الشهيد المدعو بفيلوسوفومينا (Philosophoumena)

وممَّا يثبت ارتقاء النصرانيَّة واتساع دائرتها في بادية العرب انَّ منها خرج اول قيصرة الرومان النصارى. ونريد بهِ فيلبُّوس العربيَّ الذي ملك على رومية من السنة ٢٤٤ الى ٢٤٩. وكان اصله من بصرى ثم تجنَّد في جيوش الرومان ولم يزل يتقلَّب في كلّ منصب جنديَّة حتى صار كبير رؤساء العسكر ووزير الحرب وصحب غرديان الثالث في محاربة الفرس. الَّا ان الجند شغبوا على الملك في طريقهِ واقاموا بدلاً منهُ فيلبُّوس العربيَّ. وكان فيلبوس نصرانيًا كما تشهد على دينهِ الآثار التاريخيَّة ورسائل اوريجانوس اليهِ. وقد زعم البعض انَّ غرديان قُتل باغرائهِ الَّا انَّ غيرهم ينكرون

ذلك بتاتاً ولعلّهُ لم يخلُ من الطمع فلم يدافع عن مولاه كما وجب عليهِ ولذلك قد اخبر اوسابيوس القيصري (ك ٦ ف ٣٤) وصاحب التاريخ الاسكندري (Chronicon Alexandrinum). انهُ لمّا عاد راجعاً بالعسكر الى رومية مرّ بانطاكية واراد ان يشترك مع النصارى في موسم عيد الفصح الّا انّ اسقف المدينة القديس بابيلاس تصدّى لهُ ولم يسمح لـهُ بمشاركة المؤمنين الّا بعد اعترافهِ بخطاياه وتقدمتهِ التوبة عنها (١. وكانت ايام فيلبّوس العربيّ ايّام راحة وعمران للدولة الرومانيّة وفي عهدهِ أُقيمت الافراح العموميّة في كلّ المملكة بنسبة مرور الف سنة على مدينـة رومية ومن اعمـالهِ تشييد مدينة «عمّان» في حوران ودعاها باسمهِ «Philippopolis»، ونالت بهمّتهِ النصرانيّة سلاماً موقتاً فانتشرت ايّ انتشار الى ان فتك بهِ احد القوّاد المدعو دقيوس وقتلهُ مع ابنهِ وتولّى الامر مكانهُ. قال اوسابيوس (ك ٦ ف ٣٩) انّ دقيوس هذا اثار على النصارى اضطهاداً دمويّاً بغضاً بفيلبوس سلفهِ. وفي تاريخ اوروزيوس (اوروشيوس) من كتبة القرن الخـامس (ك ٧ ف ٢١) انّ دقيوس قتـل فيلبوس وابنهُ بسبب تنصُّرهما وعليهِ يكون موتهما استشهاداً. وقد جمع البولنديّون في اعمال القديسين (Acta SS. Janv., II, 617-621) عدّة شواهد تثبت ذلك. فكفى بهِ فخراً لبـلاد العرب انّ اوّل قياصرة رومية المتنصّرين كان مولدهُ في ربوعها وسبق قسطنطين في تنصُّرهِ

كلّ ما سبق قد تمّ قبـل القرن الرابع فلمّا نالت النصرانيّة حرّيتها وخرجت ظافرةً من الديميس زاد الدين بذلك رونقاً وعزّاً في بادية العرب وكافّة مدنها ولنا ادلّة على ذلك في الكنائس العديدة التي تشيّدت منذ ذلك العهد بكل انحاء حوران والصفا واللجا وجولان والبلقاء التي وَجد كثيراً من بقاياها الجليلة الاثريّون الذين تجوّلوا في تلك الجهات كوادنغتون (Waddington) ودي فوكويه (de Vogüé) ووتشتين (Wetzstein) وراي (Rey) ودوسّو (Dussaud) وآباء رهبانيّتنا. وكلّهم وصفوا هذه الآثار ورسموا تصاويرها وذكروا تواريخها (٢

---

١ [illegible] ايضاً تاريخ مختصر الدول لابن العبري (ص ١٢٣)

٢ راجع كتاب وادنغتون ودي فوكويه (Waddington et de Vogüé: *Syrie Centrale: Architecture civile et religieuse du Ier jusqu'au VIIe siècle*, Paris. 1864)

ومن هذه الآثار مئات من الكتابات اليونانيَّة واللاتينيَّة وجدت في نيّف ومائة موضع فيها اسماء كنائس واساقفة ووجهاء من النصارى وعليها رموز نصرانيَّة لا شكَّ فيها كالصليب في هيئات مختلفة واوّل حروف اسم السيّد المسيح والانجر وسعف النخل والسمكة. ومنها ما يحتوي شعارًا دينيًا صريحًا كآية التوحيد «الله واحد هو» وتسبحة السيّد المسيح «قد انتصر المسيح» او «المسيح اله هو».
وبين تلك الكتابات كتابة عربيَّة سبقت الاسلام خمسين سنة باحرف عربيَّة تاريخها سنة ٤٦٣ لبصرى اي ٥٦٨ للمسيح وُجدت في حوران وجاء فيها ذكر مشهد أُقيم تذكارًا للقديس يوحنا المعمدان على يد احد شيوخ القبائل العربيَّة المدعو شراحيل (١

وكذلك توفرت شواهد المؤرخين الذين ابقوا لنا ذكرًا للنصرانيَّة ولاهورها الدينيَّة والمدنيَّة في بادية الشام. فمنها جداول الاساقفة الذين حضروا المجامع المسكونيَّة الكبيرة التي سبقت الاسلام وبالاخصّ الاربعة الأولى في نيقية والقسطنطينيَّة وافسس وخلقيدونية، فهناك اسماء عدَّة اساقفة اتوا من مدن بادية الشام وصادقوا على اعمال تلك المجامع بتوقيعهم واسماء بعضهم عربيَّة محض كالحارث او منقولة عن العربيَّة كثاودولس تعريب عبدالله وثاودورس تعريب وهب الله

وكان هؤلاء الاساقفة من اهل الحضر يسكنون مدن بادية الشام. الَّا انَّ غيرهم كانوا يسكنون المضارب وينتقلون مع القبائل الراحلة الناجعة المتنقِّلة في المجالات ارتيادًا للمراعي عنها ومصالح ابلها. وقد بلغتنا اسماء بعضهم ممَّن عرفوا باساقفة الخيام وحضر بعضهم المجامع الكنسيَّة وامضوا عليها

واشتهر بعض اساقفة البلاد العربيَّة بما خلَّفوهُ من الآثار. منهم القديس طيطس رئيس اساقفة بصرى وضع عدَّة تآليف اعظمها شأنًا ما كتبهُ في تزييف بدعة ماني والمانويين وكانت هذه التآليف مفقودة حتَّى توفق الى اكتشافها في عهدنا بعض المستشرقين نوجدوه في السريانية ونشروها مع ترجمتها. وكان طيطس في عهد يليانوس الجاحد ولم يخف من تحذير شعبه عن كفر ذلك القيصر المارق

واشتهر في القرن الخامس بين خلفائه على كرسيّه القديس انطيفاتر صاحب

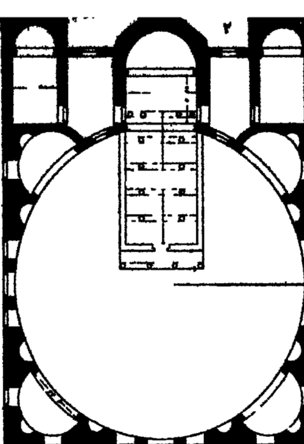
---

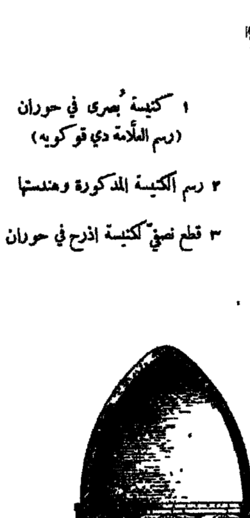
١) اطلب كتب لوبا وودنتون (Ph. Le Bas et Waddington: *Inscriptions Grecques et Latines*, III, p. 563)

١ كنيسة بُصرى في حوران
(رسم العلّامة دي فوكويه)

٢ رسم الكنيسة المذكورة وهندستها

٣ قطع نصفي لكنيسة اذرح في حوران







مصنَّفات عديدة في مواضيع دينيَّة شتَّى كمقالات في ايضاح الايمان وميامر في الاعياد وردود على الهراطقة

وفي تاريخ كتبة اليونان كسوزومان (ك ٦ ف ٣٨) وروفينوس (ك ٢ ف ٦) وثاودوريطس (ك ٤ ف ٢٠) وثاوفان في تاريخ سنة ٣٦٩ وغيرهم من مؤرخي القرن الرابع الى اواخر السادس للمسيح فصول شتَّى واخبار منثورة عن احوال الدين بين عرب الشام تفيدنا علما عن سطوة النصرانيَّة واجتذابها لقلوب اهل البادية لاسيما بواسطة السيَّاح والنسَّاك الذين كانوا يعيشون في قفارهم ويخدمون الله كملائكة متقمصين اجساداً هيوليَّة. فكانت فضائلهم العجيبة والكرامات التي تجري على ايديهم من شفاء الاسقام وطرد الارواح النجسة واستمداد النعم الروحيَّة والبركات الزمنيَّة تجذب اليهم اهل المدن والقرى فلا يلبثون ان يسمعوا تعاليمهم ويستنيروا بارشاداتهم ويهتدوا على ايديهم الى جادة الحقّ فيطلبوا الاصطباغ بمياه المعمودية

قال سوزمان في تاريخه (Sozomène, HE, VI, c. 38) عن عرب الشام: «قد تنصَّر كثير من العرب (هو يدعوهم بالشرقيين Σαρακηνοί) قبل زمان والنس (من ٣٦٤ الى ٣٧٨) ممَّن اجتذبتهم الى الايمان المسيحي ارشادات الكهنة والرهبان الذين كانوا يعيشون في النسك والزهد في الانحاء المجاورة هم عائشين بالقداسة ومجترحين المعجزات الباهرة». ثم ذكر سوزمان ما اشرنا اليه سابقاً في دفعنا عن نصرانيَّة غسَّان اعني رجوع قبيلة كبيرة كان زعيمها يدعى زوكوموس (وهو ضجعم) فنال له احد الرهبان بصلاته الى الله ولدا ذكرا فاعتمد هو وكل قبيلته

واردف المؤلف ذلك بخبر ماوية ملكة العرب التي حاربت الرومان وغلبتهم واستولت على بلادهم الى تخوم مصر ولم ترضَ بصلحهم الَّا على شرط بان يرسل الرومان الى مملكتها ناسكاً شهيرًا يُدعى موسى خصَّه الله بصنع العجائب وبقداسة الحياة فيتقف على العرب الذين تحت حكمها وكان عدد النصارى الذين وجدهم في دولتها قليلا اما هو فنال معظم الناس وعمدهم. وقد خبَّر ثاودوريطس في تاريخه (ك ٤ ف ٢٠) انَّ ماوية هذه توطيدًا للصلح مع الرومان قرنت ابنتها بالزواج من القائد الروماني وكتور. وكانت الفتاة شديدة التحمُّس في الايمان

ومنذ ذلك الحين قد ورد اسم احد ملوك غسان ايضاً في تواريخ المسيحيين و...

في تواريخ اليونان واللاتين تجد الكتبة لسانا واحدا في وصفهم كنصارى يخصُّهم الكتبة بالالقاب الشرَفية الممنوحة لهم من القياصرة فيُدعَون بطارقة وامراء وذوي العزّ والدولة. وربَّ زادوا على هذه الالقاب ما دلَّ على دينهم فيُدعون مؤمنين (ܡܗܝܡܢܐ ܘܡܫܡܫܢܐ ܫܪܝܪܐ) ومحبين للمسيح (ܪܚܡܐ ܘܡܗܝܡܢܐ ܕܡܫܝܚܐ ܫܪܝܪܐ) وكذلك ورد في احد مخطوطات لندن اسم كاهن يُدعى «كاهن ذي العزة والمحب للمسيح البطريق المنذر بن الحارث» (١

وفي القرن الخامس اخذ الرهبان يعيشون عيشةً اجتماعيّة بعد ان كانوا يعيشون منفردين في الاقفار والمرجَّح انَّ الاديرة التي ذكرها حمزة الاصبهاني وابو الفداء وغيرهما بُنيت في هذا الزمان. وكذلك الاديرة التي وصفها ياقوت الرومي في معجم البلدان كدير أيوب في حوران (في قنوات على ما يظنّ وهي بلد أيوب) ودير بَوَنَّا ودير سعد ودير بصرى وقد بقي بعض هذه الاديرة مدةً حتى بعد عهد الاسلام

ومـا زاد النصرانيَّة ترقّيا في بلاد العرب عدد كبير من الاساقفة والكهنة والرهبان كانوا في ايَّام الاضطهادات على عهد القياصرة الوثنيين او ملوك الروم المتشيعين لا يجدون على حياتهم امانا الَّا بان يهجروا بلادهم ويفرُّوا الى انحاء العرب حيث كان يصعب على المتعصبين ان يدركوهم ويلحقوا بهم الأذى

وربَّما نفى المتعصبون هؤلاء المعترفين بالايمان من بلادهم الى بلاد العرب ليذوقوا هناك مشقَّات العيش من الجوع والعطش والعري. وكثر عددهم في ايَّام بدعة آريوس. وكان بعض هولاء رجالًا ذوي علم واسع وفضل كبير كايايًّا بطريرك القدس واوجان اسقف الرها وبروتوجان اسقف حرَّان. فكان المنفيُّون اذا احتلُّوا بين العرب سعوا في انارة عقولهم وبينوا لهم بطلان اوثانهم وأقنعوهم بجحد اضاليلهم

بل يذكر التاريخ جملة من الشهداء قُتلوا في سبيل الايمان في بادية الشام ومدنها كالقديسين كيرلس واكويلا ودومطيان المستشهدين في مدينة عمَّان على عهد ديوقلطيانوس وتذكرهم الكنيسة في ١٠ آب وكزينون وزيناس الشهيدين على عهده ايضا سنة ٣٠٤. وذكر اوسابيوس القيصري (ك٨ ف ٢١) انَّ في زمن هذا الملك «قُتل عدد لا يُحصى من الشهداء في بلاد العرب». وفي السنكسار الروماني عدَّة شهداء

١) اطلب كتاب نولدكه عن غسان (Die Ghassan. Fürsten, p. 8)

قُتلوا في بادية الشام في ذلك الاضطهاد عينهِ فيُكرمون لشهامتهم في غرّة آب. واستشهد فيها على عهد يليانوس الجاحد القديسان اوجان ومكاريوس المكرَّمان في ك ١. فلا غرو انَّ دم هؤلاء الشهداء أخصب زريعة الايمان وانماها في جهات العرب

ومن هذه الآثار القديمة اعلام الامكنة التي بقيت حتى اليوم كدليل ناطق على اتّساع النصرانيّة في منازل غسّان لا سيما الصفا وحوران. فان عددًا دثرًا من اسماء الامكنة يدعى في زماننا بالدير كدير الكهف ودير قنّ عدّدها الاثريون دي فوكوي ووادنغتون ودسو وغيرهم

ويضاف الى هذه الشواهد جداول المراكز الدينيّة التي تدلّ على تعدد الاسقفيّات في تلك الانحاء. فان مطران البصرى وحده كان يحكم على ٢٠ اسقفًا (١ وكان بعض هؤلاء الاساقفة يتنقّلون مع القبائل الراعية فيسكنون الخيم ولذلك يدعونهم اساقفة الخيم (ἐπίσκοποι τῶν παρεμβολῶν) وقد امضوا غير مرّة اعمال المجامع بهذا التوقيع « فلان اسقف اهل الوبر » او « فلان اسقف القبائل الشرقيّة المتحالفة » او « فلان اسقف العرب البادية » (٢. أفترى بيّنة أعظم من ذلك على انتشار النصرانيّة بين عرب الشام

فهذه الحجج كافية ليقرّ كل مناظر بصحّة قولنا عن غسّان انّها كانت تدين بالنصرانيّة ولو شئنا لعزّزنا هذه الادلّة بشواهد اخرى من كتبة السريان كميخائيل الكبير ويوحنّا اسقف افسس ويوشع العمودي وابن العبري ونصوصهم توافق ما ذكرناه آنفًا

وممّا يقتضي التنبيه اليهِ انَّ النصرانيَة في بادية الشام ثبتت في عزّها الى ظهور الاسلام ونمت واتّسعت حتّى يجوز القول بانَّ الوثنيّة تقلّص ظلّها حتّى كاد يضمحلّ وممّا يدلّ على ذلك انَّ نصارى العرب الذين اجتمعوا مع الرومان لردّ غارات المسلمين في غرّة الاسلام كانوا الوفًا مولفة يبلغ الكتبة عددهم الى مئة الف بنيّف (٣

---

١) وجد في بعثة دوسو الى بادية الشام (René Dussaud : *Mission dans les régions désertiques de la Syrie moyenne*, p. 77) ان عددها كان ٣٣

٢) طالع مجموع اعمال المجامع (Labbe : IV, 83, 91, 268)

٣) راجع ما كتبه ايليا نصيبيني مؤرخ (Elias Nisib. *ap. Baethgen*, Fragm. 109)

فهذا العدد الوافر من القاتاين يدلُّ على انَّ النصارى في بادية الشام كانوا أُلوف الالوف فلا يكادُ يبقى بينهم مكان لاهل الشرك وعبدة الاصنام

هذا ولا ندَّعي ان النصرانيَّة الغالبة على بادية الشام كانت صافيةً خالية من كلّ شائبة وضلال . كلا بل نعلم حقَّ العلم انَّ البدعة اليعقوبيَّة تسرَّبت الى تلك الجهات وكدَّرت صفاء الايمان بما ادخلته من المعتقدات الباطلة في طبيعتي السيد المسيح وبزعمها انَّ المسيح طبيعة واحدة كما هو اقنوم واحد فمزجت اللاهوت بالناسوت وبلبلت كل تعاليم الخلاص

ولم تكن اليعقوبيَّة البدعة الوحيدة التي قوَّضت اركان التعاليم الرسوليَّة بل دخل الى بلاد العرب كثيرون من المبتدعين الذين كانوا يؤملون رواج اضاليلهم في انحائها دون ان يلاقوا فيهـا زاجرًا يزجرهم ولا وازعاً يزعهم . وكان بعضهم يفرّون الى جهات العرب لينجوا من مصادرة ملوك الروم الذين كانوا يريدون قهرهم على جحود اضاليلهم فيفضّل اولئك المتشيعون الهرب الى بادية العرب . فكثروا هنـاك ونشروا بدعهم حتَّى قال القديس ابيفانيوس انَّ بلاد العرب ممتازة ببدعها (Arabia hæresium ferax)

وقد رددنا في المشرق (١٠ : ٥٥٦) على بعض اعتراضات اعترض بها على نصرانيَّة غسَّان مراسل المقتبس فبيَّنَّا بطلانها . كزعمهِ بانَّ الحارث الاكبر ابن ابي شمّر الغسَّاني الملقَّب بالاعرج كان وثنيًا لأَنَّهُ اهـدى سيفَيْهِ رسوبا ومخذماً لبيت صنم كما روى الطبري (١ : ١٧٠٦) فاثبتنا نصرانيَّة الحارث بشواهد مؤرخين معاصرين للحارث من يونان ولاتين وسريان وقد ورد اسمهُ في الكتابات القديمة ملقَّباً بالمحبّ للمسيح كما رأيت وان كان يعقوبيَّ النحلة كما ذكر هؤلاء الكتبة . امَّا تقدمته سيفين لبيت صنم فهي رواية ضعيفة لا يتَّفق فيها الرواة (اطلب ياقوت ٤ : ٤٥٣) ما لم يقُل انَّ الطبريّ جعل بيت صنم احد معابد النصارى او يقال انَّ الحارث النصرانيّ اتى بفعلهِ عمـلًا ذميماً فنسي شرائع النصرانيَّة او تجاهل بها

واعترض الكاتب البغداديّ على نصرانيَة عرب غسَّان بشهادة ياقوت الحموي (٤ : ٦٥٢) بانَّ غسَّان كانت تعبد منـاة وذكر دعاءَها عند وقوفها عند صنمها . فكان جوابنا انَّا لم ننكر كون غسَّان دانت مدَّة بالوثنيَّة لكنَّها لمَّا تنصَّرت نبذت

عبادة مناة وبقيّة الاصنام منذ القرن الرابع للمسيح كما ثبت من الشواهد التي ذكرناها. هذا فضلا عن انّ الدعاء الذي ذكرهُ عن تاريخ اليعقوبيّ (١: ٢٩٧):
« لبيك ربّ غسان راجلها وفارسها » لا يختصّ بصنم ويجوز التوسّل بهِ

وكان آخر ما اعترض علينا الكاتب البغداديّ قول اليعقوبيّ الى الله الحقّ (١: ٢٩٨) بعد ذكر نصرانيّة غسّان انّ « قوما منهم تهوّدوا » فكان جوابنا عليهِ انّ الكتبة العرب اجمالا (الّا اليعقوبيّ) ليس فقط لم يذكروا تهوّد غسّان بل نفوا اليهوديّة عنهم. وعنهم نقل صاحب الفضل شكري افندي الالوسي البغداديّ في كتاب بلوغ الارب في احوال العرب (٢: ٢٦) حيث روى عن تبّع الاصغر الحميريّ انهُ لما تهوّد دعا الى اليهوديّة غسّان فابوا معتذرين بدخولهم الى النصرانيّة. قال: « وسار تبّع الى الشام وملوكها غسّان فاعطتهُ القادة واعتذروا من دخولهم الى النصرانيّة »

واضفنا الى قولنا هذا جوابا آخر فقلنا انهُ لمحتمل ايضا انّ اليعقوبيّ نسب اليهوديّة الى قوم من غسّان لانتشار بعض الشيع بينهم كشيعة الابيونيين (Ebionites) والنزاريين (Nazaréens) وغيرهما كانت من بقايا اليهود الاوّلين الذين تنصّروا وحفظوا شيئا من نواميس موسى وهم الذين خرجوا بامر الرب من اورشليم قبل حصارها في عهد طيطس فعبروا بلاد العرب وعرفوا باليهود المتنصّرين (Judéo-chrétiens)

الباب الثالث

النصرانيّة بين عرب الغور والساط والبلقاء

انّ نهر الاردن المعروف بالشريعة بعد خروجهِ من اغوار حرمون في جهات بانياس وجريهِ جنوبا فتتكوّن منهُ بحيرة الحولة يصبّ في بحر الجليل ثمّ يخترقهُ فيسيل متحدّرا الى الاعماق بين ضفّتين ترتفعان شرقا وغربا حتى يبلغ تحدُّرهُ نحو ٣٠٠ متر تحت سطح بحر الشام وينتهي الى بحر لوط فتلك الناحية التي يقطعها الاردن تدعى بالغور. وليست تلك الجهة مسيلا للنهر فقط بل تتسع ضفافها وترتفع بالتدريج في سعة يقدّر معدّلها نحو ١٠ كيلومترات فيها البقع المخصبة والنواحي العامرة والعيون المتدفقة

وان لحظت عبر الاردن وجدت وراء ضفافهِ شرقاً بلاداً واسعة تعلوها الجبال الشاهقة كجبل عجلون وجبل جلعاد وجبل نبو الى جبال مؤاب بينها المشارف الفسيحة والاودية الكثيرة الخيرات والمناجع الطيّبة كالسلط والبلقاء وصحاري مؤاب تتَّصل شمالًا ببادية الشام وجنوباً بنواحي كرك وجهات النبط وشبه جزيرة سينا فهناك سكنت شعوب كبيرة كالعمونيين والمؤابيين والمديَنيين. وكانت قبائل العرب البادية والحاضرة ممتزجة معها تتنقَّل في جهاتها من اريافها الى صرودها طلباً للمراعي او تسكن في المدر فتعنى بالفلاحة

فالنصرانيَّة وجدت لها في تلك الاقطار كلِّها بين اهلها المطبوعين على شظف العيش وسذاجة الاخلاق ومجانبة الترفه والبذخ تربةً صالحةً ما كاد يقع في ظهرانيها الزرع الجيّد حتى نما ايَّ نموّ. وكان حلول المسيحيين الاوَّلين في تلك الجهات قليلًا بعد صعود الربّ ولاسيما لمَّا ثار الاضطهاد الاوَّل على تلاميذ الرسل (اعمال ٨ : ١) ولمَّا جاء الرومان لمحاصرة اورشليم اذ خرجوا الى عبر الاردن بوحي من الربّ فاستوطنوا انحاءه كما اخبر اوسابيوس. ولا شكَّ انهُ نال العرب قسمٌ من تلك النعم الروحيَّة التي افاضها الله على سكَّان تلك الاصقاع فدانوا بدين المهاجرين

ومن الادلَّة التي تناقلها بالتقليد فدوَّنها المؤرخون تنصُّر الضجاعمة الذين سبقوا الغسَّانيين في ملك البلقاء. وقد حفظوا لنا اسم احد امرائهم فدعوهُ دوَّاد بن الهبولة المعروف باللثق وجعلوا مقامهُ في مادبا (اطلب تاريخ ابن خلدون ٢ : ١٥٣) وذلك في اواخر القرن الثاني للمسيح (١

ولمَّا انتهى طور الاضطهادات على المسيحيين في القرن الرابع قُسمت تلك النواحي ايالتين مدنيَّتين فدُعيت الواحدة بفلسطين الثانية كانت حاضرتها مدينة باسان والاخرى فلسطين الثالثة كانت حاضرتها مدينة بترا او سلع. وقد بلغ عدد الكراسي فيها قبل الاسلام نيفاً واربعين كرسيًا يُعرف اسماء كثيرين من اساقفتها الذين دبَّروها ورعوا مؤمنيها فناهيك بذلك شاهدًا صادقًا على امتداد الدين المسيحي في العرب

---

١) قال ابن دريد في كتاب الاشتقاق (طبعة ليبسيك ص ٣١٩): «والضجاعم كانوا ملوكاً بالشام قبل غسَّان ومنهم داود اللثق الذي يضاف اليهِ دير داود بالشام وقد ملك زماناً» والضجاعم هم بنو ضجعم بن سعد بن سليح بن عمران بن الحاف بن قضاعة)

وكان اكثر الدُّعاةِ عملاً في نشر النصرانيَّة نسَّاكها وسيَّاحها الذين كانوا اتَّخذوا لهم مآوي ومحابس يسكنونها معتزلين عن الناس ليعيشوا فيها عيشة الملائكة بالزهد وضروب المناسك الرهبانيَّة فكان مثلهم يعمل في قلوب العرب خصوصاً ويجتذبهم الى دين اولئك الابرار فيطلبون منهم نعمة العموديَّة

ومما اخبر بهِ القديس هيرونيموس في ترجمة القديس هيلاريون (١ انَّ هذا السائح الجليل الذي تنسَّك في جهات غزَّة سار الى مدينة الخلصة (Elusa) في البريَّة جنوبي بحر لوط ليعود احد تلامذتهِ وكان اهلها يدينون بالوثنيَّة ويكرمون الزهرة على شكل حجرة فوافق وصولهُ اليها يوم عيد الزهرة فلما بلغهم قدوم القديس خرجوا لاستقباله واكرموه اكراماً جزيلاً مع نسائهم واولادهم وكانوا يطلبون بركتهُ وكان قوم منهم نالوا بدعائهِ الشفاء من امراضهم فجعلوا يتوسَّلون اليهِ بان يقيم بينهم فوعدهم بان يفعل اذا نبذوا عبادة الحجارة وآمنوا بالسيّد المسيح . فاجابوا الى طلبتهِ ولم يدعوهُ يخرج من بلدتهم حتى اختطَّ لهم حدود كنيسة يقيمونها وكان ممَّن تنصَّروا على يد القديس كاهنهم وسادن اصنامهم . ومذ ذاك الوقت وردت عدَّة آثار عن النصرانيَّة في الخلصاء واسماء اساقفتها منهم واحد يسمى عبد الله وسنذكر اعمالاً أُخرى لهيلاريون

وممن دخلت النصرانيَّة بينهم في تلك الانحاء امَّة النبيط او النبط فهؤلاء كانوا ايضاً من العرب فأنشأوا دولة عظيمة ومصَّروا لهم الامصار واتَّخذوا لهم مدينة عظيمة يدعونها بترا او سَلَع لا تزال آثارها الفخيمة تدهش كلَّ من يقصدها . وقد مرَّ لحضرة الأب جلابرت (المشرق ٨ : ٩٦٥—٩٧٣) وصف بعض ابنيتها العاديَّة . وكان ظهور النبط نحو القرن الخامس قبل المسيح وما لبثوا ان اشتدَّ ساعدهم واستفحل امرهم وصار لملوكهم شهرة واسعة واستقلّوا بالملك في القرن الثاني قبل المسيح وكان اوَّلهم « الحارث الاوَّل » ودام ملكهم الى العشر الاوَّل من القرن الثاني بعد المسيح حيث تغلَّب الرومان على بلادهم وكان آخر ملوكهم مالك او مليكوس الثاني (١٠٣—١٠٧) واصبحت بلاد النبط اقليماً رومانياً يتولَّاه احد حكَّام رومية

وكانت بترا معبرًا لكلّ القوافل القادمة من مصر الى دمشق ومن جزيرة العرب الى فسطين ومن العراق الى مصر ولذلك ازدادت ثروتها واشتهر اهلها بالمتاجرة .

(١ اطلب اعمال الآباء اللاتين Migne P. L., XXIII, col. 42

وبلغتها النصرانيَّة قبل غيرها من مدن النبط وترى استيريوس اسقفها يلعب دورًا مهمًّا في عهد قسطنطين لمعاكسة البدعة الاريوسيَّة . ثم انتشرت النصرانية في بقية النبط وتأصلت فيهم وثبتوا عليها حتَّى بعد ظهور الاسلام بمدَّة حتَّى انَّ بعض الكتبة يدعون نصارى العرب نبطًا . ولك مثال على ذلك في بعض مقامات بديع الزمان في المقامة القزوينيَّة حيث جعل نصَّابهُ ابا الفتح الاسكندريّ نبطيًا فيقول متظاهرًا بالاسلام :

ان الله امنتُ فكم ليلة حدثتُ فيها وعبدتُ الصليبْ

وكذلك ضرب شعراء العرب المثل برهبان مدين وزهدهم . قال كثيّر عزَّة :

رهبان مدينَ والذين عهدتهم يبكون من حذر العقاب قعودا

وكانت نواحي الغور على ضفَّتي نهر الاردن اديرة عديـدة يُعرف منها نحو العشرين قد اكتشف بعضها حضرة رئيس مدرسة الصلاحيَّة المفضال الاب ي . ل . فدرلين (R. P. J. L. Féderlin) ووصف اخربتها وصفاً مدقّقا في مقالاتهِ الفريدة التي نشرها في مجلَّة الارض المقـدَّسة (١ في السنين ١٩٠٢ و١٩٠٣ و ١٩٠٧ ولا شكَّ انَّ رهبان تلك الاديرة اجتذبوا الى الدين المسيحيّ من كان يجاورهم من عرب الحضر . بل لدينـا دلائل على ترهب بعض اولئك العرب المتنصّرين في هذه الاديرة اشهرهم القديس ايليا البطريرك الاورشليمي فهذا كان عربيّ الاصل رحل من بلدهِ الى دير نطرون في مصر وبعد ان رتاض في الآداب الرهبـانيَّة سكن مدَّة في دير سابساس على ضفَّة الاردن اليُمنى ثم رُقّي الى رتبة البطريركيَة فدافع عن الايمان بغيرة شديدة حتَّى فضَّل النفي على موافقة المبتدعين ومـات في أيلة سنة ٥١٣

وممن يستحقّ ذكرًا خصوصياً في تبشير العرب ودعوتهم الى النصرانيَّة القديس العظيم افتيميوس كوكب بريَّة الاردن وجهات الغور فانَّ الله اصطفاهُ في اواسـط القرن الخامس لينير عددًا عديدًا من العرب ويهديهم الى سبيل الايمان فانَّ المؤرخ الشهير والراهب معـاصره كيرلُّس من سيتوبوليس (Scythopolis) او بيسـان روى في ترجمتهِ تفاصيل ذلك الخبر الذي رواهُ حضرة الاب بيترس من جماعـة

(١ اطلب LA TERRE SAINTE : Recherches sur les Laures et Monastères de la plaine du Jourdain et du désert de Jérusalem راجع ايضاً ما كتبهُ بلاديوس الاسقف في تاريخهِ (المشرق ٥ : ١٦٦) ويوحنا موسكوس في المرج الروحي

البولنديين (في المشرق ١٢ : ٣٤٤—٣٥٣) نقلا عن نسخة عربيَّة قديمة في مكتبتنا الشرقيَّة وخلاصتهُ انَّ احد الوثنيين يونانيّ الاصل المدعوّ اسپاباط ولعلَّهُ اصبهبذ (Ἀσπέβετος) ولّاهُ ازدشير الملك تخوم العجم فلمَّا اثار الاضطهاد على نصارى مملكتهِ واخذ يصادرهم ويذيقهم ضروب العذابات جعلوا يأتون هاربين من العجم الى ممالك الرومان واسپاباط لا يتعرَّض لهم رغماً عن اوامر الملك فسعى المجوس بهِ لدى ازدشير ليعاقبهُ ففرَّ هو ايضاً هاربا الى اراضي الرومان حيث أكرم وفادتهُ اناطوليوس الحاكم وولّاهُ على القبائل العربيَّة المنتمية لرومية

وكان لاسپاباط ولد يدعى طرابون مصاب بالفالج افرغ ابوهُ في شفائهِ كل الوسائل دون فائدة فالتجأ اخيرًا بالهام من الله الى القديس افتيميوس فشفى الغلام ونصَّر اباه ودعاهُ بطرس وعمّد كلّ آل بيتهِ وتبعهم في دينهم قوم كثيرون من العرب سعى القديس افتيميوس في تلقينهم كلّ عقائد النصرانيَّة. ثمَّ اجتذب مثالهم غيرهم من قبائل العرب فخطَّط لهم القديس افتيميوس حدود مدينة صغيرة ليست بعيدة من ديرهِ وامرهم ببنائها على رسم معلوم وحفر لهم بئرًا وابتنى لهم كنيسة ودارًا لزعيمهم . ثم اتفق مع البطريرك يوبناليوس لجعل بطرس اسقفا عليهم. واخذ كثيرون من العرب يتواردون الى منزلهم حتَّى بلغ عددهم عشرين الفا ودعيت مدينة هؤلاء المتنصرين بالمحلَّة (παρεμβολή) وتوالى الاساقفة عليهم حتَى اواخر القرن السادس مع ما الَمَّ بهم من الضيقات والبلايا لا سيما بمعاداة قبائل العرب الوثنيين الذين غزوهم غير مرة (١

والحقّ يقال ان هولاء الغزاة كانوا على ما نوف عدة شديدة العرب يتلصصون الإقفار فينهبون محابس الرهبان وديرتهم ويسلبون ما يجدونهُ فيها. وقد اخبر كاسينانوس في خطابهِ السادس (Migne, P. L., XLIX, col. 643-648) انَّ هؤلاء الاشقياء هجموا على تقوع على مسافة ستة اميال من مدينة بيت لحم جنوباً فقتلوا رهباناً كانوا يعيشون في البراري بالنسك والتقى ثمَّ اخبر انَّ اهل تلك الناحية ابدوا لذخائرهم اكراماً عظيماً " ولاسيما جموع العرب الذين هناك وبلغت رغبتهم في

---

١) اطلب ترجمة القديس افتيميوس للأب الاب الدومنيكي (F. R. Genier. O. P.: *Vie de S' Euthyme le Grand*)

اقتنائها الى ان وقع بينهم قتال للفوز بتلك الاجسام المقدَّسة · وكان ذلك سنة ٣٩٥ للمسيح. وفي هذا دليل على انَّ عرب فلسطين كانوا يدينون بالنصرانيَّة

وجاء ايضاً في مجموع المجامع (Labbe: *Collect. Concil.*, III, 728) انَّ البطريرك يوبيناليوس سقَّف عددا من الاساقفة لجهات العرب قبل السنة ٤٣٠ وهذا دليل آخر على انتشار النصرانية بين عرب فلسطين. وورد قبل ذلك في تاريخ سنة ٣٦٣ في مجمع انطاكية اسم اسقف يُدعى ناوتيموس قد وقَّع على اعماله بهذا الامضاء « ناوتيموس اسقف العرب » ولعلَّهُ اراد قبائل العرب الساكنة في نواحي تدمر حيث كانت النصرانية اصابت مقاما رفيعاً ليس فقط في حواضرها كتدمر والقريتين وحوّارين ولكن في بادية تدمر نفسها حيث تنصَّرت القبائل المتنقلة فيها

الباب الرابع
النصرانيَّة في النجب وطورسينا

ان انحدرت من فلسطين جنوبا فسرت من غزَّة على سِيف البحر مارًّا بالعريش حتى ترعة سويس ثمَّ مددت من هاتين النقطتين خطَّين متوازيين الى الجنوب انبسطت أمامك البراري الواسعة كبرّية سين وبرّية سور وبلاد الشراة والنَّجب ثمَّ يتشكَّل لك شبه مثلث مخروط رأساه الاعليان عند خليج سويس غربا وخليج عقبة شرقا والرأس الثالث يدخل في البحر ويُعرف براس محمَّد. فهذا المثلَّث الكبير هو شبه جزيرة سينا فيه بادية التيه التي تنقَّل فيها بنو اسرائيل سنين عديدة وبرّية فاران. وهناك سلسلة جبال شاهقة كجبل غرندل وجبل سرابيط الخادم وجبل التيه وخصوصاً طور سينا او حوريب وجبل موسى وجبل سربال وجبل كاترين مع ما فيها من الاودية (انظر في المشرق ٩: ١٠٦٨ خارطة طور سينا) فتلك البلاد كانت شمالًا في ايَّام بني اسرائيل مواطن للادوميين والعمالقة والمدينيين وقد كثرت فيها بعد ذلك قبائل العرب من بني اسماعيل والنبطيين فاستولت عليها واقتسمتها وكانت تتجوَّل فيها على حسب حاجتها كي يتجوَّل الملك في مملكته والسيّد في املاكه دون ان تركز في محلٍّ مخصوص الَّا هل المدن منها فانه وجدت في بعض بقعها وواحاتها ما يقوم بلوازمها ومناجع مواشيها فاستوطنتها

فهذه البلاد وسمة قدم اليها تلامذة المسيح ليدعوا الناس الى دين سيّدهم ·

وممن ذكرهم القدماء الرسول برتلماوس فقالوا عنهُ انهُ « تلمذ بلاد العرب والنبط » يريدون جنوبي الجزيرة وهذه الجهات خصوصاً . وجاء في تاريخ القبط للمقريزي (Wetzer: *Macrizii Historia Coptorum*, p. 14) انَّ متيَّاس (وهو الرسول الذي أُقيم بدلًا من يهوذا الاسخريوطي) سار الى بلاد الشراة [1] فبشَّر فيها بالمسيح

وكانَ النصرانيَّة وجدت في تلك الانحاء ملجأً في قرون الميلاد الاولى نزعت اليهِ ولاذت بهِ رغبةً في التنسُّك والزهد او فرارًا من اضطهادات الوثنيين فكان نصارى مصر والشام يرون في شبه جزيرة سينا مقاما آمنًا لا يستطيع العالم ان يكدّر فيهِ صفاء حياتهم الملائكيَّة ولا يقدر اعداؤهم القبض عليهم فكانوا يسكنون في اوديتها ووهادها او يرقون جبالها ليعيشوا فيها عيشة سماويَّة في مناجاة الله

ولنا على ذلك عدَّة شواهد ترتقي الى اواسط القرن الثالث للميلاد منها رسالة القديس ديونيسيوس اسقف الاسكندرية كتبها الى فابيوس اسقف انطاكية وصف فيها المحن والبلايا المتعددة التي نالت نصارى مصر بسبب اضطهادات الخلفاء وعبدة الاوثان لاسيما في عهد القيصر دقيوس فما قاله [2] : انَّ اسقف مدينة نيلوس هرب الى جبال العرب مع عدد كبير من النصارى فبعضهم ماتوا وبعضهم استعبدهم العربان الى ان افتداهم النصارى بالمال الكثير وبقي غيرهم منقطعين الى العيشة النسكيَّة . وقد اثبت المؤرخون في اعمال القديسين وبعض مؤرخي الكنيسة انَّ العيشة الرهبانيَّة في شبه جزيرة سينا وما وراء بحر القلزم سبقت عهد القيصر ديوقلطيانوس

وجاء في اعمال القديسين الشهيدين غلاقتيون وامرأته ابيستيمة المولودين في حمص [3] انهما نذرا عفَّتهما في ازواجهما ورحلا الى طور سينا حيث وجدا عشرة من النساك كانوا يعيشون هناك عيشة الابرار فاخذ العروسان عنهم آداب السيرة النسكيَّة وعاشا منفردين الاعمال البرّ غلاقتيون بين الرجال وابيستيمة مع النساء حتى بلغ خبر اولئك السيّاح والي الرومان سنة ٢٥٠ فطلبهم وقتلهم شهيدين

ومع ما كان يأتي اولئك السيّاح من انواع المشقات من القبائل الوثنيَّة التي

---

١) وفي طبعة مصر الخطط والآثار (٢ : ٤/٣) انهُ سار الى الشرق وهذا تصحيف

٢) راجع مجموع آباء اليونان لمين Migne. P. L., X col. 1305—6 وتاريخ اوسابيوس القيصري (ك ٦ ف ٤٢ و٤٣)

٣) راجع مجموع الآباء (Migne. P.G., CXVI, col. ...

تسكن جهات الطور والبراري المجاورة لارض مصر لم يلبث أن يؤثّر في بعضها مثل اولئك الابرار حتى ارتدَّ منهم قومٌ الى الايمان ونظنّ ان القديس ديونيسيوس الاسكندري يشير الى هؤلاء المتنصّرين في كتابهِ الى البابا القديس اسطفانوس الاول نحو سنة ٢٥٥ حيث يبشرهُ بموافقة الكنائس الشرقيَّة على تعليمهِ بخصوص معموديَّة اهل الشيعة قال (١: « وقد ترى رأيكم كلّ الاقاليم السوريَّة مع بلاد العرب التي تقومون من حين الى آخر بضروريّاتها والتي وجَّهتم اليها رسائلكم الآن ». فقولهُ « بلاد العرب » يدلّ خصوصا على ما جاور منها مصر كما يظهر من القرائن. وقولهُ « تقومون بضروريَّاتها » دليل حيّ على عناية الكرسي الرسولي في القرون الاولى بكل كنائس العالم حتى اقصاها لمساعدتها في حاجاتها الروحية والمادّيَّة

وفي هذه البلاد العربيَّة المجاورة لمصر بشَّر بالايمان احد الشهداء في عهد ديوقاطيانوس وهو القديس كيروس كما ورد في اعمالهِ التي نشرها الكردينال ماي (٢ ونصر جمًّا غفيرًا من اهلها بكلامهِ ومعجزاتهِ ثمَّ قُتل شهيدًا

واشتهر منهم اربعون شهيدًا قتلهم العرب الوثنيون في سنة ٣٠٩. وكان هؤلاء تنسَّكوا في لحف جبل موسى يعيشون هناك في الصوم والشغل اليدويّ فوثب عليهم اهل البوادي وقتلوا منهم اربعين وقد أُقيم لذكرهم دير ترى حتى يومنا آثارهُ ويدعى بدير الاربعين (٣ ويعيَّد لهؤلاء الشهداء في تاريخ ٢٨ ك ١

ولمَّا فازت النصرانيَّة بتنصُّر قسطنطين رسخ الدين النصراني في انحاء طور سينا والبلاد العربيَّة الواقعة بجوارهِ. وقد اخبر المؤرخون انَّ القديسة هيلانة شيَّدت كنيسة على طور سينا تذكارا لما جرى فيهِ من الاعاجيب في عهد موسى وشعب اسرائيل. وزاد النسَّاك عددًا وانتشارًا في سائر اصقاع تلك الجهات. ففي غزَّة ونواحيها الشرقيَّة والجنوبيَّة اشتهر القديس هيلاريون الذي ذكرهُ. ولا تزال آثار هذا

---

١) اعمال الرسل ... (Migre P.G., X, 1312-5)

٢) اطلب (A. Mai: *Spicileg. Romanum*, IV 30-2-1) اطلب ايضًا اعمال البولنديين (Acta SS, III Jan. 701)

٣) اطلب سياحة ... حولين يسوعي الى سينا (M. Jullien : *Sinai et Syrie*, p. 140)

الرجل العظيم باقيةً هنــاك وقد وصفها في الشرق (١ : ٢١٣–٢١٥) السائح الهمام الكاهن لويس موسيل نزيل كلّيتنا سابقاً مع بيان موقعها وذكر تلامذة القديس الذين اخذوا عنه الطريقة النسكيَّة. وفي ترجمة حياتهِ التي كتبها القديس هيرونيموس معاصرهُ ما ينبئ باعمالهِ الرسوليَّة بين عرب تلك النواحي وقد اقام عدة اديرة في ظهرانيهم في بريّة غزّة وجهات عين قادس وكان يتردّد اليه ويرافقهُ الرهبان في سياحتهِ زرافاتٍ بلغ احياناً عددهم الفي راهب (١). ولما شاع خبر قداستهِ كان الاهلون يخرجون اليهِ افواجاً افواجاً وجماهير جمهرة يتقدمهم الاساقفة والكهنة. وذكرنا سابقاً اكرام العرب له في خَلَصة. واخبر الثقــة انهم كانوا يقصدونهُ في كل حاجاتهم فتارةً كان يلتمس لهم المطر في سنتهم وتارةً كان يشفي نوقهم من عاهاتها وكان يخرج منهم الشياطين او ينال لهم من الله البرء من امراضهم فردّ النظر في مدينة العريش (Rhinocolure) لامرأة عمياء وابرأ من مرض عضال شيخ مدينة ايلة النصراني المدعو اوريون (٢). وذكر سوزومان في تاريخه الكنسي (ك ٥ ف ١٥) انّ القديس شفى ايضاً في غزّة جدّ الانسان الذي اشتهر بعدئذ بتقواه وشيّد اديرة وكنائس

وفي هذا القرن الرابع نُفي الى براري سيناء والنقب رجال افاضل من الاساقفة والكهنة نفاهم الملك قنسطانسيوس الاريوسي كالقديسين اوجان وبروتوجان المنفيَّين من الرها الى براري العرب (عيدهم في ٥ ايار) وفي ترجمة القديس هيلاريون ورد ذكر الاسقفين القديسين دراكنتيس وفيلون المنفيَّين في نواحي غزّة والى ايلة نفى الامبراطور قسطنطيوس القديس ايليا بطريرك اورشليم وكان عربي الاصل كما مرّ (٣). وكذلك اسقف ايلة الذي مضى عمال المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ كان عربيًا ويدعى غوتّا

واخذت الاديرة تمتد في اواسط البادية وتكثر حولها القبائل المتنصرة

---

(١) [illegible] هيرونيموس في [illegible] (Vita [illegible], P. L., XXIII, 42)

(٢) (Ibid. 37)

(٣) اطلب ترجمته [illegible] (Conférences de St Étienne [illegible] 1910, p. 287-330)

واخصُّ هذه الاديرة دير فاران الذي ورد ذكرهُ في كتاب المرج الروحي تأليف حنا موسكوس في القرن السادس للمسيح (١. وقد اثنى هناك على رئيسهِ غريغوريوس الذي صار بعد ذلك بطريركاً على انطاكية. وكان دير فاران حافلًا بالرهبان الوطنيين وغيرهم ذكر الآباء منهم القديس سلوانس رئيسهُ ثمَّ موسى الفاراني الشهير بقداستهِ وكراماتهِ

وفاران هذهِ كانت شهيرة في عهد الدولة الرومانيَّة واصبحت مدينةً كبيرة وافرة السكان وهي اليوم قرية حقيرة فيها نحو الخمسين بيتًا وهي تُدعى فيْران موقعها في وادٍ كثير الخصب تنمو فيهِ الاشجـار لاسيما النخيل وتجري فيهِ المياه الطيّبة فالنصارى دخلوا فاران ونشروا فيها دينهم حتى كاد يعمّ كل اهلهـا منذ القرن الرابع. وكان فيها كرسيّ اسقفيّ يذكر الروم في الميناون في ١٨ شباط اسقفها المدعوّ اغابيطوس او محبوب في عهد قسطنطين الكبير. وممَّن لا يُشكّ في تاريخهِ الاسقف نثرس او نثير في النصف الثاني من القرن الرابع وتلميذ القديس سلوانس. وكان امير فاران نصرانيًا يُدعى عوبديان او عبدان. وقد بقيت فيها النصرانيَّة معزَّزة رفيعة الشان الى القرن السابع وحجَّت اليها القديسة سياقيا (او كارية) في اواخر القرن الرابع في رحلتها الى الاراضي المقدسة والقديس انطونينوس الشهيد نحو سنة ٥٨٠. وترى بين اخربتها حتى اليوم بقايا من كنيستها ومدافنها النصرانيَّة عليها النقوش المسيحيَّة كالصلبان والرموز الدينية واسم السيّد المسيح مختصرًا

ومن الاديرة الشهيرة في التاريخ الكنسي دير ريث الذي موقعهُ بجوار مدينة الطور نهذا الدير زاد اليهِ الرهبان ونمت شهرتهُ حتى طمعت فيهِ قبيلة همجيَّة كانت تسكن في سواحل مصر يدعونها بلاميس (Blemmeys) فاجتازت بحر القلزم واغتالت رهبانهُ سنة ٣٧١ وفرَّت هاربةً فلما بلغ الخبر اهل فاران ساروا مع اسقف البلد وعوبديان الامير الى دير ريث وجمعوا جثث الشهداء ودفنوهم بكل اكرام. وقد روى اخبارهم أمونيوس الراهب الشاهد العياني لاستشهادهم

وقبل ان يقدّس هؤلاء وادي فيران وسواحل جبل الطور كان رقي قوم اخرون

١ اطلب اعمال الآباء اليونان Migne, P. L. LXXIV, 183-190

اعالي جبل موسى حيث كان التقليد عيَّن موقع مناجاة الكليم لربّهِ وحيث صعد ايليا الى جبل الله فانقطعوا على مثالهما للالهيات. وقد مرَّ بك ذكر بعض هؤلاء النسّاك في اواسط القرن الثالث. واخبر سولپيسيوس ساويرس (١ في سياحتهِ الى جبل سينا نحو السنة ٣٨٠ انهُ رأى راهبا كان يقطن اعالي سينا منذ خمسين سنةً. ثمَّ كثر عددهم فابتنوا لهم مآوي يسكنوا فيها. على انَّ لصوص العرب الوثنيين والمعادين لاهل الحضر المتنصّرين قدموا من شمالي الجزيرة وجهات الشراة وهجموا بغتةً على محابس الرهبان المتفرّقة في انحاء جبل موسى ووقع ذلك نحو سنة ٣٩٠ كما رواهُ احد الشهود العيان والكاتب اليونانيّ القديس نيلوس الذي مرَّ ذكره وكان هذا من اسرة شريفة تولّى نظارة الامور على مدينة القسطنطينيَّة ثمَّ استعفى ليتجرَّد لخدمة الله فرحل الى طور سينا مع ابنهِ تاودولوس وتنسَّكا في ذلك المقام. فقتل العرب في هذه الزحفة سبعة من السيّاح واسروا غيرهم وكان من جملتهم ابن القديس نيلوس الذي روينا شيئا من اخبارهِ في باب تاريخ اديان العرب وقد نجا من ايدي الغزاة في مدينة الخلصة بهمَّة اهلها النصارى واسقفها (٢

ومذ ذلك الحين اخذ رهبان جبل سينا يتحصَّنون في وجه الغزاة ولمَّا صار الامر الى يوستنيان الملك ابتنى لهم الكنائس الفخيمة والابنية الحصينة وجعل في خدمة الرهبان بعض قبائل العرب المتنصّرين اخصُّهم بنو صالح وقد عُرفوا بالجبليَّة. وكان الزوّار اذا ما قصدوا الاراضي المقدسة يزورون ايضًا هذه الاديرة لينالوا بركتهم وبركة اهلها وقد ازداد عدد رهبنها حتى جعل لطور سينا اساقفة عددنا اسماءهم في مقالة نشرناها في اعمال المكتب الشرقيّ (٣

وكذلك اشتهر بين الرهبان بعض القديسين والكتبة كالقديس نيلس السينوي في القرن السادس. وليس اقلّ منهُ شهرة القديس يوحنا رئيس طور سينا المعروف

---

١) اطلب اعمال الآباء اللاتين (Migne, P. L., XX, 194, Sulpice-Sévère, Dial. I. 17)

٢) عمل نيلوس اليوناني (Migne, P. G., LXXIX, col. 678-700)

٣) طالع الجزء الثاني من مجلة المجموعة Les Evêques du Sinaï (Mélanges de la Fac. Or. II, 408-421)

بالسُلَميّ او كليماكوس باسم كتاب الّفه دعاهُ سُلَّم الكمال وكان معاصرًا للقديس البابا غريغوريوس الكبير وكان بين القديسين مكاتبات رواها جامعو آثار الحبر الاعظم. وقد ذكرنا في المشرق (٧ : ٩٩٣) ما تبرَّع بهِ ذلك البابا من الحسنات لدير طور سينا حيث انشأ يوحنا مأوى للعجزة والزوَّار

وفي اعمال القديس صفرونيوس بطريرك القدس تكرَّر ذكر طور سينا ورهبانهِ والزوَّار المتردّدين اليهِ (١

وبعد ذلك بقليل استولى العرب المسلمون على شبه جزيرة سينا وقد قيل انَّ بين آثار دير الطور سجلًا اعطاهُ محمَّد كامانًا لاهلهِ وبقي عندهم الى ايَّام السلطان الغزي سليم الاوَّل فاخذهُ الى القسطنطينيَّة (راجع في المشرق ١٢ : ٦٠٩ و ٦٧٩) مقالتنا في عهود نبيّ الاسلام والخلفاء الراشدين للنصارى

ومن الآثار النصرانيَّة كتابات عديدة وجدت منقورة في الصخر او مكتوبة بالمغرة على جوانب وادي المكتَّب. فان السيَّاح كانوا اذا مرُّوا هناك كتبوا اسماءهم وطلبوا من الله الرحمة واعلنوا ايمانهم بالله الواحد ورسموا بعض العلامات المسيحيَّة كالصليب والانجر وسعف النخل والحرف الاوَّل من اسم السيّد المسيح . وهذه الكتابات منها يونانيَّة ومنها قبطيَّة لا شكَّ في نسبتها الى النصارى . وبينها كتابات اخرى عديدة مكتوبة بالنبطيَّة ومن جملتها ما نصفهُ يونانيّ ونصفهُ الآخر نبطي وبعض العلماء يرتأون انَّها للوطنيين المشركين امَّا غيرهم فيرجّحون ايضا انَّها للنصارى منهم من قبائل تيم الله وكلب واوس ممَّن اعتقدوا النصرانيَّة بل تُرى العلامات النصرانيَّة عليها كما تُرى على اليونانيَّة والقبطيَّة وان لم يكن في منطوقها ما يدلّ على الدين المسيحي صريحًا ما لم يقل انَّ تلك العلامات أُضيفت بعد ذلك العهد والله اعلم (٢

ومن البلاد اللاحقة بشبه جزيرة سينا بقعة واسعة في تخوم فلسطين عن جنوبها الشرقيّ كثيرة النخيل عرفها الكتبة اليونان ودعوها فينيقون (Φοινικών) اي مغرس النخل وقد ظنَّ البعض انَّ موقعها في وادي فيران الَّا انَّ كلام الكتبة

---

(١) اطلب ... (Migne, P. G. LXXVII, col. 719, 2, 3034, 3051)

(٢) اطلب المجلة الاسوية الروسية (J. A., 1859[1] 5 et 194) وسياحة الاب ميسال حولين الى سينا (ص ٢٧)

الاقدمين لا ينطبق عليها . والصواب انَّها شمالي غربي وادي فيران وقيل انَّ هنـاك مكانا يُدعى بالنَّخل لكثرة نخله فامَّا هو مدلول كتبة اليونان . ففي القرن السادس كان يحتلَّ هذا البقيعَ قومٌ من العرب من جذام ولخم وكان احد امرائهم يدعى ابا كرب . فروى عنهُ المؤرخ بروكوبيوس الغزّي (١ انَّهُ كتب الى يوستنيـان ملك الروم يقدّم لهُ ولايتهُ فشكرهُ الملك وجعلهُ اميرًا على كل قبائل العرب (phylar-que) التي في جوارهِ فتولّاها باسم ملك الروم واخضع العرب لامرهِ . ولا شكَّ انَّ هذا الامير كان نصرانيا ولولا ذلك لما رضي يوستنيان ان يولّيهُ على بلاد كان الدين المسيحي قد مدَّ عليهم سيطرتهُ كالنبط وبني كلب وغيرهم . وفيهِ ايضاً دليـل على نصرانيَّة العرب المستوطنين لبقعة النخيل التي كان ابو كرب مالكاً عليها

وقد جاءت الاكتشـافات الجديدة للسيَّاح الاوربيين في بلاد مواب وآدوم والنبط مثبتة لهذه الآثار التاريخيَّة القديمة فانَّ الكاهن العالم نزيل كلّيتنا سـابقا الدكتور لويس موسيل الذي تجوَّل مرارًا في تلك الانحاء وصف مـا رآى بالعيان في مجلَّدات ضخمة فرسم في تآليفهِ ما وجدهُ من الآثار كالرسوم والقبور والصلبـان وغير ذلك منها في قصر الموقَّر (٢ وفي العويرة (٣ وفي ام الرصـاص (٤ وممَّا تُرى بقاياهُ الى يومنا آثار كنائس عديدة في امكنة شتى كعَبد والعوجاء وفار وفينـان وحسبان والكسيفة والمكاور والمحيَ وقد يُسمَّى بعضها اليوم باعلام تدلُّ على دين اهلها كالكنيسة والنصرانيَّة والدير (٥ بل وجد بين الاحيا التي تسكن حتى الآن في تلك البوادي عادات نصرانيَّة تدلُّ على اصلها القديم كرسم الصليب والدعا الى السيّد المسيح (٦

ومنهُ سائح آخر جال في تلك الانحا سنة ١٩٠٨ يدعى دلمان (٧ فانهُ وصف

---

١) اطلب كتابهُ في الحرب الفارسيَّة Procopius: *De Bello Persico* I. 19

٢) اطلب كتابهُ (A. Musil : Arabia Petraea : I, Moab 194)

٣) فيهِ Ibid, III, 58 ٤) فيهِ Ibid I, 109

٥) فيهِ ايضا Ib. I, 97. 109, 120, 134. 193, 273, 338, etc, II¹, 67, 105, 205, 273, 278 ; etc. II², 18, 26, 39, 45, 110, 119, 125, 132, etc

٦) اطلب المجلد الثالث (Ibid. III, 297, 304, 326. ٧) اطلب كتاب سياحتهِ (Dr Gustaf Dalman : *Petra und seine Felsheiligtümer*, p. 98

نحو عشرين أثرًا نصرانياً وجدها في رحلتهِ الى جهات النبط

وليس اقلّ منها شأنًا ما رواهُ العالمان برونو ودومازفسكي في المجلَّدات الثلاثة الضخمة التي دوّنا فيها أعمال بعثتهما العلميَّة الى اقليم عربيَّة (١ وقد مرَّ وصفها للاب جلابرت في المشرق (٨: ٤٥٧—٤٦١) في المقالة المعنونة السكَّة الرومانيَّة من مادبا الى عقبة وفي هذا التأليف الجليل وصف آثار خطيرة للنصرانيَّة لا يسعنا هنا بيانها

فيؤخذ من كل هذه الادلَّة التي استدلَلْنا بها انَّ طور سينا والبلاد اللاحقة او المحدقة بهِ كاد يعمّها الدين النصراني في القرن السادس وقد اقرَّ بذلك المستشرق دوزي (Dozy) في مقدَّمة كتابهِ عن الاسلام (٢ قال: « انَّ شبه جزيرة سينا كلّها تقريبا كانت ارتدَّت الى النصرانيَّة وكانت حاويةً لجملة من الاديرة والكنائس وكان عرب الشام يدينون بالنصرانية (٣ »

الباب الخامس

النصرانيــة في اليمن

فلندعن طور سينا لننحــدر الى اطراف جزيرة العرب في جنوبها الشرقيّ حيث نلقى بلادًا واسعةً كثيرة الخيرات وافرة الاسباب تمتدُّ بين بحر القلزم وبحر الهنــد فيها السهول الرحبة المخصبة والجبال الطيبة الهواء الغنيَّة بالمعــادن وبالاشجار النافعة كالكروم والبنّ والوَرْس واللُّبان او الكُندُر. فتلك البلاد سكنتها امم عديدة تزاحمت فيها وتنازعت على ملكها وتركت فيها آثارًا عظيمة من ابنيتها كهياكل وقصور اشهرها قصرا غمدان وريْدان وكانت تلك الشعوب من عناصر شتَّى وقبائل مختلفة منها كوشيَّة ومنها ساميَّة. وبلاد اليمن تشمل عدَّة اعمال ومخاليف كعسير ومهرة وحضرموت والشحر ومن مدنها الشهيرة مأرب ذات السدّ قاعدة تبابعة اليمن ومن

١) اطلب (R. E. Brunnow et A. v. Domaszewski: *Die Provincia Arabia*)

٢) اطلب Dozy: *Essai sur l'Hist. de l'Islamisme*, (traduction de V. Chauvin), p. 13

٣) وهذا كلامهُ: La presqu'ile sinaïtique à peu près entièrement convertie, renfermait nombre de couvents et d'églises; les Arabes de Syrie professaient le Christianisme

حواضرهم ايضاً ظفار وصنعاء ونجران وزبيد وذَمار وعَدَن كلها قصبات شهيرة حافلة بالسكّان دارَّة المرافق. وكانت لغتها من اللغات الساميَّة تُدعى بالحميريَّة لها قلمٌ خاصٌ يُعرف بالمُسنَد وجد منها الاثريُّون المحدثون كتابات عديدة يرتقي بعضها الى الازمنة السابقة لتاريخ الميلاد بمئين من السنين تدلُّ على انَّ اهلها كانوا يدينون بالصابئيَّة ويكرمون القوات العلويَّة والنيّرات السماويَّة والسيَّارات السبع وكان المتملّك على اليمن في اوائل تاريخ الميلاد ملوك من حمير يتلقَّبون في الكتابات المكتشفة حديثًا في جنوبي جزيرة العرب « بملوك سبإٍ وذي ريدان » ولمَّا استولى ملوك حمير على بلاد حضرموت نحو السنة ٣٠٠ للمسيح اضافوا الى القابهم « ملوك حضرموت ويمانات » (١

لا مراءَ انَّ النصرانية منذ بزوغها وجَّهت انظارها الى اليمن كما يشهد عليهِ اقدم الكتبة الغربيين والشرقيين حتى ان بعض الآباء زعموا ان المجوس الثلاثة الذين سبق ترجيحنا لجنسهم العربيّ كانوا من اليمن وماتوا شهداء في صنعاء بعد ان عمَّدهم القديس توما قبل سفرهِ من عدن الى الهند (٢

ومن الرُّسل الذين يُنسب اليها التبشير بالمسيح في اليمن متى الرسول فانَّ اوريجانس في كتابهِ الذي ردَّ فيهِ على الامم ومثلهُ المؤرخ سقراط (ك ١ ف ١٥) وروفينوس في تاريخهِ (ك ١ ف ٩) والقديس هيرونيموس في تأليفهِ عن الكتبة الكنسيين ونيقيفوروس في تاريخهِ (ك ٢ ف ٤٠) كلهم يؤكدون بانَّ متى الرسول بشَّر في جهات الحبش وادعى المحدثون بان اسم حبش يطلق ايضا على اليمن وهو اسم شائع عند القدماء فسمّوا بهِ تلك الناحية لانَّ الحبشة كانوا استولوا مدة طويلة على اليمن ولأنَّ قبائل من الحبشة كانت اجتازت من سواحل الحبش الى اليمن وهذا القول لا يخلو من الصحَّة لان القدماء رُبَّما دعوا اهل اليمن بالحبش منذ عهد هيرودوتس واسطرابون (ك ١ ص٥١ من طبعة اوكسفورد) الَّا انَّ معظم الكتبة لا يسلّمون ببشارة متّى في اليمن ويزعمون انَّ القديس بشَّر حبشة افريقية ليس عرب اليمن

---

١) اطلب دائرة العلوم الاسلامية (Encyclopédie de l'Islam, p. 383)

٢) اطلب اعمال الآباء اللاتين (Migne, P. L., XXI, 230)

وسبق لنا ذكر القديس برتلماوس ودعوتهُ للعرب فانَّ الكتبة القدماء كاوريجانوس واوسابيوس القيصري (في التاريخ الكنسي ك ١ ف ١٠) وسقراط المؤرخ زادوا على تعريفهم العرب بقولهم انَّ الرسول برتلماوس بشَّر بالمسيح في الهند القريبة يريدون بها اليمن لانَّ اسم اليمن كان مجهولًا لديهم فسمَّوها بالهند القريبة معارضةً بالهند الشرقيَّة ما وراء البحر الهندي. ثم انَّ المؤرخ فيلوستورجيوس (ك ٢ ف ٦) وتاوفانوس في تاريخ سنة العالم (٦٠٦٤) وتاوفيلاكتوس (ك ٣) يدعون الحميريين بالهنود. وزاد بعضهم ايضاحاً فقالوا ان برتلماوس بشَّر بني سبا. وفي الميناون المنسوب الى الملك باسيل يقال انهُ بشَّر هنود العربيَّة السعيدة وهي اليمن كما لا يخفى

وقد رأيت آنفاً انهم ينسبون ايضا دعوة النصرانيَّة في بلاد العرب الى القديس توما قبل سفرهِ الى الاقطار الهنديَّة. وقد ارتأى هذا الرأي القديس غريغوريوس النزينزي في ميمره عن الرسل. ومثلهُ تاودوريطس في كتابهِ عن الاناجيل (ك ٩) وبعض كتبة السريان

ومن الشواهد الجليلة التي توقفنا على دخول النصرانيَّة في اليمن منذ القرون الاولى لتاريخ الميلاد ما رواه اوسابيوس القيصري (ك ٥ف ١٠) ومثلهُ هيرونيموس (Hieron., de vir. illustr. c. 36) عن احد العلماء الاسكندريين في النصف الثاني من القرن الثاني للمسيح: ألا وهو بنتانوس الفيلسوف فانَّ هذا كان من الفلاسفة الرواقيين جحد الوثنيَّة وتنصَّر وعهد اليهِ دمتريوس اسقف الاسكندريَّة التدريس في مدرسة الاسكندريَّة ففعل واحرز لهُ شهرةً واسعةً بالتعليم الدينيّ وعنهُ اخذ اوريجانوس العالم الكبير فبنتانوس المذكور نحو السنة ١٨٣ للمسيح تنزَّل عن التدريس وسافر الى الهند ليبشر فيها بالدين النصرانيّ. وقد اتفق المؤرخون على انَّ الهند المقصودة هنا هي المجاورة لمصر اعني بلاد اليمن كما سبق

قال اوسابيوس: «فبلغ بنتانوس تلك الجهات ودعا الى النصرانيَّة اهلها فاوقفوهُ على انجيل مخطوط بالعبرانيَّة (١) للقديس متى كان اتى بهِ اليهم القديس

(١) يراد بالعبرانية اللغة الفلسطينيَّة التي كانت شائعة في ايَّام السيد المسيح وهي من فروع الاراميَّة

برتلماوس الرسول واودعهُ عندهم » وفي هذا القول شهادة على ما سبق بالدعوة النصرانيَّة في جهات اليمن منذ عهد الرسل

هل كان لدعوة بنتانوس في اليمن تأثير في اهل تلك البلاد ؟ ذلك امر لا يمكن القطع بهِ وانما هو محتمل بل مرجَّح ففي وجودهِ بين القوم الانجيلا قديمًا دليل على ان النصرانية التي بشَّر بها برتلماوس الرسول لم تمت بينهم . ويؤخذ من رواية اوسابيوس انَّ الاستاذ الاسكندري عاد الى وطنهِ راضيًا شاكرًا لم يذهب تعبهُ سُدًى . ولعلَّهُ لم ينس اولئك الموعوظين فأمدَّهم بمرسلين يجاورونهُ في عملهِ . وكما هاجر بعض النصارى المصريين في زمن الاضطهادات الى جهات سينا وبادية الشام على ما روى المؤرخون يجوز القول ايضًا بانَّ قوما منهم هاجروا الى اليمن لا سيما في عهد دقيوس وديوقلطيانوس فنشروا دينهم فيما بينهم

ومما يستدل اليهِ من تواريخ العرب كالطبريّ وسيرة الرسول لابن هشام والمسعوديّ وغيرهم انَّ النصرانية واليهوديَّة اخذتا في النزاع والمخاصمة منذ اواسط القرن الثالث للمسيح . وبلغ الخصام الى اعيان الدولة وملوكها . فيخبرون ان التبَّع اسعد ابا كرب تهود على يد ربَّانيين من يثرب وحمل اهل رعيَّتهِ على التهوُّد وتبعهُ في امرهِ بعض اولادهِ بعدهُ لكنَّ النصرانيَّة فازت في عهد عبد كلال بن مثوّب

وقيل ان عبد كلال المذكور ملك في القسم الثاني من القرن الثالث (1 منذ نحو السنة ٢٧٣ للمسيح الى ٢٩٧ وقد جعل حمزة الاصفهاني ملكهُ (ف ١٣١ طبعة بطرسبرج) اربعًا وسبعين سنة . وقد اتفق المؤرخون على تدينه بالنصرانيَّة . جاء في القصيدة الحميريَّة

ام أين عبد كُلالٍ اناهِ على دين نسيح الطاهر المسّاحِ

وقال الطبريّ في تاريخهِ (طبعة ليدن ج ١ ص ٨٨١) :

وملك بعد عمرو بن تبع عبدُ كُلال بن مثوّب . . . فاخذ المُلكَ عبد كُلال . . . وولِيهُ بسنّ وتجربة وسياسة حسنة وكان فيما ذكروا على دين نصرانية الاولى وكان يسرّ ذلك من قومهِ وكان الذي دعاه اليهِ رجلٌ من غسَّان قدم عليهِ من الشام فوثبت حمير بالغسّاني فقتلتهُ

---

1) اطلب تاريخ العرب كوسان دي برسڤال (C. de Perceval : *Essai sur l'Hist. des Arabes*, I, 107)

ثمَّ عاد من بعدهِ عبد كلال الى اليهوديّة اخلافهُ. هذا ما يُستخلص من تواريخ العرب الّا انَ هـذه التواريخ سقيمة جدّا ولاسيا تاريخ حمير. قال حمزة الاصفهاني (ص ١٣٤): «ليس في جميع التورايخ اسقم ولا اخلّ من تاريخ الافيـال ملوك حمير»

ومما وجد من الكتابات الحجرية الحميرية في اواسط القرن الماضي (CIS I.6) كتابة فيها اسم عبد كلال وامرآتهِ ابعلي وولديهِ هني وهعلل نقشوها تذكارًا لبناية دار يدعونها «يرث» شيّدوها «برضى الرحمان» وذلك في شهر ذي خرف من السنة (الحميريّة) ٥٧٣ الموافقة للسنة المسيحيّة ٤٥٨. فذكر الرحمان من الادلة على توحيدهِ او نصرانيّتهِ

ومن الآثار التاريخيّة اليونانيّة عن نفوذ النصرانيّة في اليمن ما رواه المؤرخ الاريوسي فيلوسترجيوس من كتبة القرن الرابع واوائل الخامس. فكان هـذا من قباذوقية وكتب تاريخًا في اثني عشر كتاباً دافع فيهِ عن اعمال الاريوسيين مباشرةً من السنة ٣٠٠ الى ٤٢٥ وتاريخهُ مفقود الّا مـا نقلهُ عنهُ فوطيوس البطريرك القسطنطيني في مكتبتهِ يبلغ نحو ثمانين صفحة (١ ومما رُوي هناك (٢ ان الامبراطور قنسطنسيوس ابن قسطنطين الكبير المتشيّع للاريوسيّة ارسل نحو السنة ٣٥٦ وفدًا من الرومان الى الحميريين في اليمن وكان يترأس الوفد تاوفيـل الهندي من جزيرة سرنديب اي سيلان. فرحل هذا الى بلادهم ودخل على الملك وقدَّم لهُ الطافاً وهدايا فنال لديهِ الحظوى وبشَّر هناك بالدين المسيحي واسترخص بتشييد الكنائس بل جادل اليهود الـذين وجدهم في بلاط الملك واقنع الملك بالحجج الدامغة عن صحة النصرانيّة حتى نصَّرهُ. وشيَّد تاوفيل ثلاث كنائس: الاولى في حاضرتهم ظفار والثانية في عَدَن على ساحل الاوقيانوس (الهندي) حيث كان يتزل الرومان للمتاجرة والثالثة في فرضة عند مدخل خليج العجم يظنونها هرمز وعيَّن للمتنصرين رئيساً ثم رحل. هذا ما رواه فيلستورجيوس الّا انَّ تشيُّعهُ للاريوسيَّة حدا به الى القول انَّ النصرانيَّة لم تدخل بلاد العرب قبلًا والامر على خلاف ذلك كما رأيت. والمؤرخون يرون انَّ

١) اعمال الآباء يونان (Migne, P. G.. LXV, col. 459-637)

٢) فيهِ (Ibid. 482-485)

الاسقف الذي امضى اعمال مجمع نيقية سنة ٣٢٥ باسم « يوحنا اسقف الهند » انما كان اسقفا على اليمن وقد سبق انَّ اسم الهند كثيرًا ما أُطلق على اليمن. وكذلك قد بيَّن العلّامة المستشرق السنيور ك. روسيني (١ انَّ الملك قسطنسيوس لم يقصد بوفدهِ الى ملك حمير امرًا دينيًا محضاً وانما اراد ان ينهج للرومان طريقاً تجاريَّة في البحر الى اليمن ويعقد محالفةً مع الحميريين ضدَّ الفرس وملكهم سابور الثاني. امَّا اسم الملك المتنصِّر على يد تاوفيل في اليمن فلم يذكرهُ المؤرخ فيلاسترجيوس ولعلهُ مرثد بن عبد كلال المالك على ما يظنّ من السنة ٣٣٠ الى ٣٥٠ وقد اطرأ الثعالبيّ في طبقات الملوك حلمهُ وحبهُ للفقراء وحكمتهُ وتساهلهُ وقال عنهُ انهُ لم يشأ ان يقلق رعاياه بسبب دينهم. او هو وليعة بن مرثد الذي تعصب اوَّلًا لليهوديَّة ثمَّ عدل الى النصرانيَّة. وقد جاء للفيروزابادي ما يؤيد نصرانيَّة هؤلاء الملوك حيث قال « انَّ كثيرًا من ملوك اليمن والحيرة تنصَّروا »

وممَّا يشهد على ثبات المعاهدة التجارية المبرمة بين الرومان والعرب قانون سنَّهُ تاودوسيوس الكبير في تلك الاثناء نظَّم فيهِ امور الوفود الراحلين الى الحميريين والحبشة من الاسكندريَّة (٢

ومن الشهود على نفوذ النصرانيَّة في اليمن القديس هيرونيموس فانهُ غير مرَّة ذكر بين المتنصرين اهل الهند والحبشة. من ذلك رسالتهُ الى مارسلّا الرومانيَّة (Migne P.L.,XXII. 489) حيث يعدّد فئات المتقاطرين لزيارة الاراضي المقدَّسة وكلهم على لسان واحد ممَّن كان يشاهدهم ويحدثهم فجعل في مقدَّمتهم العجم والارمن وعرب اليمن الذين دعاهم باهل الهند والحبشة. وكذلك كرَّر قولهُ في رسالتهِ الى السيدة ليتا (Ibid., XXII. 870) وخصَّ بالذكر « رهبان الهند » اي اليمن كما قلنا

وفي ترجمة القديس سمعان العمودي التي كتبها تاودوريطس في القرن الخامس قد ذكر غير مرَّة بين الذين قصدوا القديس على عمودهِ عرب حمير وقد رآهم تاودوريطس

---

١) اطلب اعمال اكدمية ليشاي (Rendiconti d. reale Accademia dei Lincei, Aprile, 1911, p, 715)

٢) اطلب الدستور التيودوسي (Code Théodosien IV, p. 616, *de legatis* l. XII, tit. XII, 2)

وما لا ينكر ان النساطرة كانوا انتشروا في تلك البلاد قبل الاسلام وانشأوا عدَّة كنائس وكان لهم فيها اساقفة اتوها من قبل جاثلقة المشرق اصحاب كرسي المدائن وبقوا فيها بعد الاسلام مدَّة كما سترى. وقد ارتأى العلّامة دي ساسي في احدى مقالاته (١ ان نصارى الشمال من اهل العراق كانوا يتردَّدون الى اليمن وانَّهم ادخلوا بين اخوانهم في الدين الكتابة السريانيَّة بدلًا من الخطّ المسند الشائع هناك قبلهم. وقد روى السمعاني في المكتبة الشرقيَّة (Assemani, BO, III², 603) انَّ اللغة السريانيَّة كانت دخلت في جهات عديدة من اليمن. وكذلك ذكر المؤرخ فيلسترجيوس انَّ في زمانهِ كانت مستعمرات اخرى سوريَّة احتلَّت سواحل افريقية بازاء بلاد العرب وانَّ اصحابها كانوا يتكلمون بالسريانيَّة. وقد جاء في كتاب كشف الاسرار في بيان قواعد الاقلام الكوفيَّة « ان القلم الكوفي كان يُدعى بالسوري » ولعلهُ اراد بذلك شبههُ بالقلم السرياني. وقال هناك انَّ آل « طسم وقحطان وحمير » كانوا يكتبون بهِ

*

ومن اعظم الشواهد التي اثبتها العرب على دخول النصرانيَّة في اليمن ما رواهُ الطبريّ في تاريخه (٢ وياقوت في معجم البلدان (٤ : ٧٥٢) وابن خلدون في كتاب العبر (٢ : ٥٩) وابن هشام في سيرة الرسول (ص ٢٠) وغيرهم انَّ اهل نجران وهي من امّهات مدن اليمن تنصروا جميعهم. وقد ذكروا الخبر في كلام طويل خلاصتهُ انَ رجلًا من بقيَّة اصحاب الحواريين « يقال لهُ فيميون وقالوا قيمون وقالوا ميمون (٣ من افضل الناس عبادةً واعرفهم في اعمال الصلاح كان سائحًا تجري على يديهِ الكرامات والمعجزات وصل في سياحتهِ الى بلاد غسَّان فتبعهُ رجلٌ من اهل الشام اسمهُ صالح فتوغَّلا في بلاد العرب ثم اختطفتهما سيَّارة وباعوهما بنجران واهلها حينئذ من بني الحارث بن كعب المنتمين الى كهلان يعبدون العزَّى على صورة النخلة.

---

١) اطلب (Mémoires des Inscript. et Belles-Lettres, t. 50, p. 266)

٢) اطلب تاريخهُ (طبعة ليدن) ج ١ ص ٩١٨

٣) وفي تاريخ فطاركة المشرق لسليمان بن ماري (ص ٣٣) انهُ كان يُدعى حيَّان كان اصلهُ من نجران تنصَّر في الحيرة وعاد الى وطنهِ فتنصَّر على يدهِ خلقٌ من حمير والحبشة

الاسقف الذي امضى اعمال مجمع نيقية سنة ٣٢٥ باسم «يوحنا اسقف الهند» انما كان اسقفاً على اليمن وقد سبق انَّ اسم الهند كثيراً ما أُطلق على اليمن. وكذلك قد بيَّن العلَّامة المستشرق السنيور ك. روسيني (١ انَّ الملك قسطنسيوس لم يقصد بوفدهِ الى ملك حمير امرا دينيًا محضا وانما اراد ان ينهج للرومان طريقا تجاريَّة في البحر الى اليمن ويعقد محالفةً مع الحميريّين ضدَّ الفرس وملكهم سابور الثاني. امَّا اسم الملك المتنصِر على يد تاوفيل في اليمن فلم يذكرهُ المؤرخ فيلسترجيوس ولعلهُ مرثد بن عبد كلال المالك على ما يظنُّ من السنة ٣٣٠ الى ٣٥٠ وقد اطرأ الثعالبيّ في طبقات الملوك حلمهُ وحبهُ للفقراء وحكمتهُ وتساهلهُ وقال عنــهُ انهُ لم يشأ ان يقلق رعاياه بسبب دينهم. او هو وليعة بن مرثد الذي تعصب اوَّلًا لليهوديَّة ثم عــدل الى النصرانيَّة. وقد جاء الفيروزباديّ ما يؤيد نصرانيَّة هؤلاء الملوك حيث قال «انَّ كثيراً من ملوك اليمن والحيرة تنصَّروا»

وممَّا يشهد على ثبات المعاهدة التجاريَّة المبرمة بين الرومان والعرب قانون سنَّهُ تاودوسيوس الكبير في تلك الاثناء نظَّم فيــهِ امور الوفود الراحلين الى الحميريين والحبشة من الاسكندريَّة (٢

ومن الشهود على نفوذ النصرانيَّة في اليمن القديس هيرونيموس فانهُ غير مرَّة ذكر بين المتنصرين اهلَ الهنــد والحبشة. من ذلك رسالتهُ الى مارسلا الرومانيَّة (Migne, P.L., XXII. 489) حيث يعدّد فئات المتقاطرين لزيارة الاراضي المقدَّسة وكلهم على ايمان واحد ممن يشاهدهم ويحادثهم فجال في مقدمتهم العجم والارمن وعرب اليمن (الذين دعاهم باهل الهند) والحبشة. وكذلك كرر قوله في رسالتهِ الى اسيدة ليتا (Ibid., XXII. 870) وخصَّ بالذكر رهبان الهند اي اليمن كما قلنا

وفي ترجمة القديس سمعان العموديّ التي كتبها تودوريطس في القرن الخامس قد ذكر غير مرَّة بين الذين قصدوا القديس على عمودهِ عربَ حمير وقد رآهم تودوريطس

---

١) صحف عمل اكدمية لينشي (Rendiconti d. reale Accademia dei Lincei, April, 1911. p. 715)

٢) ضمن دستور التيودوسي (Code Théodosien IV, p. 616, *de legatis*, l. xii, tit. xii, 2)

عياناً قال (Migne, P. G., LXXIV. 104) : «ولا يتزاحم حول سمعان اهلُ بلادنا فقط بل يأتيه جموع من الاسماعيليين والعجم والارمن والكرج والحميريين» وكذلك كتب انطونيوس تلميذ القديس (Ibid., LXXXII, 328) : «قد نصَّر سمعان العمودي امما عديدة من الشرقيين (السراكسة) والعجم والارمن والاسكوتيين وذوي القبائل». وقد صرَّح باسم تلك القبائل قدرينوس المؤلف فقال انهم «الحميريون»

ثمَّ انَّ النصرانيَّة لم تدخل فقط الى اليمن من جهة الجنوب ومن بلاد الرومان ولكن نفذت اليها من جهات الشمال وخصوصاً من العراق فمن المعلوم انَّ ملوك الفرس كانوا يسعون في محالفة ملوك اليمن ويتقرَّبون الى اهلها ليستعينوا بهم على ردّ غارات الرومان. وكذلك ملوك اليمن والحبشة ربَّما اوفدوا الوفود الى ملوك العجم ليبرموا معهم المعاهدات كما روى المؤرخون (١

وكانت القوافل تسير ذهاباً واياباً من العراق الى اليمن ومن اليمن الى العراق فالنصرانيَّة التي كانت بلغت في الشمال مبلغاً عجيباً ما كانت لتهمل هذه الوسائط نشر الدين المسيحي في الجنوب. ومن التقاليد الشائعة عند الكلدان ان رسولَي الكلدان الاوَّلين ادي وماري سارا ايضاً الى بلاد العرب سكَّان الخيم والى نجران وجزائر بحر اليمن (٢

وجاء في المصحف الناموسي (ص ١٨) : «وبشَّر الجزيرة والموصل وارض السواد كلها وما يليها من ارض التيمن كلها وبلاد العرب سكَّان الخيم والى ناحية نجران والجزائر التي في بحر اليمن ماري الذي من السبعين». والى هذه البشارة في اليمن اشار القديس افرام في القرن الرابع حيث قال في احد ميامره : «جاءت ملكة التيمن (سبأ) الى سليمان ونالت من نوره شعلةً استضاءت بها وبقيت تلك الشرارة مخبوَّة تحت الرماد الى ان ظهرت شمس العدل السيد المسيح فاتقدت تلك الشرارة حتى اصبحت نجماً باهرًا ينير اليوم تلك الانحاء»

---

١) اطلب منشورات لند السريانية (Land : *Anecdota Syriaca*, II, 76 et seqq)

٢) اطلب كتاب فطاركة كرسي المشرق لسليمان بن ماري (طبعة رومية ص ٣) والمجدل لعمرو بن متى الطيرهاني (ص ١)

وما لا ينكر ان النساطرة كانوا انتشروا في تلك البلاد قبل الاسلام وانشأوا عدَّة كنائس وكان لهم فيها اساقفة اتوها من قبل جثالقة المشرق اصحاب كرسي المدائن وبقوا فيها بعد الاسلام مدَّة كما سيأتي. وقد ارتأى العلَّامة دي ساسي في احدى مقالاته (١ انَّ نصارى الشمال من اهل العراق كانوا يتردَّدون الى اليمن وانَّهم ادخلوا بين اخوانهم في الدين الكتابة السريانية بدلًا من الخطّ المسند الشائع هناك قبلهم. وقد روى السمعاني في المكتبة الشرقيَّة (Assemani, BO, III², 603) انَّ اللغة السريانيَّة كانت دخلت في جهات عديدة من اليمن. وكذلك ذكر المؤرخ فيلسترجيوس انَّ في زمانه كانت مستعمرات اخرى سوريَّة احتلَّت سواحل افريقية بازاء بلاد العرب وانَّ اصحابها كانوا يتكلَّمون بالسريانيَّة. وقد جاء في كتاب كشف الأسرار في بيان قواعد الاقلام الكوفيَة « ان القلم الكوفي كان يُدعى بالسوري » ولعلهُ اراد بذلك شبههُ بالقلم السرياني. وقال هناك انَّ « آل طسم وقحطان وحمير » كانوا يكتبون بهِ

*

ومن اعظم الشواهد التي اثبتها العرب على دخول النصرانيَّة في اليمن ما رواهُ الطبريّ في تاريخهِ (٢ وياقوت في معجم البلدان (٤ : ٧٥٢) وابن خلدون في كتاب العبر (٢ : ٥٩) وابن هشام في سيرة الرسول (ص ٢٠) وغيرهم انَّ اهل نجران وهي من امَّهات مدن اليمن تنصروا جميعهم. وقد ذكروا الخبر في كلام طويل خلاصتهُ انَّ رجلًا من بقيَّة اصحاب الحواريين يقال له فيميون وقد وا قيمون وقالوا ميمون (٣ من افضل الناس عبادة واعرقهم في اعمال الصلاح كان سائحا تجري على يديهِ الكرامات والمعجزات وصل في سياحتهِ الى بلاد غسَّان فتبعهُ رجلٌ من اهل الشام اسمهُ صالح فتوغَّلا في بلاد العرب ثم اختطفتهما سيَّارة وباعوهما بنجران واهلها حينئذٍ من بني الحارث بن كعب المنتمين الى كهلان يعبدون العزَّى على صورة النخلة.

---

١) راجع (Mémoires des Inscript. et Belles-Lettres, t. 50, p. 266)

٢) طالع تاريخهُ طبعة ليدن) ج ١ ص ٩١

٣) وفي تاريخ بطاركة المشرق لسليمان بن ماري (ص ٣٣) انهُ كان يُدعى حيَّان كان اصلهُ من نجران تنصر في الحيرة على يدهِ خلق من حمير والحبشة

فوقف فيميون سيّدهُ على بطلان الشرك بما صنع لديهِ من الآيات ولا سيما اذ دعا ربَّهُ في يوم عيد عزى فارسل منه ريح جعف النخلة من اصلها فعرف اهل نجران صحة دينهِ ودانوا بدين المسيح. وجعل فيميون عليهم رئيسا احد اشراف المدينة عبدالله بن الثامر ورعاهم اسقف كان يُدعى بولس

و قام اهل نجران على دين المسيح حتى دعاهم الى اليهوديّة احد ملوكهم اسمهُ ذو نوَّاس كان متعصبا لدين اليهود فأبى النجرانيون اتباعهُ في ضلالهِ وكان رئيسهم اذ ذاك اسمهُ الحارث واستعدُّوا للدفاع عن بلدهم الَّا انَّ ذا نوَّاس دخلهُ بالمكر وحفر اخاديد (اشار اليها في القرآن) اضرمها نارًا وألقى فيها على ما روى ابن اسحاق عشرين الفا من النصارى او يزيدون ماتوا في سبيل ايمانهم مع الحارث رئيسهم

على انَّ الخبر لم يلبث ان نما الى قيصر الروم بواسطة رجل من اهل نجران فرَّ هاربا اسمهُ دوس ذو ثعلبان فاستنصرهُ على ذي نوَّاس فامر القيصر النجاشيَّ ألِصْبان ملك الحبشة بمحاربة اليهودي ففعل وارسل جيشاً مع ارياط وابرهة الاشرم فناجزوهُ القتال وظفروا ببلادهِ ومات الطاغية غرقا. واتمَّ الحبشة فتح اليمن فملكوا عليها اكثر من نصف قرن كان اوَّل ملكهم ارياط (٥٢٥) ثم ابرهة الاشرم (٥٣٧ — ٥٧٠) ثمَّ ابنهُ يكسوم (٥٧٠ — ٥٧٢) ثمَّ مسروق (٥٧٢ — ٥٧٥). امَّا الملوك الحميريّون فبعد موت ذي نوَّاس حاول احدهم المسمَّى ذو جدن ان يضبط زمام الملك لكنهُ قُتل في حرب الحبشة ولم يعودوا الى الملك الَّا في زمن سيف ابن ذي يزن الذي استعان بالفرس واخرج الحبش من اليمن وملك هو وابنهُ معدي كرب. ثمَّ انَّ الفرس لم يلبثوا ان مدُّوا سيطرتهم على تلك البلاد وجعلوا عليها عُمَّالًا كان اوَّلهم وهرز (٥٩٧) ثمَّ بَذهان وفي زمنهِ فتح المسلمون نواحي اليمن

هذا ملخَّص ما جاء في تواريخ المسلمين وقد ايدتهُ في امورهِ الجوهريَّة التواريخ اليونانيَّة والسريانيَّة كتاريخ الحرب الفارسية لبروكوبيوس الغزّي Procop., *de Bello Pers.* I, c. 20) وتاريخ يوحنَّا المعروف باسقف آسية (Assemani, BO, II, 83) وتاريخ ثاوفانوس (ج ١ ص ٣٤٦ من طبعة بونّا) وتاريخ يوحنَّا ملالا (ص ٤٣٤ من الطبعة عينها) فكل هؤلاء ذكروا امور الحبشة وما جرى من الحروب بين ملكها وملك حمير اليهودي بسبب فتكهِ لنصارى نجران. وفي رواياتهم بعض افادات

عن ذي نوًاس الـذي يدعونهُ دمنوس او دميانوس وعن القيصر يوستينوس الذي انتصر للمظلومين وبعث الحبشة لمحاربة ملك اليمن. وكان على الحبشة ملك يدعونهُ أليسباوس (Elesbaas) او أَلِصبان وصحفهُ غيرهم باليستاوس من احكم الملوك واعرقهم في الدين النصرانيّ. وهم يقولون انَّ اسقف نجران المدعو بولس كان توفي قبل هجوم ذي نوًاس عليها وانَّ الملك اليهودي بعد ظفرهِ بنجران انتهك حرمة قبرهِ

امَّا استشهاد اهل نجران على عهد ذي نوًاس فقد وصفهُ المعاصرون منهم شمعون اسقف بيت ارشام الذي سمع في العراق اخبار من شهود عيانيين فدونه في رسالة نشرها السمعانيّ في المكتبة الشرقية (BO. I, 364-79). وكذلك ليعقوب الرهاوي فيهم ميمر نشرهُ الاب بيجـان (Acta Martyrum I. 372-97) ثمَّ نشر البولنديون اعمالهم في اليونانيَّ عن نسخة قديمة في تاريخ ٢٤ ت ١ (Act. SS. X. Oct. 750 — 780) وفي مكتبتنا الشرقية نسخة عربيَّة من هذه الاعمال نقلناه عن مخطوط قديم

ومن الآثار الكتابيَّـة التي نُشرت حديثا واتتنا بفوائد جديدة عن دخول النصرانيَّة في نجران اعمال القديس «ازقير» بالحبشيَّة من مخطوطات خزانة الكتب الشرقيَّة في لندن نشرها لاوَّل مرَّة الاستاذ الايطالي المفضال كنتي روسّيني (1 وخلاصتها انَّ «ازقير» كان كاهناً نصرانياً دعا الى دينه اهل نجران فامر الملك سرحبيل بن ينكف بحبسه [illegible] نجا من الحبس و[illegible] كسبا [illegible] رحال يدعونه قريقوس وجتمعت [illegible] يهود [illegible] وقضى [illegible] بقتله [illegible] مع ٣٨ [illegible] وعيسه في [illegible] وقع في [illegible] من شهور [illegible]

فكلّ هـذه الآثار تبيّن انتشار النصرانيَّة في اليمن. ولم يزدها اضطهاد ذي نوًاس واليهود الَّا نموا لانَّ ملك الروم ونجاشي الحبش القديس لصبان مـا فتئا ان ارسلا جنودًا الى اليمن انتقمت للمظلومين وكسرت شوكة اليهود في تلك الانحاء

وقد اتتنا في هذه الحقبة الاخيرة شواهد جديدة غير منتظرة ألا وهي كتابات يونانيَّة وحبشيَّة وحميريَّة اكتشفها الاثريون وهي تدل على ما كان من النفوذ للحبشة في

(1) [illegible] Ac[illegible] Lincei [illegible] XIX p. 705-750) [illegible]

بلاد اليمن.» فاليونانية اكتشفها في اكسوم الرحّالة الانكليزي هنري سَلت (H. Salt) كتبها « أيزن ملك اكسوم والحميريين وريدان والحبش والصابئة وزيلع وتهامة وبغيث وتوقال ملك الملوك ابن الاله المرّيخ غير المغلوب » يصف فيها انتصاره على اعدائهِ البغيثيين. وتاريخ هذه الكتابة اواسط القرن الرابع يظهر منها انَّ ملوك الحبشة الوثنيين كانوا استولوا مدَّة على اليمن والحميريين

ومن الكتابات الحبشيَّة كتابة وقف عليها المرسل الايطالي يوسف سابيتو (G. Sapeto) في اكسوم ايضاً ثمَّ نشرها وفسَّرها وهي للملك النصراني « تازينا ابن الاعميدا ملك اكسوم وحمير وريدان وسبا الخ » افتتحها بذكر الاسم الكريم «خالق السماء والارض الرب الازلي».وكان تازينا المذكور مالكاً نحو السنة ٥٠٠ ومن كلامهِ يظهر انَّ ملوك الحبشة لم يزالوا باسطين سيطرتهم على الحميريين. ولا غرو انَّ نصرانيَّتهم أثّرت بدين الحميريين الوثنيين واجتذبت منهم قوماً الى المسيحيَّة

امَّا الكتابات الحميريَّة فاعظم شأناً واخطر بياناً لتاريخ النصرانيَّة اكتشفها في انحاء اليمن رجالٌ ذوو حزم لا يهابون الاخطار دخلوا في هذه السنين الاخيرة الى اقاصي اليمن ونقلوا ما كانوا يراقبونهُ من الكتابات الحميريَّة الكاشفة لاسرار التاريخ اليمني. اشهرهم العلماء يوسف هالوي (G. Halévy) وادورد كلازر (Ed. Glaser) فأتوا من اليمن بجثات من الآثار الكتابيَّة بينها كتابات حميريَّة تفصِّل محاربة الحبشة لذي نوَّاس وظفرهم باليمن. وتاريخ هذه الكتابات هو تاريخ حمير الواقع سنة ١١٥ للمسيح. فمن جملة تلك الآثار التاريخيَّة كتابة تُنسب الى حصن الغراب وجدها كلازر (١ فنشرها وهي « لسميفع اشوع » (٢ اقاما في ذي الحجة سنة ٦٤٠ (اي ٥٢٥ للمسيح) تذكارًا لدخول الحبشة في بلاد حمير بعد انتصارهم على ملكها (ذي نوَّاس)

ومنها كتابة اخرى تاريخها سنة ٦٥٧ و٦٥٨ (اي ٥٤٢ — ٥٤٣) ورد فيها ذكر انفجار سدّ مأرب وهو من اجلّ الحوادث التاريخيَّة كان العلماء يرقّونهُ استنادًا الى مؤرخي العرب الى القرن الثاني للمسيح فثبت الآن انهُ جرى في اواسط القرن

---

١) اطلب كتابهُ الحبشة في بلاد العرب وفي افريقية (E. Glaser: *Die Abessinier in Arabien u. Afrika*, p. 113)

٢) هذا الاسم صحفهُ اليونان باميسيفاوس

السادس. والكتابة قد نُقرت في الصخر بامر ابرهة الملك الحبشي اوّلها: « بقوَّة ونعمة ورحمة الرحمان ومسيحهِ وروحهِ القدوس قد امر برسم هذه الكتابة ابرهة الحاكم (على اليمن) باسم الملك الكيْزي (الحبشي) رمحيس ذو بي يمن مالك سبا وذي ريدان وحضرموت ويمانات والعرب الذين في الجبال والسهول ». ومما قال هناك: « ونحن على ذلك اذ بلغنا خبر تهدُّم السدّ والخزّان والحوض والمَصْرف في شهر ذي المدرح سنة ٦٥٧ . . . » ثمَّ اردف ابرهة قولهُ: « فارسلت الى القبائل لتنفذ الحجارة والاخشاب والرصاص لترميم السدّ في مأرب. . . ثم توجَّهتُ الى مأرب وبعد ان صلَّيتُ في كنيستها عمدتُ الى ترميم السدّ فعزلوا الانقاض حتى وصلوا الى الصخر وبنوا عليهِ ». ثمَّ يذكر تأخُّر العمل لسأم بعض القبائل عن الشغل وكيف حالف ابرهةُ اقيالَ اليمن وقابل وفود ملوك الروم وفارس والحيرة (المنذر) وغسَّان (الحارث بن جبلة وابي كرب بن جبلة) وغير ذلك ممَّا يفيدنا علما عن اخبار العرب وفوز ابرهة بقبائلهم سنة ٦٥٧ للحبش (٥٤٢ م). ثمَّ عاد الى وصف ترميم سدّ مأرب فقال: « فرمَّموهُ ووسَّعوهُ حتى بلغ طوله ٤٥ ذراعاً وارتفاعهُ ٣٥ ذراعا » ثمَّ فصل هناك ما انفق على العمل من الحجارة والاطعمة للعملة الى ان ختم الكتابة بقولهِ انَّهم « انتهوا من العمل في شهر ذي معان سنة ٦٥٨ (٥٤٣) » (١)

ولعلَّ هذا السدّ كان انفجر قبل ذلك غير مرَّة ورُمم الَّا انَّ اخبار العرب تنطبق خصوصا على هذا الحادث الاخير. وانما خلطوا في اقوالهم خلط عجيبا وكفى بهِ استدلالًا على ضعف رواياتهم التاريخيَّة التي لا يمكن التسليم بصحتها الَّا بعد النقد والنظر المليّ

لا غرو انَّ النصرانيَّة في مدَة ملك الحبشة على اليمن بلغت قصى النجاح والتقدُّم. لنا على ذلك شواهد تاريخيَّة عديدة وكان اوَّل ما باشر بهِ الحبش ان جعلوا نجران كقبلة الدين النصراني بعد ان اصطبغت بدماء اهلها الشهداء فاقاموا فيها مزارًا كان العرب يقصدونهُ من كلّ صوب وكانوا انفقوا عليهِ القناطير المقنطرة ليزينوه بانواع

(١) اطلب كتاب مردتمان في الكتابات الحميرية (Mordtmann: *Himjar. Inschriften*, Berlin 1893) وكتب مولر في مدن اليمن وقصورها (Müller: *Burgen u. Schloesser*, Wien 1881)

الحليّ. وهذا المزار قد شاع ذكرهُ عند العرب فدعوهُ «كعبة نجران» او «كعبة اليمن» وضربوا بحسنهِ المثل واليهِ اشار الاعشى في بعض ابياتهِ حيث قال يكلم ناقتهُ:

وكعبة نجرانَ حتمٌ عليك حتى تُناخي بأبوابها
نزور يزيداً وعبد المسيح وقيساً هم خير اربابها
اذا الحبرات تلوّتْ بهم وجرّوا اسافلَ هدّابها

يزيد بني عبد المدان الذين كانوا يتولون امرها وهم من اعيان بني الحارث بن كعب واعرقْ الناس في النصرانيّة. وممّن طبّقت اخبارهُ اقاصي العرب في ذلك الوقت خطيب مصقع ضربت العربُ المثل في بلاغتهِ نريد القسّ بن ساعدة اسقف نجران وقد جمعنا في شعراء النصرانيّة (ص ٢١١—٢١٩) ما رواهُ الكتبة العرب عنهُ وعن يزيد بن عبد المدان النجرانيّ (ص ٨٠—٨٨)

ومما يعود فضلهُ الى الحبشة كنيسة عظيمة جمعوا فيها ضروب المحاسن وانفقوا عليها المبالغ الطائلة بنوها في حاضرة ملكهم صنعاء لا تزال حتى اليوم تُرى بقاياها في جامع هذه المدينة وكانوا زيّنوها بكل اصناف الزين والتصاوير وضروب الفسيفساء وهي الكنيسة التي عرفها العرب بالقُلَّيس (١ وذكروها في تواريخهم ووصفوها في كتبهم (اطلب مجموعنا مجاني الادب ج ٣ ص ٣٠٢ وكتاب الاغاني ٢: ٧٥) ا لبث ان جذبت اليها الجماهير المجمهرة حتى نسي الوثنيون قصر غمدان القريب منها واصنامهُ الصابئيّة

وكما فعلوا في صنعاء اقاموا ايضا في ظفار كنيسة اخرى جليلة كانت آيةً في الحسن والجمال. وكان المتولّي تدبير هذه الكنيسة اسقف شهير يدعى جرجنسيوس اتخذهُ ملك الحبشة كمستشارهِ ومساعدهِ لتنصير الحميريين فما ألا جهداً في ذلك وقد ترك لنا من آثارهِ كتاب شرائع الحميريين التي تُرى ترجمتُها اليونانيّة في مجموع الآباء اليونان لمين (Migne, P. G., T. 86, col. 567-620) وكان يجادل اليهود ويردّ على مزاعمهم ولهُ جدال مع هربان الربّاني صبر ايضاً على آفات الدهر باليونانيّة (Ibid., col. 621-783) ولدينا منهُ ترجمة عربيّة

---

١) القليس مشتقة من اليونانيّة (Ἐκκλησία) ومعناها الكنيسة

ولنا حتى اليوم دليل حسّي على تأثير نصرانيَّة الحبشة في العرب أَلا وهو ما دخل في اللغة العربيَّة من الالفاظ الدينيَّة الحبشيَّة بعضها حبشيّ الاصل كالمِنبَر والمُصحَف والحَواريّ والمنافق والفاطر (اي الخالق) والجِبت (اي الصنم) والشيطان والزُّنّار. وبعضها يوناني او سريانيّ او عبراني لكنَّهُ دخل في العربية بواسطة الحبش كما تدلُّ عليهِ صورتهُ الحاضرة كالانجيل وجهنم والتابوت والقلم والحرم والجنّ والرقية. وللعلّامة المستشرق نولدك بحث خصوصيّ في البحث عن هذه الالفاظ (١

وكان شيوع الخطّ المُسنَد وهو الخطّ الحميري في بلاد العرب بفضل الحبشة واشتقاقهُ من الخطّ الحبشي القديم [illegible] نقلوهُ الى اليمن في التاريخ السابق للميلاد ثم استعملوهُ في كتاباتهم الحجريّة الى ظهور الاسلام قال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ١٧١) عند وصفهِ كنيسة القُلَّيس ان ابرهة كان كتب على بابها بالمُسنَد: « بنيتُ هذا لكَ (اللهمّ) من مالك ليُذكَر فيهِ اسمك وانا عبدك »

وفي مدَّة ولاية الحبش على اليمن رحل الى الهند قوزما الرحالة الهندي (Cosmas Indicopleustes) نحو السنة ٥٣٥ فعدَّد ما وجده من الكنائس في طريقهِ وانتشار النصرانيَّة في اواسط الشرق واقاصيهِ وقد خصَّ بالذكر بلاد اليمن حيث قال ما تعريبهُ (٢ : « انك حيثما سرتَ تجدُ كنائس للنصارى واساقفة وشهداء وسيَّاحًا حتى بين اهل العربيَّة السعيدة الذين يدعون بالحميريين [illegible] عرب ايضًا وبين النبط وبني جرم... »

وان سأل السائل اكانت النصرانيَّة في اليمن [illegible] من البدع؟ الجواب انهُ من المرجَّح ان دينهم كان في [illegible] من كل [illegible] وكاثوليكيا محضًا لان الامبرطور يوستينوس وخلفه يوستينيانوس [illegible] ما كانا ليسمحا للحبش ان ينشروا في بلاد العرب غير الايمان الارثذكسيّ الموافق لتعليم المجامع الاربعة الاولى. [illegible] ذلك تكريس الكنيسة [illegible] عبد الذي كان مالكًا في وقت فتح الحبشة اليمن [illegible] جرجسيوس على كرسي اساقفة صنعاء وهو [illegible] تكرمة الكنيسة قداستهُ [illegible] يظهر ايضًا ان البدعة وطيخ

(١) [illegible] Th. Noeldeke: Ne[illegible]
(٢) اطلب مجموع [illegible] Migne, P. G., t. [illegible], col. 169

سرت الى جهات اليمن وكدّرت صفاء ايمانهم فانَّ الحبشة في القرن السادس جنحوا الى تعاليم اليعاقبة فلا بُدَّ ان اضاليلهم انعكس صداها الى العرب. لكنَّ المؤرخين اليعاقبة قد بالغوا في ذكر شيوع هرطقتهم بين اهل اليمن كما يُستدلّ من تاريخ يوحنَّا الآسيويّ (١ وكما نقله ابن العبري في تاريخ مختصر الدول (ص ١٤٨)

على انَّ العُنصر العربيّ وسلالة ملوك اليمن لم يعودوا يطيقون نير الاجانب عليهم لاسيَّما بعد موت ابرهة وتملُّك ابنيهِ يكسوم ومسروق على حمير اذ تشدَّدا على الوطنيين واساءا اليهم الصنع فاخذ امراء حمير يطلبون لهم وسيلة لينجوا من الحبشة. وكان في مقدَّمتهم سيف بن ذي يزن فاستنجد بملك الروم وطلب منهُ جيشاً ليُخرج الحبش من جزيرة العرب فلم تلقَ دعوتهُ اذنا صاغية فعدل الى كسرى ملك العجم فنصرهُ بجندٍ من صعاليك دولته تحت قيادة رجل اسمهُ وهرز فظفروا بالحبشة وبدَّدوا شملهم وملك سيف بن ذي يزن لكنَّ ملكهُ لم يدم زمناً طويلًا اذ فتك بهِ بعض الحبشة فخلفهُ ابنهُ معدي كرب. ولم يلبث العجم ان استولوا على اليمن فارسلوا عمَّالًا يحكمون باسمهم كان اولهم وهرز المذكور ثمَّ خلفهُ باذان وفي عهدهِ صارت اليمن في ايدي المسلمين

امَّا النصرانية فانَّها لم تمت بنفي الحبشة بل بقيت في عزّها الى ظهور الاسلام ولعل سيف بن ذي يزن عينهُ كان يدين بها يؤيدهُ ما وقفنا عليه في احد مخطوطات باريس العربية وهو كتاب انساب العرب لسلمة بن مسلم (Suppl. Paris, 2866) في الصحيفة ٩٧ حيث قال ان سيف بن ذي يزن دخل الى القيصر ومال الى النصرانية. والحقّ يقال انهُ ما كان ليلوذ بالقيصر ملك الروم النصراني لو كان هو باليهوديَّة كذي نؤاس وكذلك قد مدحهُ الشاعر النصرانيّ اميَّة بن ابي الصلت بقصيدته الشهيرة التي اوَّلها:

لا يطلبُ الثار الَّا كابن ذي يزنٍ في البحر خيَّم للاعداء احوالا

ولا شيء في هذه الابيات يُشعر بيهوديَّة سيف. ولو عرف اهل نجران وعرب النصارى في اليمن انَّ ابن ذي يزن من انصار لليهوديَّة لما مكَّنوهُ من الملك

---

١) اطلب المكتبة الشرقيَّة للسمعاني (Assemani; BO, II, 381-386)

وعلى ظنّنا انّ نساطرة العراق انتهزوا فرصة دخول الفرس في اليمن لينشروا هناك بدعتهم ولعلّهم كانوا سبقوا الى بثّها قبل ذلك فعزّزوها وفي تواريخ النساطرة ما يصرّح بانتشار تلك البدعة في جنوبي العرب ومقاومتهم لليعاقبة. وفي كتاب الاغاني (١٠ :١٤٨) انّ عشرة من اساقفة نجران قدموا على نبيّ المسلمين وجادلوهُ فدعاهم الى المباهلة ولعلّ منهم من كان نسطوريًا وكان حينئذٍ رئيساً على نجران رجل اسمهُ السيد (١ فأُعطي الامان هو وقومهُ

ولكن النصارى بعد فوز الاسلام اخذوا يضعفون في اليمن شيئاً فشيئاً ولاسيّما بعد ان امر عُمَر باخراجهم من الجزيرة استنادًا الى حديث يعزونهُ الى محمّد هذا منطوقهُ : « لأُخرجنَ اليهود والنصارى عن جزيرة العرب حتى لا ادع فيها الّا مسلماً ». والظاهر انّ هذا لم يتمّ بالحرف فانّ لدينا عدّة شواهد على وجود النصارى في اليمن في ايّام الخلفاء. فمن ذلك ما ورد في اعمال طيموتاوس الكبير بطريرك النساطرة انّهُ سام اسقفاً على نجران وصنعاء اسمهُ بطرس في اواخر القرن الثامن (٢ وجاء في كتاب الفهرست لابي الفرج بن النديم (ص ٣٤٩) ان المؤلف اجتمع براهب من نجران في اليمن يدعى حسّان كان انفذهُ جاثليق النساطرة الى الصين فعاد منها سنة ٣٧٧ (٩٨٨ م) واخبره بعجائبها

وجاء في تقويم الكنائس النسطوريّة الذي طبعهُ الخوري بطرس عزيز الكلداني (واليوم مطران سلمست في العجم) عن بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقية (ص ٧) في الحاشية انّ البطريرك يوحنا الخامس رسل كتاباً الى حسن قسيس اليمن سنة ٩٠١ م يجاوب فيهِ على ٢٧ سؤالاً ألقاها عليهِ وقال في الجدول انَّ في سنة ١٢١٠ للمسيح كان في صنعاء اليمن خمسة اساقفة للنساطرة. الاوّل مطران بوليط على صنعاء اسمهُ اسطيفوس وتحت يدهِ ثلاثة اساقفة ايليا وريولاها وشمعون لهم ثلاث كنائس وعدد المؤمنين عندهم ٥,٧٠٠. ثم كان اسقف لمدينة زبيد اسمهُ عبد يشوع وعدد المؤمنين فيها ٢١٠٠ بيت. ثم ذكر نجران وقال انّ في سنة ١٢٦٠ كان بها اسقف يدعى يعقوب وانَّ في انحائها كان ١٤٠٠ بيت من النساطرة. وقال عن

١) طالع تاريخ كنسي لابن العبري (Barhebraeus : *Chron. Ecc.* II, p. 116)

٢) طالع مكتبة سمعاني (BO. IV, 60)

عدن انها كان يوجد فيها سنة ١٢٥٠ م اسقف اسمهُ مباو وانَّ جاعة النساطرة كانت ١٣٠٠ بيت الَّا انَّ كثيرهم قتلوا بالسيف او عدلوا الى الاسلام. هذا ما نقلناه عن هذا الاثر الذي لم يمكنا ان نراه في غيره لنتأكد صحتهُ

وفي القرن السادس عشر ذكر الكاتب الاسباني اوردينو دي سينالتوس (Ordeno de Cenaltos) انهُ في رحلته الى المغرب لقي بعض قبائل عربيَّة حدثته وكدت له انَّ اصلها من قبائل نصارى العرب في اليمن وقد اخبرنا المرسلون الكبوشيون في عدن سنة ١٨٩٥ انهم وجدوا في بعض اهل اليمن آثارًا مسيحيَّة ظاهرة ورثوها من اجدادهم النصارى

الباب السادس

النصرانية في حضرموت وعمان واليمامة والبحرين

انَّ بلاد حضرموت وعمان واليمامة والبحرين مجاورة لليمن فكان ملوك اليمن اذا قويت شوكتهم طمحوا اليها بالابصار وادخلوها في سيطرتهم. الَّا انَّ اخبار تلك الجهات نادرة جدا لا يعرف الَّا القليل من امورها السياسيَّة والادبيَّة والدينيَّة

حضرموت ومنها بلاد كبيرة مما وقع من جزيرة العرب شرقي اليمن بين اليمن وبحر الهند. روى ابن خلدون في تاريخه (١ اسماء دولة مستقلة ملكت عليها بعد المسيح الى ايام الحبشة فلمَّا صارت اليمن في حوزة الحبش ملكوا ايضا حضرموت ولذلك لم يذكر ابن خلدون لحضرموت امراء بعد دخولهم الى اليمن فنوه بسكوته الى انها دخلت في حكم الحبش. فلا بدَّ اذن من ان يُقال انَّ النصرانيَّة دخلت ايضا في حضرموت مع اولئك الفاتحين بل دخلت قبلهم والدليل عليه انَّ قسمًا كبيرًا من كندة كانوا يسكنون في حضرموت (٢ ومعلوم انَّ النصرانيَّة كانت الديانة الغالبة على كندة كما سترى

ثم انهُ كان لحضرموت عدة مدن ساحليَّة ذكرها بطلميوس الجغرافيّ (٣ كانت

---

١) اطلب تاريخهُ المطبوع في مصر (٢ : ٢٥٢) ٢) فيهِ (٢ : ٢٥٣)

٣) اطلب جغرافيتهُ (ك ١٦ ف ٤) ثم كتاب كلازر (Ed. Glaser : *Skizze d. Geschichte u. Geogr. Arabiens* 88-89)

تُقام فيها اسواق تجارية تقصدها الروم وغيرهم فكان اهل حضرموت يختلطون بتجار النصارى القادمين من انحاء شتى فيدينون بدينهم وكان يسكن بعض هؤلاء النصارى الجزائر المجاورة التي لدينا شواهد على نصرانيتها قبل الاسلام بزمن مديد. قال قزما الرحالة (Cosmas, P. G., T. 88,col. 169): «وفي جزيرة تابروبانا التي يدعوها اهل الهند سيدليبا (وهي سيلان ويدعوها العرب سرنديب) في بحر الهند كنيسة للنصارى مع عدد من الاكليريكيين والمؤمنين. وكذلك في مالي (ملبار) حيث يُجنى الفلفل. وفي جزيرة كاليانا اسقف يُسام في العجم ويُرسل اليها. وفي جزيرة ديوسقريدس (وهي سقطرى القريبة من سواحل العرب) كذلك اكليريكيون يُرسمون في العجم وهناك جمٌّ غفير من النصارى... وخدمة الدين النصراني في تابروبانا يُرسلون ايضاً بعد سيامتهم»

وما يدلُّ على علاقات هؤلاء النصارى مع سواحل العرب ما قرأناهُ في كتاب سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري في انساب العرب الذي مرّ ذكرهُ (ص ١٠٦) عن مهرة وسقطرى:

وبجزيرة سقطرى من حمير لقبائل من مهرة وهي جزيرة طولها ٣٠٠ فرسخ وبها العنبر السقطري... وكان اهلها من اولاد الروم فدخلوا في نسب قُمُر من مهرة وهم معروفون. (قال) وبها عشرة آلاف مقاتل كانوا نصارى وذلك انهم يذكرون انّ قوماً من اهل الروم طرحهم بها كسرى فعمروا بذلك الموضع حتى عمرت بهم مهرة فغلبت عليهم وعلى الجزيرة. (قال) وقد يقولون انه لم يكن بها روم ولكن رهبانية على دين الروم من [illegible] ثم دخل [illegible] اشتراة من مهرة وحضرموت وقتيز من [illegible]

وقد بقي قوم من النصارى في سقطرى حتى القرن السادس عشر كما ورد في رسالة للقديس فرنسيس كسفاريوس كتبها عند سفره الى الهند وكان نزل الى سقطرى ورأى فيها بقايا النصرانية فالحّوا عليه بان يسكن عندهم فلم يمكنهُ الامر

ويثبت انتشار النصرانية في حضرموت ما جاء في كتاب طبقات ابن سعد في فصل الوفادات فذكر وفد حضرموت واورد قول احد الوافدين اسمهُ كُليب بن سعد:

[illegible] كُحَبْرِهِ وبسر [illegible] التوراةَ والاسْلِ

فكفى بهذا شيئاً على وجود النصرانية في حضرموت (١

(١) طلب (Wellhausen: S[illegible] . [illegible] IV, 178)

﴿ عُمان ﴾ شمالي حضرموت واقعة على شواطئ بحري الهند والعجم وحاضرتها صُحار وكانت النصرانيَّة دخلت اليها بواسطة دُعاةٍ اتوها من العراق. وفي التواريخ الكلدانيَّة (١ اسماء ساقفة كانوا في عمان منذ القرن الخامس وهم يدعونها مَزون كما دعاها ايضا العرب ونبَّه اليهِ ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٥٢١) فممَّن ذكروه يوحنان سنة ٤٢٤ وداود (٥٤٤) وشمويل (٥٧٦) واسطفان (٦٧٦)

وفي جملة الرسائل التي بعث بها رسول الاسلام الى الملوك رسالة وجَّهها الى مالك عُمان المسمَّى جَيفر بن الجلندى من ازد عمان كان نصرانياً هو واخوهُ عباد ويقال عَبْد وعُبَيد. فنصرانيَّة الملك تشير الى نصرانيَّة البلاد الخاضعة لهُ

وكان في عمان اديرة للنصارى يشير اليها صاحب الاغاني وجاء في تاريخ ابن الاثير (١ : ٢٣٠) انَّ قيس بن زهير « لمَّا تنصر ساح في الارض حتى انتهى الى عمان فترهَّب بها »

﴿ البحرين ﴾ هي البلاد الساحليَّة الواقعة في شرقي جزيرة العرب على سواحل خليج العجم حيث مغاص اللؤلؤ الشهير كان اهلها في الجاهليَّة من بني عبد القيس وهي احدى القبائل المعروفة بنصرانيَّتها قال الشاعر ذو الرُّمة في بعض احيائهم (اطلب نسخة مكتبتنا الخطيَّة ص ٥٧) :

ولكنَّ اصلَ امرئ القيس معشرٌ يحلُّ لهم اكلُ الخنازير والخمرُ

وفي البحرين مغاص اللؤلو الشهير الذي لا يزال اهل تلك الانحاء يستخرجون منهُ الدرر الثمينة وقد مررنا بهِ في رحلتنا من بغداد الى الهند. ولاهل البحرين عادات نصرانيَّة تناقلوها اباً عن جدّ حتى اليوم واشار اليها السيَّاح الالمانيون الذين طافوا تلك البلاد حديثاً كصورة الصليب يرسمونها على جبهاتهم او يطبعونها بالوشم على اعضائهم وكاكرامهم للخبز ذكرا بالقربان الاقدس. وقد لحظ ذلك منهم احد آباء رهبانيَّتنا منذ ثلاثين سنة في دمشق وكان قوم منهم قصدوها للارتزاق

وكانت بلاد البحرين والاحساء المجاورة لها تحت حكم الفرس منذ ظهور الاسلام وكان اهل الارض كما اثبت ياقوت في معجم البلدان (١ : ٥٠٨) « من المجوس واليهود والنصارى » وكان العامل عليها احد بني تميم المتنصرين اسمهُ المنذر ابن ساوي. ومن اشرافها النصارى عند ظهور الاسلام بشر بن عمرو المعروف

(١ اطلب Chabot : *Synodes Nestoriens*

بالجارود وكان سيد عبد القيس والمؤرخون العرب يذكرون انهُ اسلم ومات سنة ٦١ هـ (٦٨١ م)

وكان للنساطرة في بلاد البحرين اساقفة وخصوصاً في قطَر وهم يسمُّونها بيت قطرايا (١. وقد ذكروا في مجمعهم الذي عقدهُ سنة ٥٨٥ الجاثليقُ يشوعياب اهل البحرين المتنصرين ويأمرونهم بالكفّ عن الشغل يوم الاحد ان امكنهم الامر والّا اعفوهم من ذلك لاجل الضرورة. وقد ثبت هؤلاء النصارى على دينهم بعد الاسلام كما يظهر من مجمع آخر نسطوري عُقد سنة ٥٧ هـ (٦٧٦ م) دبَّر فيهِ الآباء عدَّة امور دينيَّة. ومنهُ يظهر ان بلاد البحرين كانت حافلة بالكنائس والاديرة ودُعاة الدين وكان اذ ذاك على قطَر اسقف اسمهُ توما

وكان لقصبة بلاد البحرين وهي هَجَر اسقف يُدعى اسحاق ذُكر في مجمع النساطرة سنة ٥٧٦ ثم ورد ذكر اسقف [illegible] يُدعى فوسي سنة ٦٧٦ (٢

ومن جزائر البحرين دارين ويقال دَيرين ذُكر لها في تواريخ النساطرة ثلاثة اساقفة وهم بولس سنة ٤١٠ ويعقوب سنة ٥٨٥ ويشوعياب سنة ٦٧٦ (٣

ومنها ايضاً جزيرة سماهيج (وفي السريانية مشمهيج) في وسط البحر بين عُمان والبحرين (ياقوت ٣ : ١٣١) كانت فيها كنيسة مسيحية وفي المجامع النسطوريَّة (Chabot, 273, 275, etc) اسماء ثلثة اساقفة تولّوا تدبيرها وهم بطاي والياس (٤١٠) وسركيس (٥٧٦)

ومن مدن الاحساء خطّ وهي بلدة تنسب اليها الرماح الخطيَّة وكان الفرس يدعونها بيت اردشير وكان النساطرة فيها كنائس ذكروا من اساقفتها اسحاق سنة ٥٧٦ وشاهين سنة ٦٧٦ (٤

٧) اليمامة وربما سُمِيت بالعروض والجوّ وتُلحق باقليم الأَحقاف وهي مفاوز متسعة في الجنوب الغربيّ من عمان بين الاحساء شرقا والحجاز غربا كانت قصبتها

---

١) راجع كتاب المجامع النسطوريَّة المنشور حديثاً (J. B. Chabot: *Synodus Nesto-* [illegible] 329 et 448)

٢) راجع كتاب المجمع المذكور: (Ibid. 367, 482)

٣) فيه (Ibid., 432, 618)

٤) فيه (Ibid., 357, 482)

حَجر بفتح فسكون مدينة كبيرة . والعرب يجعلون فيها قوما من الجبابرة من طسم وجديس . وما لا ينكر انَّ النصرانيَّة انتشرت في تلك الانحاء بعد قسطنطين الكبير فان عمرو بن متى في كتاب فطاركة المشرق ذكر ان عبد يشوع السائح بشّر بالنصرانيَّة في جهات اليامة في اواخر القرن الرابع للمسيح

وكان معظم سكَّان اليامة قبل الاسلام بني حنيفة ممَّن يشهد الكتبة المسلمون على نصرانيَّتهم (١ وكان يملك عليهم قبل ظهور الاسلام بقليل هوذة بن عليّ الذي كان اسر قوما من بني تميم ثمَّ اطلقهم يوم عيد الفصح كما ذكر ابن الاثير في تاريخهِ (ج ١ ص ٢٦٠ من طبعة مصر) فقال الاعشى يمدحهُ لفعلهِ :

بهم يقرّبُ يومَ الفصح ضاحيةً يرجو الالهَ بما اسدى وما صنعا

على انَّ بعض الكتبة زعموا انَّ بني حنيفة كانوا يعبدون صنماً من عجين ثمَّ اتت عليهم سنة فاكلوهُ فهجاهم البعض بقولهِ :

اكلتْ حنيفةُ ربَّها زمن التقحُّم والمجاعَهْ
لم يحذروا من ربّهم سوء العقوبة والتباعَهْ

وعندنا انَّ هذه الشكوى باطلة وانَّ الذين نسبوا الى بني حنيفة اكل صنمٍ من عجين انَّما خُدعوا بما رأوهُ من تقرّبهم من القربان الاقدس فان الاصنام لا تُتخذ من العجين ولا تسدّ جوع كثيرين في ايَّام القحط فضلًا عن كون الأقط اليابس العتيق لا يصلح لأكل

وممَّا يدلُّ على نصرانيَّة اليامة مقاومة اهلها للمسلمين تحت قيادة مسيلمة الذي عُرف بالكذَّاب وكان نصرانيًا هو وسجاح التغلبيَّة امرأتهُ . وقيل انَّ امر مسيلمة المذكور قد تفاقم حتى خاف المسلمون فتنتهُ وكان يتلو قرآنًا كرسول المسلمين ذكرهُ عبد المسيح الكندي في ردّهِ على الهاشميّ (ص ٨٧ من طبعة اكسفرد) فدخل عليهِ قومٌ ليلًا واغتالوهُ وكُفوا شرَّهُ

هذه بعض شواهد على وجود النصرانيَّة في البلاد العربيَّة المتوسطة بين اليمن والعراق المجاورة لبحر الهند وخليج العجم وفيها دلائل كافية على ما كان للدين المسيحيّ من النفوذ في تلك الجهات التي لم يفدنا عنها المؤرخون الَّا الفوائد الزهيدة

---

(١) اطلب كتاب ارنلد في الاسلام والنصرانية Arnold (J. M.): *Islam, his History and Relations to Christianity*, p. 54

الباب السابع
النصرانيّة في العراق

ان صعدت من بلاد البحرين وجهات الاحساء انتهى بك المسير الى مفاوز واسعة يحدُّها شرقاً خليج العجم وغرباً بوادي قحلة جرداء لكنَّ شمالها اراضٍ طيّبة كثيرة الخيرات تُعَدّ من اخصب بلاد الله يسقيها النهران الكبيران الفرات ودجلة فيجعلانها جنّات غنّاء. تزاحمت على ماكها الامم القديمة من بابليين وكلدان واشوريين وشبعت من دسمها ووفرة غلّاتها. وكان العرب يدعون تلك الانحاء بالعراق ويخصّون باسم السواد الارياف المجاورة لبوادي العرب

والعرب منذ سالف الاعصار كانوا لا يزالون يراقبون لتلك البلاد طامعين في ثروتها حتى اذا وجدوا غرّة من عمّال الامم المالكة عليها غزوها وبسطوا ايديهم اليها ريثما يزحف اليهم مَن يردّهم الى بواديهم. وكان ملوك العراق في الغالب يفضّلون محالفتهم فيجعلونهم كحرس ثغورهم وسور ممالكتهم على شرط ان يُعطَوا حظّهم من مستغلّات تلك الجهات ويسرّحون في مراعيها قطعانهم

لكنَّ القبائل المحالفة لممالك العراق كان يحسدها على هناء عيشها غيرُها من العشائر فتسير اليها من الجنوب ولا تزال تزاحمها الى ان تغلبها على منازلها فتسكنها معها او بدلاً منها. ومن القبائل التي ذكرها المؤرخون ووصفوا سيرها الى سواد العراق قبائل يمنيّة من الازد تركوا بلاد اليمن سواء كان ذلك لانفجار سدّ مأرب على قولهم او لاسباب أخرى كالمزاحمة وتوفُّر النسل فعدلَ قسم منها الى غرب البلاد نحو الشام وهم الغسّانيون تحت امرة جفنة بن عمرو بن ثعلبة وتوقّل القسم الآخر في الشمال تحت قيادة مالك بن فهم واذ وجدوا في تلك الجهات عشائر من اياد ولخم وغيرهما انضمّوا الى بعضها وقهروا البعض الآخر حتى رسخت ثمّت قدمهم وثبتت كلمتهم بل اخذوا يسعون في ضبط زمام السلطة على كلّ القبائل التي هناك ففازوا برغوبهم وانشأوا لهم دولةً تُعرف بدولة المناذرة كان اول ملوكها جذيمة الابرش فاستولى على جهات السواد الواقعة غربيّ الفرات واتّخذ له مدينة الانبار كقاعدة ملكهِ ثم نقلها خلفاؤهُ من بعدهِ الى الحيرة ولم يزالوا يتتابعون في الملك عليها الى ظهور الاسلام فغلب خالد بن الوليد ملكها الاخير المنذر بن النعمان ابي قابوس سنة ١١ للهجرة

(٦٣٣ م). وكان ملوك الحيرة في مدَّة دولتهم محالفين لملوك العجم من السلالة الساسانيَّة بينما كان اخوتهم الغسَّانيُّون احلاف لروم في بادية الشام

وان اعتبرنا دين عرب العراق وجدنا لشرك شائعاً بينهم كما في بقيَّة جهات العرب وجرت عندهم خصوص عبادة الكواكب والسيَّارات السبع كما ألفها عرب اليمن والكلدان اهل العراق ولعلَّهُ دخل في دينهم ايضاً شيءٌ من ديانة المجوس كتعظيم الشمس والنيّرات

امَّا النصرانيَّة فكان لها فيهم تأثير عظيم. وهذا ما يلوح من الآثار القديمة التي ورد فيها تاريخ تلك البلاد بعد السيد المسيح فلمَّا اشرقت شمس النصرانيَّة سار دُعاتها الى ما بين النهرين والجزيرة والعراق فدعوا اليها اهل تلك الاقطار الذين لبّوا دعوتهم وانتظمت الجموع الغفيرة في سلك النصرانيَّة. واذ كانت العرب ممتزجة مع سكَّان تلك الجهات اقبلوا هم ايضاً الى التديُّن بها وجحدوا عبادة الاصنام والكواكب. ولنا على تنصُّر عرب العراق شواهد سبق بعضُها عهدَ مالك بن فهم

فمن ذلك ما رواهُ كتبة الكلدان عن اوَّل من بشَّر بالدين المسيحيّ في مواطنهم وكان العلامة يوسف السمعاني في مكتبتهِ الشرقيَّة (٤ : ٥ — ٣٠) جمع عدة شواهد من اقوالهم تصرّح بانتشار النصرانيَّة في العراق ونواحي اشور وبابل على يد الرسولين توما وبرتلماوس وبدعوة ثلاثة من المبشرين الاوَّلين اعني اديّ او تدَّاي احد السبعين وتلميذيهِ اجّي وماري. لكنَّ كثيرًا من علماء التاريخ لم يسلّموا لهُ بصحَّتها اذ رأوها حديثة العهد من القرن العاشر فما بعد لكنَّ الاكتشافات الحديثة في السريانيَّة لم تُبقِ ريباً في الامر اذ تثبت انَّ اديّ الذي يعتبرهُ الكلدان كرسولهم كان حقًّا من تلامذة السيّد المسيح وانَّ بشارتهُ في جهات العراق لا يجوز نكرانها. فانَّ اقدم التواريخ الكلدانيَّة من القرن الخامس الى التاسع التي نُشرت مؤخَّرًا كتاريخ « بَرحَدْ بشابا عَربايا » وتاريخ « مشيحا زخا » وشعر نرساي في القرن الخامس وشهادة آباء مجمع المدائن المنعقد في بلاط الملك كسرى سنة ٦١٢ واعمال الشهداء والكتب الطقسيَّة القديمة كلُّها تشير الى بشارة الرسول اديّ (١ كما

---

١) اطلب كتاب حضرة القس منكَنا المعون (A. Mingana : *Sources Syriaques*) وكتاب السيد عبد يشوع خيَّاط في الكلدان والنساطرة والرئاسة البطرسية Eb. Khayyath: *Syri Orientales seu Chaldæi*)

ان بعضها يروي اعمال القديس ماري تلميذ ادّي (١ . وفي الشواهد عن هؤلاء المبشرين الاوَّلين للكلدان ربَّما ذكروا ايضا تبشيرهم لنواحي العرب. قال صاحب كتاب النحلة من كتبة القرن السابع : « وكان الداعي والمنصِر والمتلمذ والمدبّر بالجزيرة والموصل وارض بابل والسواد وما والاهُ من بلاد التيمن والحزَّة ونواحي العرب من التلاميذ السبعين ادّي وماري ولحق بهما من التلاميذ الاثني عشر ناثنيل وهو ابن تلماي (اي برتلماوس) ». وقد قال سليمان بن ماري عن هذا الرسول (ص ٥) : ان برتلماوس تلمذ مع ادّي وماري « نصيبين والجزيرة والموصل وارض بابل والسواد وبلاد العرب وارض المشرق والنبط »

وقد سبقهما القديس افرام الكبير في القرن الرابع وذكر بشارة ادّي الى الرها والمشرق في الميمر الذي مدح فيهِ مدينة الرها

امَّا ماري فانَّ ذكرهُ لا يكاد يفترق عن ذكر ادّي في الشواهد السابق ذكرها كالكتب الطقسيَة النسطوريَّة واعمال الجامع وترجمتهِ الموء اليها وكلها تشير الى دعوتهِ بين العرب في بلاد ميشن وسواد العراق وسكَّان الخيام. قال ابن ماري في تاريخ فطاركة المشرق : « انَ ماري بادر الى تلماذ جميع نواحي ارض بابل والعراقين والاهواز . . . وبلاد العرب سكَّان الخيم ونجران وجزائر بحر اليمن ». وقد روى الطيّب الذكر السيد عبد يشوع خيَّاط في مقدَمة اعمال مار ماري (٢ انَ ذخائره وُجدت سنة ١٨٧٩ مع ذخائر يشوع سبران احد شهداء القرن السادس بين آثار كنيسة قديمة موقعها في كرملش شرقي الموصل. فهذه الشواهد من شأنها ان تزيل الشكّ في تاريخيَّة ماري التي ارتاب فيها البعض

قلنا انَّ بعض قبائل العرب كانت سبقت مالك بن فهم في سكنى العراق من جملتها بنو اياد الذين يذكر المؤرخون تنصّرهم منهم البكري في معجم ما استعجم (ص ٤٨). وقد اشار شاعرهم لقيط بن يعمر الايادي الى بِيَعهم في قصيدتهِ العينيَّة التي كتبها ليحذّرهم من غزوة كسرى وهي من اقدم الآثار العربيَّة فقال :

تامت فؤادي بذات الجزع خرعبةٌ مرَّت تريدُ بذات العَذبة البيَعا

---

١) اطلب ترجمتها في شرحنا لاول مرَّة في كتاب لسرياني سيدنا ابلوس (J. B. Abbeloos : *Acta S. Maris*)

٢) اطلب هذه الترجمة (Acta S. Maris, 7-8)

ففي ذكرهِ للبيع في ديار اياد على عهد كسرى شاهد على شيوع النصرانيَّة بينها منذ القرن الرابع وهذا يخالف رواية ابن دريد في الاشتقاق(ص ١٠٥ .éd Wüstenfeld) حيث أخَّر تنصُّرهم قائلًا: « اياد قدم خروجهم من اليمن فصاروا الى السواد فالحّت عليهم الفرس في الغارة فدخلوا الروم فتنصَّروا »

وكان ايضاً بين قبائل العراق قوم من لَخم · وفي السيرة الحلبيَّة (طبعة مصر ٣:٩٥) انَّ بني لخم كانوا من عدد القبائل المتنصرة· لكنَّ الكاتب لم يذكر زمن تنصُّرهم

ولمَّا ظفرت النصرانيَّة بالدين الوثني في الدولة الرومانيَّة بجلوس قسطنطين على منصَّة الملك بلغ صدى ذاك الانقلاب حتى العراق وحدثت نهضة جديدة ساقت الالوف المؤلفة الى التنصُّر رغما عن معارضة ملوك العجم حتى كادت النصرانيَّة تعمّ تلك الانحاء كلها وتستأصل شأفة المجوسيَّة لكنهُ قام سابور ذو الاكتاف وسفك دماء النصارى مدَّة ملكهِ الذي دام سبعين سنة فضحَّى ١٦٠,٠٠٠ من المسيحيين الذين كانوا في دولتهِ · واعمال هؤلاء الشهداء قد كتبها شهود عيانيُّون تُعدّ رواياتهم من اصدق واثبت التواريخ نشرها السمعاني ونقلها الى اللاتينيَّة

ولا غرو ان بين هؤلاء الشهداء كان ايضا قوم من العرب المتنصِّرين كما يُستدلّ من امكنة استشهادهم وبعض اعلامهم كعبد الله والحارث وعزيز وحبيب الخ وقد ذكر اليَّا النصيبيني اساقفة على البصرة (وكان اسمها فرات ميشان) منذ السنة ٣١٠

وقد شهد المؤرخون ان سيَّاحًا من النصارى كانوا يعيشون بين احياء عرب العراق منذ اواخر القرن الثالث واوائل الرابع ذكرهم المؤرخ سوزمان (١ ودعاهم بالرعاة (Βοσκόμενοι) لأنهم كانوا يعيشون في البراري ويقتاتون من النبات وروى ذلك المؤرخ « انهم بحياتهم النسكيَّة وفضائلهم العجيبة ردُّوا كثيرين من العرب والعجم الى الدين النصراني »

ثمَّ تبع هؤلاء السيَّاح رهبانٌ غيرهم جروا على مثال رهبان الصعيد واخذوا عنهم طرائقهم النسكيَّة فكثيرون منهم اشتهروا في جهات العراق وفي البلاد التي كان يسكنها العرب

---

١) اطلب تاريخهُ (Sozomène, H E., l. VI, 34)

وممَّن خصَّهم بالذكر قدماء الكتبة الراهبُ حنَّا الكشكري (١ الذي سكن في بلاد جرم وابتنى ديرًا هناك نحو سنة ٣٢٠

وذكر تاودوريطس المؤرخ القديس سمعان القديم (٢ فروى انهُ كان تنسَّك في بلاد « الاسماعيليين » مختفياً في بعض المجاهل الَّا ان العرب اكتشفوا مكانهُ واتوهُ جموعاً متكاثفة ليسمعوا تعاليمهُ وينالوا منهُ الشفاء لمرضاهم. فاجاب الى ملتمسهم لكنهُ لم يزل يراقب الفرصة ليهرب من لجاجهم ويبقى معتزلًا في مناجاة ربّهِ

ويروى عن القديس يليان سابا اي الشيخ انهُ ساح في بلاد العرب مع تلميذهِ المسمى يوحنَّا الفارسي (٣ في غضون ذلك القرن الرابع

وفي هذا القرن نفسهِ كانت القبائل اليمنيَّة من آل نصر بن ربيعة الازدي التي انتقلت من جنوبيّ العرب الى الشمال فألقت في جهاتها عصا التسيار واخذت تقوى وتنمو وتضمُّ اليها شتات القبائل العربيَّة لتملك عليها. وكان بين ملوكها الاوَّلين المسمَّى امرؤ القيس بن عمرو المعروف بالبدء الذي طالت مدة ملكهِ الى اواسط القرن الرابع. ومما يجدر بالذكر ان الكتبة يؤكدون تنصُّرهُ قال ابن خلدون في تاريخهِ نقلًا عن ابن الكلبيّ وغيرهِ (طبعة مصر ٢:٦٣) : « ولما هلك عمرو بن عديّ ولي بعدهُ على العرب وسائر مَن ببادية العراق والحجاز والجزيرة امرؤُ القيس بن عمرو ابن عدي ويقال له البدء وهو اوَّل من تنصر من ملوك آل نصر وعمَّال الفرس »

ولسنا نحن نرى في الامر عجباً بعد ما رويناه عن امور النصرانية في اليمن فهذه القبائل المهاجرة الى الشمال كانت عرفت الدين المسيحيّ في مواطنها فبقيت خميرتهُ فيها عند انتقالها الى العراق. ويؤيد ذلك ما رواهُ القزوينيّ من امر « الانبياء » الذين ارسلهم الله الى بني حمير يدعوهم الى الله. قال: « فبعث الله ثلاثة عشر نبيّاً (لاهل اليمن) فكذَّبوهم ». لكن المسعودي في مروج الذهب (٣:٣٩٣) ذكر توبتهم على يد اولئك الرسل وانتظام امورهم فقال: « وازال الله النعم عنهم واموالهم فقالوا لرسلهم:

١) اطلب المكتبة الشرقيَّة للسمعاني (٤:٦٩١-٤ /)
٢) حسب تاريخ الرهبان لتاودوريطس (Migne PP. GG. vol. 82, col. 1350)
٣) اطلب اعمال السلاسين في يوم ١٨ من شهر تشرين الاول. ومما روى تاودوريطس المذكور في تاريخهِ (ك ٣ ف ٢٠) ان عسكر كتيبة رومانية سرا من الامبراطور يليان انحاز في حرب الفرس الى احد رعاة العرب

ادعوا لنا الله ان يخلف علينا نعمتنا ويردّ علينا ما شرد من انعامنا ونعطيكم موثقاً ان لا نشرك بالله شيئاً فسألت الرسل ربّها فاجابهم الى ذلك واعطاهم ما سألوا فاتّسعت بلادهم واخصبت عمائرهم الى ارض فلسطين والشام ». وقال القزوينيّ: « ان ذلك كان بين مبعث عيسى والنبيّ » فتعيَّن بقولهِ هذا انَّ هؤلاء الانبياء او الرسل ما كانوا الَّا دعاةً لدين المسيح كما يُستدلّ عليهِ من الشواهد السابقة

ولنا دليل آخر على تنصُّر تلك القبائل اليمنيَّة في العراق وذلك ما ذكرهُ المؤرخون عنها فقالوا انَّ قبائل من قضاعة من تيم اللات وكلب بن وبرة والاشعريين مع قوم من الازد تحالفوا وتآخوا فدُعوا تنوخاً ونزلوا جهات البحرين ثم العراق ما بين الحيرة والانبار وتنصَّروا. قال ابن خلكان في ترجمة ابي العلاء المعرّي (ص ٤٩ éd. de Slane): « تنوخ اسم لعدَّة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين وتحالفوا على التناصر واقاموا هناك وسُمّوا تنوخاً. وتنوخ احدى القبائل الثلاث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب ». امَّا تنصُّرهم في القرن الرابع فيؤخذ من قول صاحب الاغاني عن سابور ذي الاكتاف لمَّا حاربهم وكان شعارهم شعار المسيحيين. قال (١١: ١٦٢): « ونزلت تنوخ بالبحرين سنتين... حتى نزلوا الحيرة فهم اوَّل من اختطها... ثمَّ اغار عليهم سابور الاكبر فقاتلوه فكان شعارهم يومئذٍ: آل عباد الله فسُمّوا العباد »

ولعلَّ الديرَين اي دير الجماجم بظاهر الكوفة ودير الحريق قرب الحيرة اللذين ذكرهما ياقوت في معجم البلدان (٢: ٦٥٢, ٦٦٤) قد انشأهما نصارى العرب في العراق تذكارًا لاؤلئك الشهداء الذين قتلهم سابور لاجل ايمانهم وفي روايات نقلها ياقوت ما يلمع بذلك. وجاء في روايات أُخرى فيهِ عن ابن الكلبي ان دير الجماجم بناهُ بنو عامر شكرًا لله على ظفرهم ببني ذبيان وبني تميم بعد حرب وقعت بينهم. امَّا دير الحريق فبُني تذكارا لقوم أُحرقوا بالحيرة

وما لا يُنكر وتثبتهُ الشواهد التاريخيَّة انَّ الاديرة كثرت في اواخر القرن الرابع للمسيح في جهات العراق التي كان يسكنها العرب. فانَّ القديس اوگين الذي كان نشر العيشة الرهبانيَّة في بلاد الجزيرة وما بين النهرين ارسل عصبةً من تلاميذه حتى اقاصي العراق وما عتَّمت الآداب الرهبانيَّة ان انتشرت فيها على يدهم ايَّ

انتشار خصَّ منهم المؤرخون بالذكر الراهبَ يونان او يونس الذي شيَّد ديرَين الواحد في الانبار قاعدة اللخميين قبل سكناهم في الحيرة على الفرات والآخر بقرب نينوى . وقد عرف العرب الديرين كليهما فذكرهما ياقوت ودعا الاوَّل (٢ : ٧٠١) دير مار يونان والثاني دير يونس قال عن هذا الاخير (٢ : ٧١٠) انهُ « في جانب دجلة الشرقي مقابل الموصل وبينهُ وبين دجلة فرسخان واقلّ وموضعهُ يُعرف بنينوى »

وفي التواريخ الكلدانيَّة القديمة ان يونان المذكور طاف بلاد السواد وبشَّر العرب بالمسيح وكان قبل ان يزهد بالدنيا يتعاطى العلوم الفلسفيَّة ويزاول الطبَّ فحبَّبهُ ذلك الى العرب وكافَّة اهل السواد. ولمَّا ابتنى ديرهُ في الانبار كثر عدد الطالبين للترهُّب تحت تدبيره

وفي النصف الثاني من هذا القرن الرابع تولَّى احد رهبان النجارى اسمهُ عبدا بناء الاديرة في انحاء العرب فقدم على جاثليق المدائن المسمى تموُّز او تومرصا ونال منهُ الرخصة في ذلك فبنى هو ديرًا كبيرًا في دير قنَّى او درقان وطنهِ على اسم مار ماري حيث كانت ذخائر ذاك الرسول. وبنى تلامذتهُ اديرةً اخرى منهم تلميذهُ عبد يشوع الذي شيَّد على نهر صرصر الدير المعروف بالصليب حيث كان ظهر صليب منير في ايَّام استشهاد المسيحيين على يد سابور باغراء المجوس. وشيد ديرًا آخر في باكسايا في سواد العراق ثم ديرًا ثالثًا عند الفرات. واخبر المؤرخ ابن ماري (ص ٢٩) انَّهُ تلمذ العرب في بتوث وميشان واليمامة وردَّ بني ثعلبة الى الايمان (1 فجعلهُ تومرصا اسقفًا مقامهُ في دير مخراق. ومنهم تلميذهُ يبالاها الذي ردَّ قوامًا من العرب في ارياف الفرات وابتنى ديرًا في دسكرة السواد وديرًا آخر على ضفَّة النهر قيل انَّ عدد رهبان ديرهِ قد كثر حتى ضاق بهم الدير مع سعتهِ فبلغوا الاربعمائة بنيّف وكان الرهبان من انحاء شتى يتكلمون لغات مختلفة فجعلهم اربعًا وعشرين فرقة يتعاقبون في تلاوة الفرض الالهيّ ليلًا ونهارًا فيتلون الصلوات والتسابيح في لغاتهم اي السريانيَّة واليونانيَّة واللاتينيَّة والقبطيَّة. وكان سبقهُ الى ذلك في هذه المناسك راهب آخر اسمهُ اسكندر الذي انشأ طائفة الساهرين (Acémètes) لمواصلتهم الصلاة ليلًا مع نهار. وقد ذكر سليمان بن ماري في تاريخ فطاركة كرسيّ المشرق (ص ٢١) وعمرو بن متى في

1) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (ج ٣ ص ١٩٠ و ٢١٨ و ٣٠٢)

المجدل (ص ٢٨) كثيراً من هذه الاديرة واختصروا تواريخها عن كتبة معاصرين اخصّهم أحي تلميذ مار عبدا الذي وضع ترجمة حياة معلمهِ ثمَّ صار بعد ذلك بطريركاً على الكلدان

فهذا العدد الوافر من الاديار وكثرة المترهّبين فيهما دليل واضح على سطوع ضياء النصرانيّة بين عرب العراق في ختام القرن الرابع للمسيح . فانَّ كلّ دير منها كان كينبوع من المياه الحيّة يسقي تلك الارجاء فينبت للخلاص الثمار الطيّبة. وكان المتنصِّرون يمارسون من الفضائل اسماها ومن الاعمال المبرورة افضلها وأولاها حتى انهم ما كانوا يحجمون عن الموت والعذابات لاجل دينهم كما يُروى عن السفراء الثلاثة الذين اوفدهم ملك العجم الى القيصر يليانوس المارق سنة ٣٦١ واسماؤهم مانويل (او عمانويل) وشابيل واسماعيل اراد يليانوس ان يغصبهم على السجود للاصنام فأبوا وماتوا في سبيل دينهم القويم في القسطنطينيّة واعمالهم مدوَّنة في مجموع البولنديين (Acta Sanctorum, d. XVII Junii) . وكان قبلهم سفيران آخران (سنة ٢٥٠) قد وفدا على دقيوس من قبل دولة الفرس اسمهما عبدون وسنان وفضّلا الموت على جحود النصرانية فقُتلا في رومية وعيدهما في الكنيسة في ٣٠ تموز

وبعد هؤلاء نسّاك العراق بزمن قليل قام في الكنيسة الانطاكية قدّيس آخر اشتهر في الشرق والغرب معاً نريد بهِ القديس سمعان العمودي المولود نحو سنة ٣٦٠ للمسيح الذي رقي عمودهُ في الجبل المعروف باسمهِ في جهات انطاكية واضحى بعد مدّة كنارة استضاء بها العالم كلهُ. وسيرتهُ قد كتبها احد تلاميذهِ المسمى انطون فنشرت في اعمال الآباء اللاتينيين (Migne, P. L. t. 73, p. 329) وكتبها ايضاً تاودوريطس معاصرهُ الذي كان يتردَّد عليهِ وهو من اوثق المؤرخين واصدقهم روايةً . وكذلك روى اعمالهُ كثيرون من السريان فنُشرت تآليفهم في هذه المدّات الاخيرة. ومن يتصفَّحها يتحقّق ما نالهُ العرب من فضل القديس سمعان. وقد مرَّ لنا ذكر الحميريين الذين كانوا يقصدونهُ من اليمن. وكان العراقيّون من العرب ينتابونهُ بشوق اعظم لقربهم منهُ. اسمع ما كتبهُ تاودوريطس اسقف قورش بعد ان شاهد عيانا العجائب التي كان يأتيها العمودي قال عن العرب ما نروي قسماً منهُ معرّباً (١ :

١) اطلب الباب ٢٦ من كتابهِ المدعو بفيلوتاوس او الحياة الرهبانيّة (Migne P. G., t. 82, col. 1474)

« انَّ مقام سمعان على عموده قد اثار قلوب الالوف المؤلَّفة من بني اسمعيل فكانوا يأتونهُ افواجاً افواجاً فيتقاطرون اليهِ تارةً مائتين وتارةً ثلاثة واحياناً أُلوفاً (ἄλλοτε καὶ χίλιοι) فيجحدون لديهِ اضاليل احداهم ورثهم ويحطّمون امامهُ اصنامهم ويلعنون باغراء ابرُهرة وعبادة النجسة ثم كانوا يتلقّنون التعاليم الخلاصية ويذعنون للشدرة الانجيليّة. وقد حصل لي خطر على حياتي من تزاحمهم عليَّ لانَّ القديس سمعان كان يأمرهم ان يطلبوا مني البركة الاسقفية مؤكّداً لهم انها تعود عليهم بالخير فكانوا اذ ذاك يتحمون عليَّ من كل جانب من الامام والوراء والجانبين ويركب بعضهم على كتف البعض ويمدّون اليَّ ايديهم يلتمسوا مني بركة ولولا ان القديس سمعان كان يزجرهم لكنت تأذّيتُ من دحمهم وزدحامهم عليَّ »

وقد ذكر هناك تودوريطس ومنهُ المؤرخ ايفاغريوس والكاهن قزما معاصرهُ عدّة عجائب وآيات باهرة صنعها سمعان مع العرب وشيوخهم زادت ثقتهم بهِ وتواردهم اليهِ واقبالهم على استماع اقوالهِ. من ذلك ما اخبر بهِ عن امير قبيلة نُقل اليهِ مخلّعاً على سرير من مدينة الرقّة فشفاه القديس برسم اشارة الصليب عليهِ وصبغه بمياه المعموديّة فعاد كخلع الانجيل حاملاً سريرهُ والحضور كلهم يشكرون الله على هذه النعمة السابغة (١). وكذلك خبر عن امير آخر كان تنصّر ونذر بين يدي القديس انهُ يصوم عن اكل اللحم فنسي نذرهُ مرّة وكل قطعة من اللحم استحالت في جوفه الى حجر كاد يلفظ به روحهُ لو لم يسرع الى القديس الذي خلّصهُ بصلاتهِ (٢). وارسلت ملكة العرب من العراق وسألتهُ ان يزيل عقمها وينال لها من الله ابناً ذكراً فنالتهُ وارسلتهُ الى رجل الله ينال بركتهُ

وذكر تلميذهُ انطون في سيرته (٣) انَّ ميراً من امراء عرب الجزيرة دعاه مالك (Basilicus) قدم على القديس فوجد سمعان يصلي فوق عمودهِ فجثا تحته ينتظر نهاية صلاتهِ ليطلب بركتهُ واذا بدودة كانت على جسم القديس وكان يحتمل ذلك بصبر حباً بالله سقطت فالتقطها الامير ليحفظها كتذكار وذخيرة. فلحظ سمعان فعل الامير فصرخ اليهِ: انك بفعلك هذا ايها الرجل الشريف قد كدّرتني فكيف تمسّ ما ينتثر من جسدي من النتن. ففتح الامير يدهُ واذا بالدودة قد استحالت الى درّة ثمينة فاراها القديس وقال: ليست هذه دودة بل درّة. فجاوبهُ سمعان: على حسب ايمانك قد صنع بك الربّ فلتكن يدك مباركة طول حياتك. وانطلق الامير فرحاً

(١) راجع تيودوريطس (P. G., t. 88, col. 1477) (٢) في ايضاً
(٣) اطلب مجموع الآباء اللاتين (Migne: P. L., t. 73, p. 329)

على انَّ بعض امراء العرب غير المتنصرين لم يرضوا بفعل رعاياهم وخروجهم الى بلاد الروم وتنصّرهم على يد سمعان العمودي. وممَّا اخبر المؤرخ قزما الكاهن ان ملك الحيرة الذي دعاه بالنعمان وهو النعمان الاوَّل الذي يلقبهُ العرب بالاعور لمَّا استولى على ملك الحيرة بعد امرئ القيس الثاني (نحو سنة ٣٩٠ الى ٤٢٠) امتعض من رحلة اهل الحيرة الى القديس سمعان فاعلن بامر ملكي انَّهُ ينهى تحت عقاب الموت الخروج الى زيارة السائح فما انتشر هذا الخبر حتى استولى الخوف على رعاياه فرأوا ان الطاعة لهذا الحكم الظالم اولى من التعرض للموت الاحمر. الَّا انَّ الملك لم يلبث ان ندم على ما فعل. ففي ذات الليلة التي وليتْ صدور الحكم ظهر لهُ القديس في الحلم وفي يدهِ سيف ومعهُ خمسة رجال لابسين ثياباً بيضاً ناصعة فنظر الى الملك شزرًا وبكّتهُ على فعلهِ ثمَّ امر الرجال ان يربطوهُ ويجلدوهُ جلداً مبرّحاً دون ان يرثوا لعويلهِ فلمَّا كاد يصير الى التلف امر بالكفّ عنهُ ثمَّ سلَّ السيف متهدّدًا وقال: « ايّاك ايّاك ان تعود الى مثلها فبهذا السيف تُقطع مفاصلك » فقام الملك وهو على آخر رمق ولمَّا اصبح الصباح جمع حاشيتهُ والقى حكمهُ امامهم وحضَّ شعبهُ ان يذهبوا الى القديس كيفما شاؤوا. قال قزما المؤرخ: « وهذا الخبر رواهُ احد قوّاد النعمان المسمَّى نطيرس بن سبا وكان سمعهُ من فم النعمان ولمَّا جاء ليزور القديس اخبرهُ سمع امام سمعان نفسهِ وانا حاضر ». وأردف الراوي قائلًا: ومذ ذاك الحين أُطلقت الحرية لعرب الحيرة بان يدينوا بالنصرانيَّة ثم قال: والملك النعمان كان يريد بعد ذلك ان يتنصَّر ويزهد بالدنيا لكنهُ خاف من سطوة ملك العجم

(قلنا) ولنا في شهادة مؤرخي العرب ما يثبت هذه الرواية ويؤيد صحّتها. فانَّ المؤرخين قد رووا انَّ النعمان الاعور بعد سنين من ملكهِ اجتمع باحد النسَّاك الصالحين المدعوّين بالرابطة فزهّدهُ بالفانية ودعاهُ الى ترك الدنيا وعبادة الله فلبى الملك دعوته ولبس معهُ المسوح وساحا في الارض زهدًا (١). وليس هؤلاء الرابطة على رأينا سوى رهبان النصارى الذين بينَّا لك وفرة عددهم في جهات العراق وزهدهم بالعالم. وفيما ذكرنا من تاريخ قزما مصداق على هذا الراي. ولعلَّ الدير الذي دعاهُ العرب بدير الاعور قد ابتناهُ نعمان الاعور المذكور لولا انَّ ياقوت (٢:

١) اطلب تاريخ الطبري طبعة ليدن (ج ١ ص ٨٥٤) ومجموعنا مجاني الادب (٢: ٢٣١)

٦٤٤) نسب دير الاعور الواقع على قوله بظاهر الكوفة الى رجل من بني حذافة ابن زهر بن اياد وقد مرّ بك انّ بني اياد من اقدم قبائل العرب المتنصرة

ولا غرو ان تنصُّر هذين الملكين زاد النصرانيّة شأنًا وعزًّا في العراق. قال قزما بعد رواية نطيوخس بن سالم عن ندامة الايمان ان الدين المسيحي مذ ذاك الوقت نما نموًّا عظيماً فكثر عدد الاساقفة والكهنة حتى ضاق عن الحصر ولمّا قام الملك اردشير الاول واضطهد النصارى في ملكه نال عربَ العراق قسمٌ من تلك المحن اظهروا فيها من الثبات ما غيّر بعد مدة فكار الملك تناضي عنهم. وقيل انّ امرأة الملك اردشير نالت بشفاعة القديس سمعان الشفاء من مرض عضال فرغبت الى الملك ان يكفّ الاضطهاد عن النصارى في مملكته

وفي القسم الاوّل من القرن الخامس دانت النصرانيّة اوج فخرها وسؤددها في العراق. وكان الايمان كاثوليكيا محضاً نقيّاً من اضاليل النساطرة واليعاقبة وكان الاساقفة حريصين على وديعة الايمان لرسوليّة كما ترى من اعمال مجمع المدائن الذي عُقد سنة ٤١٠ فشذبت اضاليل آريوس وغيرهم من المبتدعين

وفي هذا الزمان عُرف القديس ماروثا رئيس اساقفة ميّافارقين الذي حظي لدى ملك العجم ازدشير الثاني وابرأ ابنتهُ من داء عقام فنالت من ابيها الحريّة التامّة لنشر النصرانيّة في العجم. وماروثا من كبار القديسين الشرقيين والمدافعين عن الايمان المستقيم بهمته عُقد مجمع ثانٍ في المدائن سنة ٤٢٠ لاثبات عقائد الايمان وجرم نسطور

وفيه ايضاً اصبحت جهات الجزيرة ولا سيّما جهات العراق كحديقة غنّاء بلغ فيها عدد الاديار ما يجوز الحصر فكانت الاديرة كمدن واسعة يسكنها الوف من الرهبان يقضون فيها الحياة في الصلاة والتقشف. ولو راجعت الفصل الذي خصّهُ البكري في معجم ما استعجم (٣٥٨—٣٨١) وياقوت الحموي (٢: ٦١٠—٧٣٩) وغيرهما بهذه الاديرة لرأيت ان بلاد العراق كان لها نصيب كبير منها وهم لم يذكروا غير الاديرة التي ورد اسمها في شعر الشعراء كدير دمشق لاهوت ودير ابي يوسف فوق الموصل قريب من بلد وديارات الاساقف بالنجف بين قصري الخورنق والسدير ودير الاسكون بالحيرة وقرب واسط كانت من الاديرة اطوم الدينية ودير الشموني قرب بغداد ودير الاعلى بالموصل على جبل مطلّ على دجلة ودير باشهرا بين

سامرًّا وبغداد ودير باعربا بين الموصل والحديثة على شاطئ دجلة ودير مخائيل ودير الثعالب منسوب على ما نظنّ الى بني ثعلبة المتنصرين قريب من بغداد عند الحارثيَّة ودير الجرَعة بالحيرة ودير الخوات بعُكبرا ودير الخنافس على قلّة جبل تُشرف على دجلة ونينوى ودير دُرتا غربيّ بغداد ودير الدِهْدار بنواحي البصرة ودير الزَّنْدَوَرد في الجانب الشرقي من بغداد ودير سابور غربيّ دجلة ودير سمالو وكلاهما قرب بغداد ودير الشُّوسي بنواحي سرّ من رأى (وهي سامرًّا) ودير الشاء بارض الكوفة ودير صَباعي شرقيّ تكريت ودير الطواويس بسامرًّا ودير العاقول بين مدائن كسرى والنعمانيَّة ودير العجّاج بين تكريت وهيت ودير العَلْث ودير فثيون وكلاهما بسامرًّا وديرَي القباب وتوطا من نواحي بغداد ودير القيَّارة عند الموصل ودير كَرْدشير بين الريّ وقمّ ودير كُوم من اعمال الموصل ودير مار فثيون بالحيرة اسفل النجف ودير مار سرجيس قرب سامرًّا ودير متى قرب نينوى ودير مديان على نهر كرخايا قرب بغداد ودير مر جرجس بالمَزرفة قرية من منتزهات بغداد ودير مَرْ ماري من نواحي سامرًّا ودير مر يُحنَّا جانب تكريت ودير ملكيساوا فوق الموصل ودير هِزْقَل في جهات البصرى وغيرها ايضاً تؤيد كثرتها ما قلنا عن انتشار النصرانيَّة في العراق

والعرب لم يعرفوا فقط هذه الاديرة ورووا اسماءَها في اشعارهم او ذكروها في جملة اخبارهم بل نُسب كثير منها اليهم او لوقوعها في ديارهم او لأنهم عُنوا بتشييدها وكلّ ذلك ما يزيد بياناً قولنا في نفوذ النصرانيَّة بين عرب العراق. فمن ذلك ما ذكرهُ البكريّ وياقوت ايضاً كدير ابن برّاق بظاهر الحيرة ودير ابن عامر ودير ابن وضّاح ويسمَّى ايضاً دير مر عبدا بناهُ بذات الاكيراح من نواحي الحيرة عَبدا بن حنيف بن وضّاح اللحياني. ودير حنظلة المنسوب الى حنظلة بن عبد المسيح بن علقمة بن مالك من بني لخم. ودير حنة دير قديم في الحيرة منذ ايَّام بني المنذر لقوم من تنوخ يقال لهم بنو ساطع. ودير حنَّة آخر بالأكيراح بناحية البليخ ذكرهُ البكريّ (٣٧٢) ثمَّ قال: «والاكيراح موضع ايضاً بالحيرة فيهِ دير بناهُ عبد بن حنيف من بني لحيان الذين كانوا من لخم وملكَ الحيرة منهم ملكان» ودير خندف وهي ليلى بنت حلوان القضاعي امّ ولد الياس بن مضر بن نزار. ودير السوا المنسوب الى رجل من اياد وقيل الى بني حذافة. ودير عبد المسيح المنسوب الى عبد المسيح

ابن عمرو بن بُقَيلة الغسّاني الشاعر واحد المعمّرين موقعهُ في ظاهر الحيرة. ودير العذارى بين سرّ من رأى والحظيرة وكان يسكنهُ عدد من ابكار العباديين وعرب النصارى. روى ياقوت (٢ : ٦٨٠) والبيروني في كتابهِ الآثار الباقية (éd. Sachau p.314) "انَّ احد ملوك الحيرة اراد ان يختار منهنَّ له نسوة فصُمن ثلاثة ايّام بالوصال فات ذلك الملك في آخرها ولم يمسّهنَّ ومذ ذاك اخذوا يصومون هذا الصوم المعروف بصوم العذارى". ودير علقمة بالحيرة منسوب الى علقمة بن عديّ بن الرميك من بني لخم ودير عمرو في جبال طيّ. ودير قرّة المنسوب الى قرة احد بني حذافة بن زُهر ابن اياد. ودير اللجّ للنعمان ملك الحيرة. ودير هند الكبرى وهند الصغرى وسنعود الى ذكرهما

ويخبر عن المتعبدين في تلك الاديرة او القلالي الممتدّة بين الحيرة والبصرة انّهم كانوا يجتمعون في الاعياد فيحتفلون بها برونق وكان اهل تلك الانحاء يخرجون اليهم فيحضرون حفلاتهم ويطلبون منهم شفاء مرضاهم. وكان النسّاك يعيشون غالبًا من صيد الاسماك ومن حسنات المؤمنين

فهذه اديرة عديدة كلّها من بناء نصارى العرب في جهات العراق. فلعمري انّها من ادلّ الادلّة واجلى البيّنات على علوّ منار النصرانيّة بين عرب الجاهليّة

وما قلناهُ عن الاديرة يجوز قولهُ عن عدّة كنائس وبيع شيّدها العرب واشاروا بذلك الى تُقاهم وتحمُّسهم في الدين. وكانوا يتفاخرون ببناء البيع في احيائهم. قال الفيروزابادي: "وكان في الحيرة كثير من الكنائس البهيّة". وقال الزبرقان بن بدر التميميّ لمّا وفد على محمّد يذكر كنائس قومهِ (سيرة الرسول لابن هشام ٩٣٥):

نحنُ الكرامُ ولا حيٌّ يعادلنا منّا الملوكُ وفينا تنصَب البيعْ

وقال في معجم البلدان (٢ : ٧٠٣): "كان اهل ثلاث بيوتات يتبارون في البيع وربّها (كذا) اهل المنذر بالحيرة وغسّان بالشام وبنو الحارث بن كعب بنجران وبنوا دياراتهم في المواضع النزهة الكثيرة الشجر والرياض والغدران ويجعلون في حيطانها الفسافس وفي سقوفها الذهب والصور وكان بنو الحارث بن كعب على ذلك الى ان جاء الاسلام". وقال ابن دُرَيد في كتاب الاشتقاق (éd. Wüstenfeld.

(226 عن بني عديّ: « ومن بني لخم بنو عديّ بن الذُّميل بن اسس لهم بيعة بالحيرة وكانوا اشرافاً »

وكان يحقّ بنا ان نضيف الى هذه الشواهد جدول الاساقفة الذين كانوا في القرن الخامس يدبرون كنائس العراق العربي كالانبار والحيرة والبصرة وبيت عربايا وميشان وغيرها لكنَّ ذلك يطول بنا فنشير اليهِ فقط اشارة خفيفة

لكنَّ الحقيقة تضطرُّنا ايضا ان نذكر ما أُصيبت بهِ كنائس بابل والعراق . فانَّ في اواخر القرن الخامس نفثت البدعة النسطوريَّة فيها سمَّها وخدعت كثيرين من المؤمنين والاساقفة فاعاروا لها اذناً صاغية وانتموا الى اصحابها. ثم قامت بأثرهم البدعة اليعقوبيَّة وانتشرت انتشارًا عظيما في بلاد الجزيرة وبلغت ايضاً الى انحاء العراق فقامت الحرب الدينيَّة بين البدعتين على ساق وكانتا في البيعة الشرقيَّة كالزؤان الذي خنق الزرع الجيد الذي زرعهُ ربُّ البيت. فلا غروَ انَّ العرب انقسموا مع اهل تلك البلاد الى قسمين فعدل قسم منهم ولا سيَّما اهل القبائل الواقعة شرقيّ الموصل حتى خليج العجم الى النسطوريَّة بينما كان القسم الآخر ومقامهم على الاخصّ في غربي الموصل وفي ديار ربيعة الى جهات الرها وتخوم حلب وحمص وحماة قد تبع اليعقوبيَّة

فابتدأ تقهقر النصرانيَّة مذ ذاك الحين في الشرق فنرى تاريخ الكنيسة الشرقيَّة ينحصر غالباً في تاريخ الخصومات والمشاغبات التي سبَّبتها تانك البدعتان او ما كان ينوط بهما من البدع والمشاكل. وزاد في الطين بلَّة تداخل ملوك القسطنطينيَّة من الروم في امور الدين فاقاموا نفوسهم كقضاة في المعتقدات المسيحيَّة وكان منهم من يعضد البدع وينتمي اليها جهارًا كما فعل قنسطنسيوس ووالنس اللذان نصرا الاريوسيَّة وكزينون وانستاس المدافعين عن اليعقوبيَّة وكهرقل الذي دافع عن بدعة المونثليين فكنت ترى المجامع تتوالى منها كاثوليكيَّة ومنها هرطوقية فتبطل هذه ما اثبتتهُ تلك وكان الاحبار الرومانيُّون مهتمّين وقتئذٍ بتهذيب امم البرابرة التي هجمت على المملكة الرومانيَّة فلا يستطيعون ان يداووا اسقام الشرق كما يشاؤون لبُعد الشرق عن نظرهم او ايضاً لما كانوا يجدونهُ في ملوك الروم وبطاركة القسطنطينيَّة من المخالفة لاوامرهم فاصبح الشرق في هرج ومرج واختلَّت بذاك امور الدين وانتقض حبل الايمان المتين

وان تتبعنا تاريخ النصرانيــة بين عرب العراق في اواخر القرن الخامس ومدّة القرن السادس وجدنا بينهم رَجع صدىً لهذه الحوادث الجارية في ظهرانيهم وهم منوطون في العراق بالكنيسة الكلدانيّة التي تبعت اضاليل نسطور وفي الجزيرة وديار بكر وربيعة وانحاء الرها بالكنيسة السريانيّة التي غلبت عليها الهرطقة اليعقوبيّة

وكان ملوك الحيرة اوَّل من تأثر بهذه الحوادث فان السياسة قضت عليهم بان يتبعوا الدولة الساسانيّة التي بسطت حمايتها على النسطوريّة وعضدتها في بلاد العراق الى نصيبين وذلك بغضاً بملوك الروم الذين كانوا يتقلّبون حيناً مع البدعة اليعقوبيّة وحيناً مع الكنيسة الكاثوليكيّــة. ونرى المؤرخين الروم واللاتين مضطربين في ايضاح تاريخ ملوك الحيرة فتتناقض آراؤهم فيهم اذ كانوا يرونهم في مصافّ اعدائهم الفرس فبعضهم يجعلونهم وثنيين وبعضهم يذكرونهم في عداد النصارى ويروي غيرهم عن امراء الجيش ما لا يصحُّ الّا عن الملوك وبعكس ذلك ينسبون الى الملوك ما اتاهُ الامراء. وترى شيئاً من هذا الاضطراب في رواية السريان والعرب. وها نحن نورد من ذلك ما نرهُ اقرب الى الحقّ

خلف المنذرُ الاوّل في ملك الحيرة اباهُ النعمان بعد تنصرهِ وزهدهِ فملك ٤٤ سنة (٤١٨ — ٤٦٢) قضاها في حروب متواترة ضدّ الروم في خدمة ملوك الفرس لا سيَّما بهرام جور بن ازدشير الذي كان تربَّى بين عرب الحيرة. وكان بهرام عدوًّا للنصارى فامتحنهم في بلاد فارس وجوارها رصدرهم وقتل منهم كثيرين تعيّد الكنيسة ذكرًا لاستشهادهم وكأنَّ المنذر وافقهُ على آرائه وعاد الى شرك آبائهِ القديم. وخبر سقراط (١) المؤرخ معاصرهُ انَّهُ دخل في بلاد الروم ونهب وساب وحرق وسبى وكان يقصد السَّير الى القسطنطينيّة يفتتحها لكنَّهُ لم يفلح وأُصيب جيشهُ بكسرة عظيمة وقتل منهم مئة الف على قول سقراط وسبعون الفا على رأي الكتبة السريان

وقام بالملك بعد المنذر ابناؤهُ الثلاثة بالتوالي اعني نعمان الثاني (٤٦٢—٤٧١) المعروف بابن شقيقة صاحب الفرقتين الشهباء والخرساء ثم الاسود (٤٧١—٤٩١) ثم المنذر الثاني (٤٩١—٤٩٨) ولا نعلم من امر دينهم شيئاً بل اخبارهم مضطربة لا تؤخذ سندًا للتاريخ

---

(١) اطلب تاريخهُ (ك ٧ ف ١٨)

واثبتُ منها اخبار النعمان الثالث ابن الاسود بن المنذر (٤٩٨—٥٠٣) الذي سها عن ذكرهِ معظم مؤرخي العرب الَا حمزة الاصفهاني (ص ١٠٤) وقال انَّ امَّهُ كانت تدعى ام الملك وانَّها كانت ابنة عمرو المقصور احد ملوك كندة وجدّ امرئ القيس الشاعر غزا ايضاً الروم ونهب بلادهم وكان في خدمة الملك قباذ. ولعلهُ هو هو الذي اشار اليهِ مؤرخو الروم (١ اذ ذكروا فتح الفرس لمدينــة آمد فقالوا انَّ ملك العرب طلب من قُباذ ان لا يصيبوا بأذًى الذين التجأُوا الى كنيسة الاربعين شاهدًا وفي هذا دليل الى ميلهِ الى النصرانية لكنهُ بعد ذلك دالت عليهِ الدولة فكسرهُ الرومان دفعتين. واخبر يوشع العمودي المؤرخ السرياني (٢ انَّ النعمان مشى اخيرًا الى محاربة الرها مع قباذ ولما نهاهما عن ذلك احد ضباط جيشهِ النصارى وذكر لهُ قصَّة الابجر ملك الرها والسيد المسيح غضب عليهِ وشتم دينــهِ وكان ذلك داعياً الى موتهِ اذ انتقض جرحهُ السابق فمات. فعيَّن قُباذ كخلفهِ في تدبير الملك رجلًا يدعوهُ ابو الفداء وحمزة الاصفهاني وغيرهما ابا يعفر علقمة وهــذا لم يكن من ابناء الملوك ولعلهُ كان فقط وليًّا للملك وانَّما كان من اشراف اللخميين واحد ابنــاء أُسرة بني ذميل النصرانيَّة التي سبق ذكرها فاستخلفهُ قباذ ولم يتولَّ سياسة الدولة الَّا ثلث سنوات. ثمَّ أُقيم امرو القيس الثالث الذي لم تطل مدَّتهُ (٥٠٥ —٥١٢)

وصار الملك من بعد امرئ القيس الى ابنه المنذر الثالث الشهير بابن ماء السماء الذي ملك ٤٩ سنة (٥١٣ — ٥٦٢) وماء السماء لقب امّهِ ماوية (ويروى مارية) ابنة عوف وقيل بل هي اخت كليب والمهلهل التغلبيَّين وانَّ اسمها رُبَيعة والعرب دعوها بماء السماء لكرمها ورقَّة طباعها. ويدعى ايضاً هذا المنذر بذي القرنين لضفيرتين كانتا لهُ من شعرهِ. وكان المنذر المذكور من ارفع ملوك الحيرة قدرًا واشدّهم بأساً وهو الذي انتصر من بليزار احد ابطال الروم في زمانهِ وكبير قوَّاد يستنيان. امَّا دينهُ فانَّ شواهد المؤرخين متضاربة في تعريفهِ. وما يُحصَّل منهــا انَّهُ عرف النصرانيَّة منذ حداثة سنهِ لأنَّ امَّهُ كانت نصرانية فلا شكَّ انَّها لقنتهُ منذ صغرهِ مبادئ الدين المسيحي لكنهُ لمَّا كبر وتولَّى الملك تحت سيطرة ملوك العجم عدل الى

١) اطلب تاريخ روزباخر (٨: ٥٥٧)

٢) اطلب تاريخهُ (Josué le Stylite, *éd. Martin*. p. 42)

الشرك ودين المجوسيَّة او بالحري الى مذهب مزدك اي المانويَّة بايعاز ملك فارس. والظاهر انهُ في اثناء زندقتهِ استقبل الوفد الذي ارسلهُ اليهِ ذو نوَّاس بعد قتلهِ نصارى نجران كما اخبر الكاتب المعاصر شمعون اسقف بيت ارشم (١ فطلب منهُ ان يقتفي آثارهُ ويقتل نصارى الحيرة فأثر كلام ملك اليمن في المنذر واراد ان يختبر صدق ايمان المتنصرين من جيشهِ فدعا قوماً منهم وعرض عليهم جحود ايمانهم فقام احد صناديد ضباطهِ فقال لهُ: « انَّ تنصُّرنا قد سبق جلوسك على عرش المناذرة فهيهات ان تقنعنا بالعدول عن ديننا. وعلى كل حال ان كان رصفائي لا يثبتون في مذهبهم فاني لا اجحدهُ مطلقاً ولست اخاف العذاب ولا الموت كما تحقَّقتَ ذلك لمَّا رأيتني في وقائع الحروب اذ لم يكُ سيفي اقصر من سواي ». فلمَّا سمع المنذر كلامهُ عرف انَّهُ لا يستفيد شيئاً فعدل عن قصدهِ وترك كلًّا من جنودهِ يتبع دينهُ. وبقي المنذر على زندقتهِ زمناً وعبد كبعض العرب اللات والعزَّى. وممَّا اخبره عنهُ المؤرخ زكريَّا الخطيب (٢ وميخائيل الكبير (٣ انهُ انتهك في بعض حروبهِ حرمة الكنائس والاديرة فنهب وسلب واسر في اراضي الرومان عدداً من الاسرى بينهم ٤٠٠ من العذارى الراهبات قتلهنَّ وقدَّمهن كذبائح للعُزَّى

على انَّ المنذر لم يثبت في زندقتهِ بل جحد الوثنيَّة ونبذ مذهب مزدك. بل تنصَّر بعد ذلك كما يؤخذ من شهادات المؤرخين الروم والسريان والعرب وقد روى صاحب الاغاني (١٩: ٧٧) والقزويني (ص ٢٨٥) وغيرهما خبر تنصُّرهِ في مطاوي ذكرهم للغرَّيين قالوا انَّ المنذر المذكور اذ كان قتل في بعض ايام ثمالتهِ اثنين من اعزّ ندمائهِ عمرو بن مسعود وخالد بن المضلَّل اقام على قبريهما غرَّيين او طربالين واتخذ لهما يومين يوم نعيم كان يُغني فيه من اتاه قبل غيرهِ ويوم بوس كان يقتل فيهِ اوَّل وافد عليهِ. فقتل في احدى السنين عبيد الابرص الشاعر ثم اتاه في سنة اخرى احد مضيفيهِ المحسنين اليهِ في يوم صيدهِ يُدعى حنظلة بن ابي عفراء الطائي وهو يرجّي خيرًا فلم يرَ المنذر بُدًّا من قتلهِ لئلَّا يحنث بوعدهِ الَّا انَّ حنظلة طلب تأجيل الحكم

١) اطلب المكتبة الشرقية لسمعاني (BO, I, 364)
٢) اطلب تاريخهُ (éd. Land III, 244)
٣) في تاريخهِ (éd. Chabot II, 178)

لمدَّة معلومة واتخذ لهُ كفيلًا شريك بن عمرو الشيباني. فلمَّا جاء اليوم المعهود وكاد يُنفَّذ الحكم في الكفيل رجع حنظلة مستعدًّا ليُقتَل. واذ قضى الملك المنذر منهُ العجب سألهُ ماذا دفعهُ الى القيام بوعدهِ فاجاب ان دينهُ النصراني دفعهُ الى ذلك فتنصر الملك واهل الحيرة معهُ. هذا ما رواهُ العرب. ومنهم من ينسب الامر الى النعمان الاوَّل وغيرهم يروونهُ عن النعمان ابي قابوس الَّا انَّ اصحاب النقد يرجِّحون انهُ المنذر الثالث ابن ماء السماء. وهو يؤيد كما ترى ما قلناهُ عن تنصر المنذر (١

امَّا حنظلة فروى ياقوت (٢: ٦٥٥) انَّهُ بعد نجاتهِ من الموت زهد في الدنيا وابتنى ديرًا قريباً من الفرات عند الرُّحبة دُعي باسمهِ دير حنظلة وكان حنظلة عمّ اياس بن قبيصة الذي صار ملكاً على الحيرة بامر ملك العجم كما سترى

وقد جاء ايضاً في تاريخ ابن العبري (مختصر الدول ١٤٨) ان المنذر كان يعتقد اعتقاد اليعقوبية كنصارى العرب الَّا ان ابن العبريّ ليس مصيباً في ذلك ولعلَّهُ انخدع بشهادة بعض المؤرخين اليعاقبة مثلهُ. ولنا على صحة ايمان المنذر دليل لامع وهو ما رواه المؤرخ اليوناني تاوفانوس قال انَّ ساويرس البطريرك السرياني الدخيل اراد ان يجتذب الى بدعتهِ ملك الحيرة فارسل اليهِ اسقفين ليقنعاه بانَّ في المسيح طبيعةً واحدة ليس طبيعتين كما تُعلِّم الكنيسة الارثذكسيَّة. فالملك سمع كلامهما ساكتاً ثمَّ فضَّ كتابا كان في يدهِ فبدت عند قراءتهِ الكآبة على وجههِ فسألهُ الاسقفان: ما الامر. فقال: قد ابلغني كاتب هذه الرسالة انَّ رئيس الملائكة قد توفي فهذا الخبر قد امضني جدًّا. فضحك الاسقفان حتى قهقها وقالا للملك: كيف يمكن ان يموت ملاك لا جسد لهُ فهذا كذب محض. فاردف الملك وقال لهما: وكيف انتما تزعمان انَّ المسيح وهو ذو طبيعة الهيَّة مفردة قد مات. أليس هذا اعظم كذباً وضلالًا؟ ثمَّ ردَّ الاسقفين خائبين (٢

فيظهر من جواب المنذر لهذين الاسقفين انهُ ليس فقط كان نصرانيًّا بل كاثوليكيًّا يؤيد ذلك المؤرخ فكتور التونويّ المتوفى سنة ٥٥٦ فقال انَّ المنذر تعمَّد

---

١) وذكر ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ٢٩٩ éd. Reinaud) تنصُّر المنذر بقولهِ: « وبها (اي بالحيرة) تنصَّر المنذر بن امرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة »

٢) راجع تاريخ تاوفانوس في سنة ٥٠٥ وتاريخ ايفاغريوس (ك ٣ ف ٣٣) وتاريخ تاودورس القارئ (ك ٢) وتاريخ زوناراس (ك ١٤ ص ١٦٠)

على يد اساقفة من انصـار المجمع الخلقيدوني (١

وكان هذا المجمع قد عُقد سنة ٤٥١ وحضرهُ اسقفان من العرب اوسطات ويوحنّا فوقّع كلاهما على اعمالهِ باسم اسقف السراكسة او الشرقيين. وعلى رأي البولنديين المشهورين بتدقيقهم في البحث ان البدعتين اليعقوبيّة والنسطوريّة لم تفشوا بين عرب العراق الّا بعـد اواسط القرن السادس في ايّام فيروز ملك العجم لمّا اطلق العنـان لبرصوما. الّا انّ السمعاني في المكتبة الشرقيّة (مج ٣ الجزء ٢ ص ٦٠٥) يرتإي انّ البدعتين اخذتا في الانتشار منذ اواسط القرن الخامس ويأتي ببعض الشواهد لتأييد قولهِ. وكان للنسطوريّة في العراق السهم الافوز

وكانت وفاة المنذر ابن مـاء السماء في يوم حليمة احد ايّام العرب الشهيرة بين اللخميين وبني غسّان. فضبط زمام الملك ابنهُ عمرو بن المنذر الشهير بعمرو بن هند (٥٦٢ — ٥٧٤) واشتهر كابيهِ بعدّة وقائع مع الروم وعرب غسّان وعرب اليمامة وغيرهم. امّا دينهُ فالنصرانيّة لنا على ذلك شاهـد جليل رواهُ ابو عبيد البكري الوزير في معجم ما استعجم (ص ٣٦٤) وياقوت في معجم البلدان (٢:٧٠٩) في وصف دير هند الاقدم او دير هند الكبرى امّ عمرو وابنة الحارث بن عمرو بن حجر الكنديّ قال:

« وكان في صدرهِ (اي صدر دير هند) مكتوب: بنتْ هذه البيعة هندٌ بنت الحارث بن عمرو بن حُجْر الملكة بنتُ الأملاك وام الملك عمرو بن المنذر أَمَةُ المسيح وامُّ عبدهِ وابنة عبدهِ في زمن ملك الاملاك خسرو انوشروان وفي زمن افرائيم الاسقف. فالإله الذي بنت لهُ هذا الدير يغفر خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها ويقبل بها وبقومها الى امانة الحقّ ويكون الإله (وروى ياقوت: الله) معها ومع ولدها الدهر الداهر »

فهذا القول من اوضح البيّنات على نصرانية عمرو بن هند بل على نصرانيّة ملوك كندة كما ترى

وخلف عَمْرَ بن هنـد النعمانُ بن المنذر وهو صاحب عديّ بن زيد الشاعر النصراني العبادي الشهير وعلى ما يُستنتج من رواية مؤرخي السريان انّهُ كان نصرانيًا قبل جلوسهِ على سدّة الملك. امّا العرب فيخبرون انّهُ تنصر على يد صهرهِ عديّ بن

١) اطلب تاريخهُ في مجموع لآباء لاتين لمين (Migne P. L. t. 88 col. 951)

زيد زوج ابنتهِ هند بنت النعمان ومارية الكندية المعروفة بالحُرَقة. وقد روى غير واحد منهم (راجع الاغاني ٢ : ٣٤) ان النعمان مرَّ بمقبرة فانشدهُ عدي ابياتاً زهديَّة (اطلب شعراء النصرانيَّة ص ٤٤١–٤٤٢) كانت سبب تنصُّرهِ بل روى ابو الفرج انهُ «لبس المسوح وتنصَّر وترهب وخرج سائحاً على وجههِ فلا يدرى ما كانت حالهُ فتنصَّر ولدهُ بعدهُ وبنوا البيَع والصوامع »

على انك رأيت ممَّا سبق انَّ ملوك الحيرة تنصروا قبل ذلك وقد جاءت اخبار النعمان بن المنذر مضطربة فمنهم من اخبر انَّهُ فتك بعديّ بن زيد فقتلهُ فقام ابن عديّ المدعو زيداً كجدهِ فسعى بهِ لدى كسرى انوشروان فحبسهُ وقتلهُ. وروى غيرهم ولعلَّهُ الاصحّ انَّ قاتل عديّ بن زيد انَّما هو خلفهُ المنذر ابو قابوس (١. امَّا ابنتهُ هند فزهدت بالدنيا وعمَّرت لها ديرًا عُرف بدير هند. ولهند هذه قصة مشهورة مع سعد ابن ابي وقَّاص بعد يوم القادسيَّة ثمَّ مع المغيرة بن شعبة الذي خطبها لمَّا تولى الكوفة فردَّتهُ ردًّا لطيفاً وماتت في رهبانيَّتها

وممَّا لا يُنكر انَّ النصرانيَّة غلبت بعد ذلك على ملوك الحيرة واهلها العرب حتى يجوز القول بانَّها عمَّتهم قاطبة وانَّ المسلمين لمَّا فتحوا مملكة المناذرة وجدوها مملكة نصرانيَّة في دينها وآدابها وعاداتها . ومن بعض اصحابها اخذ العرب كتابتهم كما مرَّ في المشرق (٤ : ٢٧٨–٢٨٢) وان كانت بعض فروع الكتابة اتتهم ايضا من نصارى النبط ومن اهل دومة الجندل ومن الحبشة كما ورد هناك ايضا واثبتتهُ الاكتشافات الاثرية الاخيرة. وكان المتولي على عرب الحيرة في عهد الفتح الاسلامي اياس بن قبيصة الطائي كان كسرى ابرويز ولَّاهُ عليهم بعد وفاة المنذر ريثما يعين لهم ملكاً من ابنائهِ فبقي على ولايتهم الى دخول المسلمين في الحيرة. ونصرانيَّة اياس المذكور ثابتة لا شكَّ فيها كما رأيت (٢

---

١) اطلب اخبار عدي بن زيد في شعراء النصرانية (ص ٤٣٩–٤٧٤)

٢) اطلب ايضاً شعراء النصرانيَّة (٩٣ و٩٤)

الباب الثامن
النصرانيَّة في الجزيرة

تتبعنا آثار النصرانيَّة بين العرب في الجاهلية على حدود بحر فارس ثم في جهات العراق ورأينا ما خلفتهُ لنا التواريخ من اخبار الدين المسيحي في الممالك الثلاثة الكبرى التي اقتسمت جزيرة العرب اعني دول الغساسنة والتبابعة والمناذرة. وحتى الآن لم نستوفِ مآثر نصارى العرب على التخوم الفاصلة بلادهم عن البلاد المجاورة

فمماً لم نذكرهُ حتى الآن السهول الواسعة والبقاع الرحبة الممتدَّة من جهات الموصل الى مجرى الفرات المتوسطة بين الارمن والشام . فهناك مفاوز متسعة بسقيها النهران الكبيران دجلة والفرات مع عدَّة انهار تنصبّ فيها اخصها الخابور. فتلك البوادي التي كانت الامم القديمة تتزاحم في ملكها لخصبها العجيب ووفرة خيراتها وسعة غلّاتها ازهرت فيها مدن عديدة وحواضر ممصَّرة لم يبقَ من آثارها اليوم غير اخربة مهيبة او مدن ثانويَّة تنبيءُ بعظم مقامها في القرون الغابرة كنصيبين ودارا ودُنيسر وآمد وميافارقين وسعرت وماردين والرقَّة ورأس العين وقرقيش وقرقيسيا والرها التي يُطلق على مجموعها اسم الجزيرة

فتلك البلاد المتدفقة بالنعم الزاخرة بالخير قد احبَّتها منذ سالف الاجيال قبائل العرب سواء كانوا من اهل الحضر او من اهل المدر اذ كانوا يجدون فيها ما يصلح لمعاشهم الساذج ولرعية مواشيهم فيتنقلون اذا شاءوا من الارياف الى البراري ليس من يتعرّض لاستقلالهم او يتداخل في امورهم غير شيوخهم وامراء عشائرهم

ومما يدلّ على انتشار القبائل العربيَّة في الانحاء المذكورة أعلامها المشيرة الى قاطنيها كباعربايا وجزيرة ابن عمر وديار ربيعة وديار بكر وديار مضر وغير ذلك ممَّا ينوّه اسمهُ باصل سكانه. فباعربايا او بيت عربايا اسم لثلاثة اماكن احتلّها العرب اخصُّها مدينة كانت قريبة من نصيبين. وجزيرة ابن عمر وعلى الاصحّ « ابني عمر » هي مدينة موقعها على دجلة يدعوها الكلدان بازَبدى ثم نُسبت الى ابني عُمَر وهما على ما روى ابن خلكان « اوس وكامل ابنا عُمَر بن اوس التغلبي »

امَّا ديار بكر وديار ربيعة وديار مُضر فقد احسن في وصفها ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٦٣٦ — ٦٣٨) فقال عن ديار بكر :

« ديار بكر هي بلاد واسعة تُنْسَب الى بكر بن وائل . . . بن ربيعة بن نزار بن معدّ ابن عدنان وحدُّها ما غرَّب من دجلة من بلاد الجبل المطلّ على نصيبين الى دجلة ومنـهُ حصن كيفا وآمد وميَّافارقين. وقد يتجاوز دجلة الى سعرت وحيزان وحيني وما تخلَّـل ذلك من البلاد ولا يتجاوز السهل »

وقال عن ديار ربيعة :

« ديار ربيعة بين الموصل الى رأس عين ودُنَيْسر والخابور جميعهُ وما بين ذلك من المدن والقرى وربَّما جُمع بين ديار بكر وديار ربيعة وسُمّيت كلها ربيعة فانَّهم كلهم ربيعة. وهذا اسمٌ لهذه البلاد قديم كانت العرب تحلُّهُ قبل الاسلام في بواديهِ واسم الجزيرة يشمل الكلّ »

وقال في ديار مضر :

« ديار مُضر هي ما كان في السهل بقرب من شرقيّ الفرات نحو حرَّان والرقَّة وشمشاط وسروج وتلّ مَوْزَن »

امَّا القبائل التي كانت تسكن في تلك الجهات فكانت من ذرّيَّة نزار بن معد كاياد بن نزار بعد فرارهم من تخوم العجم ومُضر بن نزار منهم بنو النمر بن قاسط ولا سيما بني ربيعة منهم خصوصاً بنو تغلب وبني بكر وبني شيبان. قال ابو محمَّد الحسن الهمـداني في كتاب صفة جزيرة العرب (ص ١٣٢ éd. D. H. Müller) يذكر منازل تلك القبائل :

« ثمَّ تأتي الفرات من بلد الروم شاقًا في طرف الشام على التواء الى العراق فغربيّهُ ديار كَلْب وشرقيّهُ ديار مُضَر (فيها) من المدن الرافقـة وهي على شط الفرات يسكنها اخلاط مُضر. وحرَّان موضع آلة القياس مثـل الاسطرلابات وغيرها. . . لبني تميم ومن يُخالط بني سُليم. والرُّها لبني سُلَيم وكنيسة الرها التي يُضرَب بها المثـل. ومَرْبَعا والخابور لبني عُقَيل إعلاه ولبني مالك و بني حَبيب وبطون تغلب الباقي. ثم آخر ديار مضر رأسُ العين للنمر ابن قاسط

(ديار ربيعة) وما خلفها. اوَّلها وآخر ديار مضر رأسُ العين. ثم كفرتوثا لجشم عن اياسرها مارَّة من موضع الجنَّات المضروب بها المثـل وهي تطلّ على دارَين ثم نصيبين . وهي دار آل حمدان بن حمدون موالي تغلب. فمن نصيبين الى أذْرَمـة والشُّمَيعية مسيرة يوم وعن ايمن ذاك جبل سنجار جبـل شُراة بين تغلب والشراة منها بنو زهير وبنو عمرو ثم من ايمن ذلك دُهُنًا الى رحبة مالك بن طوق وقرقيسيا ثم ترجع الى اذرمة الى برقعيد وهي ديار بني عبد من تغلب . . . ثم منها الى بَلَدَ وفيها شراة وغير ذلك الى حدّ الموصل. وان اردت بعد ارض الموصل مررت بتكريت وكان (نهر) الثرثار عن يمينك. واكثر اهل الموصل مذحج وهي رَبِيعة فان

تياسرتَ منها وقعت الى الجبل المسمَّى بالجودي يسكنهُ ربيعة وخلفهُ الأكراد وخلف الأكراد الارمن. وان تيامنت من الموصل تريد بغداذ لقيتك الحديثة وجبل بارماً يسمَّى اليوم حمرين. . ثم السنّ والبوازيج بلاد الشراة من ربيعة ثم يقع في جبل الطور البري وهو اوَّل حدود ديار بكر وهو لبني شيبان وذوبها لا يحازجهم الى ناحية خراسان الَّا الاكراد »

فاذ عرفت حدود الجزيرة والقبائل العربيَّة المنتشرة فيها بقي علينا ان نبين ما كان للنصرانيَّة من النفوذ بينها فنقول:

انَّ اوَّل برهان يثبت دخول النصرانيَّة بين عرب الجزيرة ما اصاب هذا الدين من الانتشار السريع الغريب في ما بين النهرين كما تصرّح بهِ كل الآثار التاريخيَّة والكتابية والبنائية كالكنائس الباقية الى يومنا الراقية الى القرن الرابع والخامس للمسيح وكصوامع الرهبان ومغاورهم. فلا يقبل العقل انَّ عرب الجزيرة لم ينالوا من الدعوة المسيحية حظَّهم كما اصابهُ اخوتهم في بادية الشام وفي اليمن والعراق ولهم في شظف عيشهم وسلامة طباعهم ما يعدّ قلوبهم لقبول ذلك الزرع الالهي الذي اتى بهِ ابن الله الى الارض وبذرهُ في التربة الجيدة ولاسيا بعد ان عاين اهل الجزيرة مع العرب (اعمال ٢: ٦-١١) المعجزات التي جرت يوم حلول الروح القدس في اورشليم

ولنا دليل ثانٍ على تديُّن عرب الجزيرة بالنصرانية بعد نبذهم لشرك الوثنية ألا وهو الغيرة الملتهبة التي كانت في قلوب الرسل والدُّعاة الاوَّلين للنصرانية فانَّ بعضهم بلغوا الى اقاصي الارض كما رأيت فما قولك بالبلاد المجاورة لليهوديَّة التي كثرت فيها المعاملات مع فلسطين منبع الدين المسيحي

ثالثاً وان استفتينا التواريخ القديمة والتقاليد المحليَّة والطقوس السريانيَّة وجدناها كلها تتفق على ذكر دعوة العرب الى الايمان بالمسيح كدعوة بقيَّة اهل الجزيرة. قال عبد يشوع الصوباوي في ذكر ادّي رسول الجزيرة ما تعريبهُ: « قد اقتبلت الرها ثم نصيبين وسائر العرب وكل تخوم الجزيرة الكهنوت القدس من ادّي احد السبعين تلميذاً ». وقال ايليَّا الاسقف الدمشقي يذكر ادّي وتلميذهُ ماري: « وكان الداعي والمنصر والمتلمذ والمدبر بالجزيرة والموصل وارض بابل والسواد. . . ونواحي الاعراب من التلاميذ السبعين ادّي وماري (١)». وقال ماري بن سليمان (éd. Gismondi, p. 2): وتوجه آحي وماري (تلميذا ادّي) الى نصيبين واعمدا اهلها ونفذ

١) اطلب المكتبة الشرقيَّة للسمعاني (٤: ٥-٢٥)

ماري الى المشرق وآحي الى قردى وبازبدى ثم توجّه ادّي الى المشرق وبدأ بناحية حزّة والموصل وباجرمي وعاد الى مدينة الرها واستناح فيها بعد ١٢ سنة...» وقال ايضاً: « وادّي قصد مع آحي ومار ماري بلاد الرهـا والموصل وبابل والشمال والجنوب وبوادي المغرب (والصواب: العرب) ». وجاء في اخبار فطاركة كرسي المشرق لعمرو بن متى الطيرهاني (ص١ éd. Gismondi) مصرّحاً: « ثم انهُ (اي ماري) بادر الى تلماذ جميع نواحي ارض بابـل والعراقين والاهواز واليمن والجزائر وبلاد العرب سكان الخيم ونجران وجزائر بحر اليمن »

ويمكننا ان نضيف الى هذه الشهادات ما رويناه سابقاً عن تبشير عرب العراق فانّ الشواهد المروية هناك عن الرسل وتلاميذهم تصحُّ في عرب الجزيرة. ومثلهـا اقوال المؤرخين في بشارة الرسول برتلماوس للعرب. وكذلك ورد في السنكسارات القديمة وفي خطط المقريزي (١ ان يهوذا الرسول المعروف بتداوس « كرز في سوريّة والجزيرة »

رابعاً وان تخطّينا عهد الرسل الى القرن الثاني والثالث للمسيح رأينـا بلاد الجزيرة زاهرة بالدين النصراني. ففي الرها كانت الترجمة الاولى للكتب المقدّسة الى السريانيّة وهي الترجمة المعروفة بالبسيطة في اواخر القرن الاوّل للمسيح او اوائل الثاني (٢ وهناك تولى طاطيانوس تلميذ القديس يوستينوس الفيلسوف الشهيد في القسم الثاني من القرن الثاني تنسيق الاناجيل الاربعة برواية واحدة تعرف بالدياطاسارون (٣. وهناك تنصّر الاباجرة ملوك الرهـا سواء يُسلّم بصحّة المكاتبة بين السيد المسيح والابجر المعروف باوخاما كما تعتقدهُ الكنائس السريانيّة او يؤجل تنصُّرهم الى ايام كراكلا برجوع ابجر التاسع (١٧٩–٢١٤) وهناك عُقد مَجمعان واحد ذكرهُ اوسابيوس في تاريخهِ (ك ٥ ف ٢٢) نحو سنة ١٥١ للمسيح التأم فيهِ ١٩ اسقفاً للنظر في امر الفصح وتعيين يومهِ (٤. والآخر عُقد بعدهُ بزمن قليل للفحص عن اقوال بعض

---

١) اطلب الخطط طبعة بولاق (٢: ٤٨٣)

٢) راجع ويسمان (Wiseman: *Horæ syriacæ*) وتاريخ الآداب السريانيّة لرَيت (ص ٣)

٣) اطلب المشرق (٤: ١٠٠)

٤) اطلب مجموع المجامع لمانسي (Mansi, *Collectio Conciliorum* I, 719 et 727)

المبتدعين كتاودوطس وابيون وارتيمون حضرهُ ١٤ اسقفاً (١ فكفى بعدد هؤلاء الاساقفة دليلًا على انتشار الدين المسيحي في زمن قريب من رسل الربّ يؤيد ما جاء في تقاليد كنائس الجزيرة عن اسماء عدَّة اساقفة رعوا المؤمنين قبل القرن الرابع في مدن عديدة كنصيبين وبازبدى (جزيرة بني عمر) وآمد والرقة وهلمَّ جرًّا

امَّا كون العرب هناك كانوا من جملة المتنصرين فيشهد عليهِ ابن ديصان الذي عاش في الرها (١٥٤ — ٢٢٢) فيذكر اهل الرها واهل حضر (٢ وكانوا من عرب قضاعة عليهم ملكٌ يمتدُّ ملكهُ في انحاء الجزيرة فقال عنهُ عديّ بن زيد:

واخو الحَضْر اذ بناهُ واذ م دجـلةُ تجبى اليه والخابورْ

خامساً ثم جاء القرن الرابع والخامس فكانا زمن انتصار الدين المسيحي في العالم الروماني فظهرت النصرانيَّة في كل رونقها وجلالها في انحاء الجزيرة فاستقت القبائل العربيَّة هناك من مواردها العذبة وكان ذلك على الاخصّ بواسطة الرهبان والسيَّاح الذين اختاروا بلاد الجزيرة ليقدّسوها بفضائلهم كما قدَّس سيَّاح مصر بلاد الصعيد. وكان منشئُ العيشة الرهبانيَّة في الجزيرة القديس اوكين من تلامذة القديس انطونيوس الكبير . وقد اجمع المؤرخون الكلدان والسريان انهُ قدم من مصر في العشر الثاني من القرن الرابع وسكن في جبل نصيبين المسمَّى جبل الإزْل وبشَّر بالايمان في نصيبين وعمَّد عاملها واولاده وطاف بلاد قردى وبازبدى وجهات نصيبين حيث كانت قبائل العرب وتلمذ الناس وبنى الاديرة منها دير الزعفران مقام بطاركة اليعاقبة في يومنا وهو قرب ماردين وتتلمذ له عدد من الرهبان. وكانت وفاة مار اوكين في نصيبين

ويؤيد شهادة السريان المؤرخ اليوناني المعاصر سوزومان (٣ في الكتاب السادس من تاريخهِ (الفصل ٣٤) فقال عنهُ انَّ اوكين وهو دعاهُ اونس (Aones) جارى القديس انطونيوس بنشرهِ المناسك الرهبانيَّة في الجزيرة وفي تخوم العجم وقال عنهُ انهُ سكن في نواحي نصيبين في فادانا (Phadana) ثم انتقل المورخ الى ذكر

١) فيهِ Mansi ibid.

٢) اطلب كتاب الشرائع لابن ديصان (Bardesane: *le Livre des Lois des Pays*, p. 59)

٣) اطلب مجموع الآباء مين (Migne, PP. GG. LXVII, 1391)

تلاميذهِ او المتشبهين بسيرتهِ فذكر في جبل سنجار باتأوس واوسابيوس وبرجس وكالس وآبا ولعارر الذي سُقّف بعد ذلك على نصيبين وعبدالله وزينون وهليودورس وذكر في حرَّان اوسابيوس الحبيس وبروتوجان الذي تولَّى الاسقفيَّة على حرَّان بعد بيتوس

وذكر السريان من تلامذة مار اوكين القديس شليطا الراهب الذي بشر بالايمان في بازبدى ثم سابا الذي عمر هناك ديرًا ويوحنا الذي كان يطوف القرى وينصّر الناس وآحا اخا يوحنا (١. ثم تبعهم آخرون كثيرون وعمَّروا الاديرة العديدة حتى صارت بعض انحاء الجزيرة كمدن رهبانيَّة لا سيا الامكنة المقفرة والجبال كالجبل المعروف بطور عابدين في شمالي شرقي ماردين وجبل الإزل السابق ذكرهُ وجبال الموصل والرها. وزعم بعض المؤرخين انَّ بين هذه الاديرة ما كان يبلغ عدد رهبانهِ عدَّة الاف منها للرجال ومنها للعذارى (٢ وقد بقي من هذه الاديرة الى يومنا آثار ظاهرة وبقايا معتبرة . فانَّ حضرة القسّ اسحاق ارملة وصف في مقالة نفيسة الاديرة التي تُرى آثارها بقرب ماردين فقط (اطلب المشرق ١٢ : ٧٦٠)

واشتهر مع هؤلاء كثيرون من كبار المعلمين والاولياء كالقديس يعقوب النصيبيني والقديس افرام والاساقفة القديسين برسيس واولوجيوس وربُولا والقديس بوليان سابا

فهؤلاء كلهم او اكثرهم اختلطوا بعرب الجزيرة ونصَّروهم ودعوهم الى الدين المسيحي. وكانت سيرتهم الملائكيَّة تؤثر في اهل البادية فكانوا يقصدونهم ويلتمسون صلواتهم ويطلبون منهم شفاء امراضهم فينالون غالباً ملتمسهم ويقبلون دين المحسنين اليهم فيعتمدون. وذلك منذ القرن الرابع كما تشهد عليهِ نصوص المؤرخين حتى امكن السمعاني ان يقول في مكتبتهِ الشرقيَّة (٤ : ٥٩٨) : ان العرب الذين كانوا يسكنون في الجزيرة ونواحي الكلدان والخليج العجمي عدلوا الى الدين المسيحي قبل السنة ٣٢٠ المسيح بهمة اساقفة الرها والمدائن والرهبان المنتشرين بينهم

وممَّن شهد على تنصر العرب المؤرخ اليوناني سوزومان فقال في تاريخهِ (ك ٦

١) اطلب تاريخ ماري بن سليان (ص ٢٦) والمكتبة الشرقية للسمعاني (٤ : ٨٦٥)

٢) اطلب تاريخ العيشة الرهبانية تاودوريطوس Theodoreti : *Hist. religiosa*. c. 30

ف ٣٤) عن الرهبان: « انَّ هؤلاء النساك قد جذبوا الى دين المسيح كل السريان تقريباً وعدداً عظيماً جدًّا من الفرس والعرب بعد ان انقذوهم من عبادة الاصنام». وقد مرَّ بك ما رواهُ تاودوريطس عن القديس سمعان العمودي وقبائل العرب التي تنصَّرت على يدهِ. وكان كثيرٌ منها تقاطرت اليهِ من العراق واليمن فما قولك بالقبائل التي كانت قريبة منهُ كقبائل الجزيرة

سادساً وكما شهد كتبة السريان واليونان على نصرانيَّة قبائل الجزيرة كذلك وافقهم كتبة العرب على هذا الامر كما سترى .

اعلم انَّ مؤرخي الاسلام مع قلة ما كتبوا عن عرب الجزيرة في الجاهليَّة ذكروا غير مرَّة نصرانيَّتهم وصرَّحوا كما بيَّنا سابقاً بنصرانيَّة بني اياد بن نزار (المشرق ١٤ : ٨٨٩) سواء قيل انَّهم تنصَّروا قبل دخولهم في حكم الرومان او بعد خروجهم من بلاد فارس اذ لحقوا بالجزيرة. وكذلك اثبتوا نصرانيَّة ربيعة المحتلّين في ديار ربيعة وديار بكر . قال ابن قتيبة في كتاب المعارف (طبعة مصر ص ٣٠٥): « وكانت النصرانيَّة في ربيعة » . وقال صاحب السيرة الحلبيَّة (ج ٣ ص ٩٥) : « ومن قبائل العرب المتنصِّرة بكر وتغلب ولخم وبهراء وجذام». وبقيت بعض هذه القبائل على نصرانيتها زمناً طويلًا بعد الاسلام كما ترى في الآثار الباقية وفي كتب العرب والسريان بل ربما ذكروا اساقفة لبني مَعدّ وتنوخ وعقيل (١. وجاء في ترجمة ماروثا اسقف تكريت انهُ جعل تحت حكمهِ ثلاثة اساقفة كانوا يدبّرون قبائل العرب وهم اسقف بيت رامان او بيت رزيق ثم اسقف بني جرم واسقف بني ثعلبة (٢

وكان نصارى غربيّ الجزيرة يتردَّدون الى مشهد القديس سرجيوس او سرجيس الشهيد في الرُّصافة (Sergiopolis) ويعظمونهُ وكانت صورتهُ مع الصليب على راياتهم الحربيَّة. قال الاخطل (اطلب ديوانهُ ٣٠٩):

لمَّا رأونا والصليب طالعا ومار سرجيسٍ وموتًا ناقعا
وابصروا راياتنا لوامعا خلَّوا لنا راذان والمزارعا

١) اطلب الآثار السريانية مجموعة لند (Land: *Anecdota Syriaca*, I, 47, 50) وفي منتخبات لاگرد (Lagarde: *Analecta Syriaca*, p. 108)

٢) اطلب السمعاني (المكتبة الشرقية ٢: ٤١٠)

وقال جرير:

فبالصليب ومار سرجِس تتقي شهباء ذات مناكبٍ جمهورا

وقال ايضاً:

يستنصرون بمار سرجسَ وابنهِ بعد الصليب وما لهم من ناصرِ

ثامناً ويؤيد شهادة العرب عن النصرانيَّة في الجزيرة ما رووهُ عن اديرتها هناك فمما ذكرهُ ياقوت (في معجم البلدان ٢ : ٦٤١ — ٧١٠) دير الابيض قرب الرها وهو مشرف على حرَّان. ودير أحويشا بسعرت (قال: فيهِ ٤٠٠ راهب). ودير باثاوا بقرب جزيرة ابن عُمَر. ودير باعربا بين الموصل والحديثة. ودير باغوث بين الموصل وجزيرة ابن عُمَر. ودير باطَّا بين الموصل وتكريت. ودير بانخايال (او مخائيل) في اعلى الموصل. ودير الرُّصافة قرب الرقَّة. ودير الرمَّان بين الرقَّة والخابور. ودير الزَّرنوق على فرسخين من جزيرة ابن عُمَر. ودير الزَّعفران (مرَّ ذكرهُ). ودير زكَّى على باب الرها. ودير صلوبا من قرى الموصل. ودير عبدون قرب جزيرة ابن عمر. ودير العذارى من اعمال الرقة بين الموصل وباجرمي. ودير قنسري على شاطئ الفرات في نواحي ديار مضر على اربعة فراسخ من منبج كان يسكنهُ ٣٧٠ راهباً. ودير الكلب بين الموصل وجزيرة ابن عمر كان الناس يلتجئون الى رهبانه اذا أُصيبوا بداء الكَلَب فيبرأون. ودير لُبَّى على الفرات من منازل بني تغلب. ودير مار سرجيس على الفرات. ودير متى بشرقي الموصل شهير. ودير مرتوما بميافارقين. ودير مر جرجيس فوق بلدَ بينها وبين جزيرة ابن عمر. ودير مرماعوث على شاطئ الفرات. ودير مر يوحنَّا الى جانب تكريت على دجلة. ودير منصور مُطلٌّ على نهر الخابور. ودير يونس في جانب دجلة مقابل الموصل

غير انَّ النصرانيَّة في الجزيرة منذ اواسط القرن الخامس تشوَّهت باضاليل البدع ولاسيما البدعة اليعقوبيَّة التي انتشرت في تلك الجهات انتشار العدوى القاتلة ففصلتها عن مركز الوحدة واوقعتها في لُجَّة الضلال

قال يوحنا الافسسي في تاريخهِ السرياني انَّ ما جرى بين قبائل العرب المتنصرة من الجدال بسبب المجمع الخلقيدوني شتَّت شمل كثيرين منهم حتى اصبحوا خمس

عشرة فرقة. ومثلهُ قال ميخائيل الكبير وابن العبري في تاريخهما الكنسي (١. على انَّ الكتبة اليعاقبة يلقون التبعة على الكاثوليك وكان الاحرى بهم ان يلقوها على سوء تصرُّفهم وعصيانهم على المجمع المسكوني

وكان رهبان النساطرة واليعاقبة يتسابقون الى عرب البادية ليبثُّوا بينهم زؤان اضاليلهم. كأحودمه (٥٥٩ — ٥٧٥) تلميذ يعقوب البردعيّ الذي اخبر عنهُ ابن العبري في تاريخهِ الكنسيّ (٢ « انهُ لمَّا صار مفريانًا على المشرق ذهب ليدعو الى النصرانيَّة القبائل العربيَّة الساكنة في الخيم وردَّ منهم كثيرين وجعل عليهم كهنة ورهبانًا وابتنى لهم ديرين يدعى الواحد دير عين قنَّا والآخر دير جشان بقرب تكريت »

واشتهر بين اليعاقبة بعد ذلك « جرجس اسقف العرب » فان هذا كان من علماء عصرهِ نقل الى السريانيَّة عدَّة تآليف لليونان منها كتاب الاورغانون لارسطو والَّف التآليف العديدة في شرح الكتاب المقدَّس واسرار الكنيسة وغير ذلك وكان كرسيهُ في عاقولاء بين قبائل العرب. وميامرهُ بالسريانيَّة شهيرة. كانت وفاتهُ سنة ٧٢٤ م

وفي اخبار الاخطل وقومهِ وحروبهم مع زُفر بن الحارث وقبائلهِ القيسيَّة شواهد لامعة تبيّن انَّ النصرانيَّة بقيت بين عرب الفرات زمنًا طويلًا بعد الاسلام في عهد بني اميَّة

الباب التاسع
النصرانيَّة بين عرب شمالي سوريّة

انَّ في شمالي سوريَّا مفاوز متسعة تمتدُّ من نواحي دمشق الى تدمر شرقي جبل الشيخ ثم حمص وحماة وتبلغ الى جهات حلب وتتناول البوادي الفسيحة التي تنبسط في تلك الانحاء شرقًا حتى نهر الفرات. فهذه الصحاري الرحبة كانت ايضًا من قديم الزمان محطًّا لقبائل العرب تجول في بسطتها دون ان يضايقها سكَّان المدن وهناك تسرح

١) اطلب كتاب العلَّامة نولدك في امراء غسَّان T. Noeldeke: *Die Ghassânischen Fursten*, p. 31-32

٢) اطلب طبعة ابِّلوس (Abbelos: *Greg. Barhebraei Chron. Ecclesiasticum*, II, 100)

مواشيها وترعى ابلها في ايام الربيع فاذا اشتدّ عليها القيظ تقرّبت من الارياف او جاورت ضفاف الفرات

فتلك البلاد الواسعة كانت في القرون السابقة للاسلام ديارًا لقبائل عربيّة جليلة اخصُّها بنو كلب كانوا يسكنون منها القسم المتّصل بالفرات شرقًا في البيداء المعروفة بالسماوة. قال الهمداني في صفة جزيرة العرب (ص١٢٩): «امّا كلب فساكنها السماوة ولا يخالط بطونها في السماوة احد. ومن كلب بارض الغوطة عامر بن الحصين وابن رباب المعقلي»

وقال في موضع آخر عن قبائل الجهات التي نحن في صددها:

وان جُزْت جبل عاملة تريد قَصْد دمشق وحمص وما يليها فهي ديار غسَّان من آل جفنة وغيرهم. فان تياسرتَ من حمص عن البحر الكبير وهو بحر الروم وقعتَ في ارض صراء... ثم من ايسرهم ممّا يصل البحر تنوخ... ثم تقع في نصارى وغير ذلك الى حدّ الفرات الى بالس في برية خساف وهي من الدهناء ومنها تخرج الى تدمر ذات اليمين وهي تدمر القديمة وهي جانب السماوة

«وما وقع في ديار كلب من القرى تدمر وسلميّة والعاصميّة وحمص وهي حميرية وخلفها مما يلي العراق حماة وشيزر وكفرطاب لكنانة من كلب ثم ترجع بكنانة كلب من ديارها هذه الى ناحية السماوة والفرات من المدن تلّ منّس وحرص وزعرايا ومنبج. ومنبج بينهم وبين بني كلاب الى حدّ وادي بطنان»

لا شكّ انّ كل هذه النواحي التي كان عرب البادية يقيمون فيها لم تُحرَم من الدعوة النصرانية ولو لم يكن لنا حجّة لتأييد قولنا غير موقع ديارها لكفى بهِ دليلًا لانها واقعة كما ترى بين فلسطين والشام وجهات انطاكية وحلب وانحاء الرها وكلها بلادٌ اصابت سهماً معلًى من الدعوة المسيحيّة لقربها من ينابيع الخلاص فلا غرو ان تكون جرت اليها منها جداول قبل بقيّة الاقطار بعد صعود الرب بزمن قليل

وفي هذه الانحاء تعدّدت في القرون النصرانيّة الاولى الكراسي الاسقفليسيّة و في المدن فقط بل في القرى ايضاً حتى الصغيرة (μικροκωμίαι) كما يشهد على ذلك القديس باسيليوس في رسالتهِ ١٩٠ الى امفيلوخيوس (١)

وورد في الآثار الكتابيّة او التواريخ القديمة اسماء عدّة اساقفة كانوا يسوسون

(١) اطلب مجموعة مين (Migne, P. G. t. 32, col. 697)

الرعايا المتفرّقة في المقاطعات التي نحن في صددها وقد وقّع كثيرون منهم على اعمال المجامع النيقاوي والقسطنطيني والافسي والخلقيدوني

وقد اثبت حضرة الاب سبستيان رنزفال في مقالته عن زينب (المشرق السنة الاولى ص ٩٨٧ — ٩٩٠) ما كان للنصرانيّة من النفوذ في تدمر والبلاد المجاورة لها في القرن الثالث للمسيح بفضل السلام السائد على تلك الانحاء. كما ظهر ذلك النفوذ ايضاً في المجمع المنعقد سنة ٢٦٩ في انطاكية للحكم على بولس السيساطي فحضرهُ ثمانون اسقفاً وحرموهُ

وقد صرّح في ذلك القرن ديونيسيوس الاسكندري بنصرانيّة تلك الاصقاع حيث كتب للبابا القديس اسطفانس (١: « ان اقاليم سوريّا كلها مع بلاد العرب التي عدّدها بصدقاتك وبلاد ما بين النهرين تصادق على تعاليمك »

ويؤيد ذلك اخبار السيّاح الذين سكنوا في تلك الاقفار فاجتذبوا اليهم القبائل المجاورة لهم كالقديس ملكوس او مالك الذي روى قصتهُ العجيبة القديس ايرونيموس (٢ وكالقديس اليان الواسع الشهرة في القريتين (المشرق ٩ :٦٥٨) والقديس سمعان العمودي الذي مرّ ذكرهُ وكان مقامهُ في شمالي سوريا في الجبل المنسوب اليه. وقد افاد تاودوريطس (٣ في تاريخهِ ان الاسماعيليين اي العرب كانوا يتقاطرون الى عمودهِ وانّهُ نصّر منهم الوفاً مؤلفة (Ismaelitarum millia innumerabilia). وفي حياة القديس نونّوس انهُ لما كان في بعلبك عمّد ثلاثين الفاً من العرب (٤

ويُضاف الى ما تقدّم ما وجدهُ الاثريون في شمالي سوريّا من الآثار النصرانيّة العديدة كبقايا اديرة واخربة كنائس ونقوش نصرانيّة بديعة غنيت بها متاحف اوربّا وقد رأينا بعض تلك الابنية في سياحتنا الى بادية تدمر (في المشرق ٩ :٩٥٣)

ومن ذلك اثر فريد اكتشفهُ رحّالة اوربي قبل ١٢ سنة في زَبَد ليس بعيداً عن حلب فيهِ كتابة بثلث لغات يونانيّة وسريانيّة وعربيّة تاريخها باليونانيّة سنة ٨٢٣ للاسكندر الموافقة لسنة ٥١٢ للمسيح. وهو اوّل اثر يُعرف بالقلم العربي كُتب ١١٠

١) راجع التاريخ الكنسي لاوسابيوس الكتاب السابع الفصل الخامس
٢) اطلب اعمال الآباء اللاتين (Migne P. L. XXIII, 55)
٣) اعمال الآباء اليونان (Id., P. G. vol. 74 col. 1041)
٤) فيها (Id., P. G. vol. 83 col. 668)

سنوات قبل الهجرة. وهذا الاثر نصراني محض نُقر في حجر ليوضع على مشهد أُقيم هناك لتذكار الشهيد القديس سرجيوس. وهذا يثبت ما قلناه سابقا عن تعبُّد العرب لذلك الشهيد. واخبرنا [illegible]يوس البطريرك الدخيل وزعيم البدعة اليعقوبيَّة ان عرب البادية كانوا اذا تنصَّروا يطلبون المعمودية في كنيسة القديس سرجيوس في الرصافة حيث قُتل شهيدًا (روى ذلك في ميمره السابع والخمسين الذي قالهُ في ٧ تشرين الاوَّل سنة ٥١٤ أعني سنتين بعد تاريخ الاثر المذكور) (١

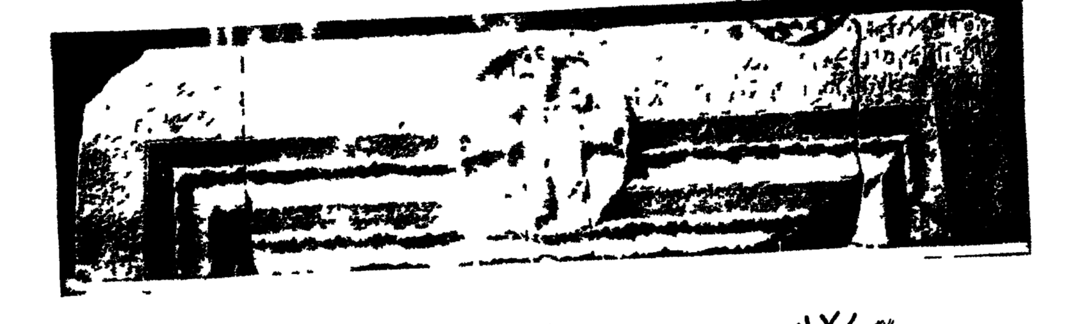
ومن الشواهد التاريخيَّة المُثبتة تنصُّر العرب في شمالي سوريًا ما رواه ميخائيل الكبير وابن العبري عن يوحنَّا اسقف امسس من كتبة القرن السادس انهُ لمَّا حصل الانقسام بين الملكيين واعداء المجمع الخليقدوني تفرَّق العرب النصارى وسكن منهم قسم في بادية تدمر في النبك والقريتين وحُوَّارين. وبقي هؤلاء العرب على نصرانيتهم زمناً طويلًا بعد الفتح الاسلامي كما يشهد عليه ياقوت الحموي (٤: ٧٧) حيث قال عن القريتين في زمانهِ « انَّ اهلها كلهم نصارى »

ولنا في كتب العرب ما يزيل كل ريب عن القبائل المتنصرة في شمالي سوريَّة وقد رأيت في ما نقلناهُ عن وصف الجزيرة للهَمْداني انَّ السهول الواقعة بين الشام وحلب والفرات كان معظم سكَّانها من غسَّان وتغلب وتنوخ وعلى الاخص من بني كلب الذين تفرَّدوا بسكنى السماوة الممتدَّة من الشام الى نواحي الموصل وكانوا يسكنون خصوصاً في جهات تدمر وسلميَّة حتى سُمِّيت تلك الجهات بادية كلب. فهذه القبائل كلها كانت نصرانيَّة فامَّا غسَّان وتغلب وتنوخ فقد مرَّت الشواهد على نصرانيتها فبقيت قبيلة بني كلب. ودونك الادلَّة على تديُّنها بالدين المسيحي

ان بني كلب بطن من قضاعة وهي القبيلة اليمنيَّة الاصل التي اجمع الكتبة على تنصُّرها عموماً كابن قتيبة واليعقوبي والنويري وخصُّوا بالذكر بعض بطونها كبني سليح وبني جرم. ثم ليس في كتب المؤرخين اشارة الى شِرك كلب بل كثيرًا ما يصرّحون بنصرانيَّة اعيانهم كبحدل بن عُنَيف من سادتهم وهو ابو ميسون زوجة معاوية وكفرافصة الكلبي ابي نائلة زوجة الخليفة عثمان بن عفَّان

وذُكر في المقتضب لياقوت (ص ٣٦) وفي تاريخ ابن عساكر في ترجمة نائلة « انَّ

١) اطلب مجلة الابحاث الشرقية (Riv. d. Studi Orientali, I, p. 577-587)



المكتشف في زَبَد قريباً من حلب وفيه كتابه بثلاث لغات يونانيَّة وسريانيّه وعربيَّة تاريخها سنه ٥١٢ للمسيح · والكتابة العربيَّة طُبعت منفردةً

سي كلب كلهم كانوا نصارى ».وكذلك ذكر ابن خلدون في تاريخهِ ([illegible]) انهم دحلوا في دين النصرانيَّة

ولمَّا ظهر الاسلام كان بنو كندة وبنو كلب من جملة الذين لم ينكروا دينهم كما اخبر بذلك ابن هشام في سيرة الرسول (éd. Wustenfeld, p 282) وكذا روى ياقوت في المقتضب عن مدَر كلب اي اهــل البادية فقال : « اسلمت كلب غير مدرها كانوا نصارى » وبقي الذين اسلموا منهم على عاداتهم النصرانيَّة كما روى في كتاب البلدان لابن الفقيه (ص٣١٥) فقال عنهم : « انهم مسلمون في اخلاق النصارى». واخبر ابن قتيبة في عيون الاخبار (ص١٧٤) والجاحظ في البيان والتبيين (٢ : ٦٢) انَّ بعض من اسلم منهم كانوا يضربون الناقوس ويترددون الى الكنيســة التي تعمدوا فيها

وكان من جملة امرائهم الذين يتولَّون تدبيرهم ابو كرب الذي عُرف بنصرانيتهِ فمنحهُ يستنيانوس الملك تدبير قبائل السماوة كما روى المؤرخ بروكوبيوس (١

وربما دعا المؤرخون هذه القبائل المتنصرة بالمستعربة واليهم التجأ الروم عند ظهور الاسلام لمحاربة خالد بن الوليد. قال ابن البطريق في تاريخه عن هرقل انهُ « استجلب المستعربة من غسان وجذام وكلب ولخم وكل من قدر عليه من الاعراب وأمَّر عليهم قائدًا من قوَّادهِ يقال لهُ ماهان » (٢

فترى من هـــذه النصوص ان كتبة العرب ايضا يوافقون اليونان والسريان في نسبة النصرانيَّة الى القبائل المتفرقة في شمالي سوريَّة

ونختم هذا الفصل بأثر جميل وُجد في بعض مخطوطات لندن السريانيَّة التي وصفها العلَّامة رَيت في قائمة المتحف البريطاني تحت العــدد ٧٥٤ وهو مجموع رسائل قديمة راقية الى اواخر القرن السادس للمسيح. من جملتهــا رسالة مضمونها دستور الايمان كتبها رؤساء اديرة اقليم البلاد العربيَّة (ܕܥܘܡܪ̈ܐ ܕܐܬܪܐ ܕܥܪܒ̈ܝܐ) ووجَّهوها الى يعقوب البرادعيّ ليردلوا فيها بدعــة يحيي النحويّ في تثليث الجوهر الالهيّ (Trithéisme) وذلك بين السنتين ٥٧٠ و٥٧٨ وهذه الرسالة قد نشرها المنسنيور

---

١) اطلب (Procope, de B P ,I, 19)

٢) اطلب الصفحة ١٦ من الجزء الثاني من طبعتنا

لامي (Mgr Lamy) رئيس كليّة لوفان في مؤتمر المستشرقين في باريس سنة ١٨٩٨ (ص ١١٨—١٣٨) وهي موقعة بامضاء ١٣٧ رئيساً على ١٣٧ ديرًا موقعها كلّها في اقليم العربية الممتدّ شرقي بلاد الشام الى جهات الفرات (١. فناهيك بهذا العدد العديد شاهدًا جليلًا على انتشار النصرانيّة بين عرب الشام وسوريّة. على انّ هؤلاء العرب كانوا جنحوا الى البدعة اليعقوبيَّة كما ترى. وايّد ذلك ابن العبريّ في تاريخهِ الكنسيّ حيث قال (ج ١ ص ٢١٧): « انّ كلّ قبائل العرب التي كانت في البادية (يريد بادية الشام والفرات) كانوا معارضين للجمع الخلقيدوني ولا يرضون بمشاركة الخلقيدونيين ». فهذا القول مع ما فيهِ من المبالغة لا يخلو من الصحّة. وعلى كلّ حال يثبت قولنا في شمول النصرانيّة لعرب بلاد الشام والفرات الى حدود العراق

والمستشرقون في عهدنا يرتأون هذا الرأي. قال الهولندي دوزي (B. Dozy) في مقدّمات كتابهِ عن الاسلام. (الترجمة الفرنسويّة لشوفان V. Chauvin, p. 13) « كان عرب سوريّة يدينون بالنصرانيّة » (Les Arabes de Syrie professaient le Christianisme) ويشاركهُ في هذا الرأي غيرهُ من العلماء كنولدك وغولدتسير (J. Goldziher) ولونرمان (Lenormand) بل كل من لهُ بعض المام بتاريخ العرب في الجاهليَّة

الفصل العاشر

النصرانية في الحجاز ونجد

تتبَّعنا كما رأيت آثار النصرانيَّة في اطراف بلاد العرب على كل جوانبها فلم يبقَ علينا الَّا ذكر اواسطها لنرى ما كان للدين المسيحي من التأثير في القبائل الساكنة في الحجاز ونجد وبذلك تتمّ ابحاثنا عن تاريخ النصرانيّة في كل انحاء جزيرة العرب

الحجاز على مقتضى تعريف العرب جبل ممتدّ من تخوم صنعاء في اليمن الى

---

١) اطلب مقالة العلّامة نولدك في بحثهِ الجغرافي عن مواقع هذه الاديرة في المجلة الاسيويّة الالمانية (ZDMG, XXIX, 441-449)

تخوم الشام من جنوب جزيرة العرب الشرقي الى شمالها الغربي وقد دُعي حجازًا لانهُ يحجز غور تهامة على سواحل خليج العرب عن بلاد نجد في اواسط الجزيرة . ويُدعى الحجاز ايضاً بجبل السَّراة وهو اعظم جبال العرب وفيهِ اشهر مدنهم اي مكة والمدينة وتدخل فيهِ دومة الجندل حتى أيلة على بحر القلزم التي نعتها ياقوت بآخر بلاد الحجاز

فتلك البلاد كانت قديماً عريقة في الوثنيَّة ولاسيما في عبادة قوّات الطبيعة واخصّها النيّران العظيمان الشمس والقمر ثم الزُّهَرة. على انَّ دُعاة الدين المسيحي لم يحجموا عن دعوة اهلها الى النصرانيَّة كما تشهد عليهِ شواهد ثابتة نقلها قدماء الكتبة من يونان وسريان وعرب. وقد اثبتنا سابقاً شهادة ابن خلدون (ج ٢ص ١٥٠ من تاريخهِ) في بعثة الرسول برتلماوس « الى ارض العرب والحجاز ». وسبقهُ الى مثل ذلك الطبري في تاريخهِ (طبعة ليدن ج١ ص ٧٣٨) حيث قال: « وكان ممن توجّه من الحواريين... ابن تلما (اي برتلماوس) الى العربيَّة وهي ارض الحجاز » وكذلك ورد في سيرة الرسول لابن هشام (ص ١٧٢ ,ed. Wüstenfeld): « وبُعث من الحواريين... ابن تلما الى الاعرابيَّة وهي ارض الحجاز». وجاء في ترجمة القديس يعقوب اسقف اورشليم (ص ١٧) انَّهُ « نصَّر ارض فلسطين وما يليها من ناحية حمص وقيساريَّة والسامرة وبادية الحجاز »

ثم في تاريخ الطبري قصة ظريفة عن رسول السيد المسيح الى العرب نرويها بحرفها دون القطع بصحَّتها قال (١: ٧٣٨ — ٧٣٩):

حدَّثنا ابن حميد... عن ابي سُليم الانصاري ثم الزُّرَقي قال: كان على امرأة منَّا نذر لتظهرنَّ على رأس الجمَّاء جبل بالعقيق من ناحية المدينة (قال) فظهرتُ معها حتى اذا استوينا على رأس الجبل اذا قبر عظيم عليهِ حجران عظيمان حجر عند رأسهِ وحجر عند رجليهِ فيهما كتاب بالمسند لا ادري ما هو. فاحتملتُ الحجرين معي حتى اذا كنت ببعض الجبل منهبطاً ثقلا عليَّ فألقيتُ احدهما وهبطتُ بالآخر فعرضتهُ على اهل السريانيَّة هل يعرفون كتابتهُ فلم يعرفوهُ. وعرضتهُ على من يكتب بالزبور (اي العبرانية) من اهل اليمن ومن يكتب بالمُسنَد فلم يعرفوهُ. فلماً لم اجد احدًا ممَّن يعرفهُ القيتهُ تحت تابوت لنا فمكث سنين. ثم دخل علينا ناس من اهل ماه من الفرس يبتغون (ويروى: يبيعون) الخرز فقلتُ لهم: هل لكم من كتاب. فقالوا: نعم. فاخرجتُ اليهم الحجر فاذا هم يقرأونهُ فاذا هو بكتابتهم: « هذا قبرُ رسول الله عيسى بن مريم عليهِ السلام الى اهل هذه البلاد ». فاذا هم كانوا اهلها في ذلك الزمان مات عندهم فدفنوهُ على رأس الجبل

فهذه شهادة جلية تشير الى مجيء احد رُسل السيد المسيح الى الحجاز قريباً من

المدينة. ومن عجيب امر كاتبها انهُ يعتبر كالنصارى «عيسى بن مريم» الهًا اذ قرينة الكتابة تبين انَّ الرسول المذكور ليس هو عيسى بل هو مرسل من «الله عيسى»

﴿ ايلة ﴾ كما مرَّ في طرف الحجاز من جهة الغرب كان اهلها قبل الاسلام نصارى ويهودًا. ولا يبعد ان النصرانيَّة دخلت فيها بعد المسيح بزمن قليل لقربها من بلاد الشام وفلسطين. وما لا يُنكر ان صاحبها كان نصرانيًا لمَّا ظهر رسول العرب واسمهُ يوحنا بن روْبة صالحهُ نبيّ الاسلام على جزية كانت تبلغ ٣٠٠ دينار. وفي كتاب وفادات العرب على محمَّد لابن سعد (éd. Wellhausen, *Skizze*. IV, ٢٧) ما حرفهُ:

«قال وقدم يحنَّه بن روْبة على النبي وكان ملك ايلة. . . واقبل ومعهُ اهل جرباء واذرح. فاتوهُ فصالحهم وقطع عليهم جزية معلومة. . . اخبر عبد الرحمن بن جابر عن ابيهِ قال: رأيت على يحنه بن روْبة يوم أتى النبيّ صليبًا من ذهب وهو معقود الناصية فلمَّا رأى رسول الله كفَّر واومأ برأسهِ فاومأ اليهِ النبيّ أن ارفع رأسك. وصالحهُ يومئذٍ وكساهُ رسول الله بُرد يمنة. . »

وجاء في كتاب التنبيه والاشراف للمسعوديّ (طبعة ليدن ص٢٧٣) انَّ «يحنَّة بن روْبة كان اسقف ايلة وانهُ قدم على محمَّد سنة ٩ للهجرة وهو في تبوك فصالحهُ على انَّ لكل حالمٍ بها دينارًا في السنة»

﴿ دَوْمة الجَندل ﴾ حصن كان بين المدينة ودمشق على سبع مراحل من دمشق وقيل على خمس ليال ويبعد عن المدينة ١٥ ليلة وقيل ١٣ كان مبنيًا بالجندل اي الصخر وكان حولهُ مدينة واسعة يحيط بها سور. وكان صاحب دومة الجندل أُكيدر الملك ابن عبد الملك السكوني. وكانت دومة الجندل عند ظهور نبيّ الاسلام كلها نصرانيَّة عليها اسقف تابع لمدينة دمشق كما ورد في كتاب «مدينة الله انطاكية» من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة. وكان ملكها أُكيدر نصرانيًا فبعث اليهِ محمد رسول الاسلام خالد بن الوليد في ربيع الاوَّل من السنة الخامسة للهجرة (٦٢٦ م) فاسرهُ

والعرب يذكرون عدَّة غزوات لدومة الجندل عند ظهور الاسلام. قال في تاريخ الخميس (٢: ١١) «انَّ دومة كان عليها قبل الاكيدر المسمَّى اصبع بن عمرو الكلبيّ وكان نصرانيًا وان عبد الرحمان بن عوف غزا دومة الجندل ففتحها وتزوج

ابنة الاصبغ تماضر ٠.وكان الروم عادوا فملكوها قال المسعوديّ في كتاب التنبيه والاشراق (ص٦٤٨) يذكر غزوةً غزاها رسول الاسلام لدومة:

وفيها (اي السنة الخامسة للهجرة) كانت غزوة دومة الجندل وهي اوّل غزوة النبيّ للروم وكان صاحبها اي دومة اكيدر بن عبد الملك الكنديّ يدين بالنصرانيّة وهو في طاعة هرقل ملك الروم وكان يعترض سفر المدينة وتجارهم (قال) فبلغ اكيدرًا سيرهُ فهرب وهرّق اهل دومة وصار اليها فلم يجد بها احدًا فاقام اياماً وعاد الى المدينة. ثم بعث اليهِ خالدًا السنة التاسعة للهجرة فاخذهُ اسيرًا وفتح الله عليهِ دومة »

وقال ابن سَعد في كتاب وفادات العرب (ص٢٧) بعد ذكرهِ يحنّه بن رؤبة صاحب أيلة: « قال ورأيت أكيدر حين قدم بهِ خالد وعليهِ صليب من ذهب وعليهِ الديباج ظاهرًا » .وفي معجم البلدان لياقوت (٢: ٦٢٦) انَّ خالدًا حاربهُ السنة تسع للهجرة وافتتح دومة الجندل عنوة وقتل اخاه حسّان .قال: « ثم انَّ النبيّ صالح أكيدر على دومة وأمّنــهُ وقرَّر عليهِ وعلى اهله الجزية وكان نصرانيا ٠٠٠» .وفي فتوح البلدان للبلاذريّ (ص ٦١–٦٣) انَّهُ أسلم ثم ارتدَّ بعد وفاة محمَّــد فاجلاه عُمر من دومة الجندل فيمن اجلى من مخالفي دين الاسلام الى الحيرة فنزل في موضع منها قرب عين التمر وبنى بهِ منازل سمَّاها دُومة باسم حصنهِ فغزاها خالد سنة ١٢ للهجرة وقتل اكيدر

اما اهل دومة الجندل فكانوا من بني السكون وهم فرع من بني كندة وكانوا نصارى كما ورد في سيرة الرسول لابن هشام .وكذلك كان يسكن دومة الجندل قوم من بني كلب الذين سبق بيان نصرانيتهم (١

﴿ وادي القرى ﴾ هو وادٍ بين الشام والمدينــة يُعدّ من الحجاز ومنهُ كانت دومة الجندل ودُعي هذا الوادي بوادي القرى لكثرة القرى الواقعة فيهِ لوفرة مياههِ وخصبهِ منها الحِجْر وكان اليهود يسكنون هذا الوادي اوَّلَا ثم نزلتهُ قضاعة وهي من اثبت القبائل في النصرانيَّة ومنهم بنو سليح الذين ذكر المؤرخون تنصُّرهم في الشام (٢ وفي وادي القرى كان يسكن قوم من الرهبان ذكرهم شعراء العرب قال جعفر بن سراقة (الاغاني ٧: ١٦١):

١) اطلب تاريخ العرب في الجاهليَّة لكوسان دي برسفال (Caussin de Perceval: *Essai sur l'Hist. des Arabes*, I, 214; II, 232,265)

٢) في التاريخ المذكور (Id. I, 212, 231)

ونحن منعنا ذا القرى من عدوّنا وعُذرةَ اذ نَلقى يهودًا وبَعثَرا
منعاهُ من عُليا معدّ وانتمُ سفاسيفُ روحٍ بين قُرحٍ وخيبرا
فريقان رهبانٌ باسفل ذي القرى وبالشام عرّافون فيمن تنصّرا

﴿ تيماء ﴾ هي بلدة في الحجاز بين الشام ووادي القرى وفيها كان الابلق حصن السموءل. والشائع انّ السموءل كان يهوديًا الّا انّنا لمّا طبعنا لاوّل مرّة ديوانهُ اتينا في المقدّمة ببعض الشواهد المثبتة نصرانيتهُ (١ كاصلهِ الغسّاني وكذكرهِ في شعرهِ لبعض تلامذة المسيح بل تصريحـهِ باسم السيد المسيح في قصيدة لاميّة وجدت في الموصل حيث يقول

وفي آخر الازمان جاء مسيحنا فاهدى بني الدنيا سلام التكاملِ

ولعلّ الصواب انّهُ كان من احدى الشيع اليهوديّة المتنصِّرة (Judéo-chrétien)· وقد ذكر العرب انّ قوما من نصارى طيّ كانوا ايضاً يسكنون تيماء (٢

﴿ تبوك ﴾ مكان حصين بين وادي القرى والشام على اربع مراحل من الحِجر كان بهِ عين ونخلٌ· ملكهُ المسلمون سنة ٩ للهجرة بعد ان حاربوا فيهِ الروم ومعهم نصارى العرب من عاملة ولخم وجذام. وكان اهل تبوك من نصارى قضاعة قال ابن خلدون نقلًا عن ابن سعيد (٢ : ٢٤٩):« وكان لقضاعة ملكٌ آخر في كلب ابن وَبَرة بن تغلب يتداولونهُ مع السَّكون من كندة فكانت لكلب دومة الجندل وتَبوك ودخلوا في دين النصرانيّة ». ثم ذكر مهاجرة كلب بعـد الاسلام فقال : « وبقيت بنو كلب في خلقٍ عظيم على خليج القسطنطينيّة منهم مسلمون ومنهم متنصِّرون »

﴿ معان ﴾ قال ياقوت (٤ : ٥٧١):« هي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء » وكان اهلها نصارى تحت حكم الروم والمالك عليها عند ظهور الاسلام فروة بن ابي عامر شيخ بني جذام النصارى. وبقرب معان عنـد مؤتة التي دعاها تاوفانوس المؤرخ (Théophane. I. 515. éd. Bonn) باسم (Μόθους) حدثت وقعة سنة ٨ للهجرة بين جيوش المسلمين تحت امرة زيد بن حارثة وجعفر ابن ابي طالب وعبدالله بن رواحة و (بين) جيوش الروم تحت قيادة تاودورس

١) راجع المشرق السنة ١٢ (١٩٠٩ ص ١٦٣)
٢) اطلب ايضاً Arnold Mulheisen: *Islam: History and relations to Christianity*, p. 34)

المعروف بالنائب وقد روى مؤرخو العرب انَّ عدد الروم كان مئة الف ومعهم من عرب النصارى مئة الف آخرون (١ فكان الانتصار للروم وهُزم المسلمون وقُتل قادتهم. لكنَّهم عادوا بعد ذلك بسنة فغلبوا الروم وفتحوا معان واستولوا على جهات البلقاء وقيل انَّ فروة صاحب معان اسلم

﴿ المدينة ﴾ كان اسمها في الجاهليَّة يثرب دُعيت بذلك على ما قيل باسم بانيها احد ابناء آرام وفي تقاليد العرب انَّ اوَّل من سكنها العمالقة ثم هاجر اليها اليهود في ازمنة مختلفة قبل المسيح على عهد موسى ويشوع بن نون وداود ثم في زمن خراب اورشليم وهيكلها على يد الاشوريين ثم بعد المسيح عند فتح الرومان للقدس الشريف فخرج منهم الى يثرب بنو قريظة والنَّضير وبَهدل ونزلوا واديين اسمهما بطحان ومهزور (٢ وبنوا هناك الآطام اي المنازل المحصَّنة

وكانت ديانة هذه القبائل اليهوديَّة كما هو بديهيٌّ. غير انهم اختلطوا بقبائل أخرى عربيَّة كان البعض يسكن في جوار يثرب والبعض الآخر هاجر اليها من اليمن بعد تفرُّق اهلهِ سواء كان بسبب سيل العرم كما روى العرب او لعلل أُخرى

وما لا سبيل الى انكارهِ انَّ النصرانيَّة دخلت يثرب بعد السيد المسيح بقليل كما رأيت في ما نقلناهُ عن دعوة الرُّسل في الحجاز ووجود قبر واحد منهم في جبل العقيق من ناحية المدينة على ما نقلهُ الطبري (ص ١٠٧)

وليس من المستبعد انَّ بين القبائل اليهودية المهاجرة من اورشليم قوم عرفوا النصرانيَّة ودانوا بها ولاسيما اولئك المتنصِّرين الذين سبق خروجهم فتح حاضرة بلادهم فالتجأوا الى المدن الواقعة ما وراء الاردن. فانَّهم اذ رأوا ما حل بالمدينة المقدَّسة من الدمار توغلوا في بلاد العرب وسكنوا في جهاتها الداخليَّة

والظاهر انَّ بعض تلك البدع المعروفة بالبدع اليهوديَّة النصرانيَّة (sectes

---

١) هكذا روى العرب ومثلهم روى السريان كالياس النصيبيني اطلب تاريخ اليعقوبي (٢ :٦٦) ومعجم البلدان لياقوت (٤ :٦٨٨ و ٥٧١) ثم de Goeje: *Mémoires d'Hist. et de Géogr. Orientales*, 2 éd., 1900, p. 6-9

٢) راجع كتاب الاغاني (١٩ :٩٥) وروايات الاغاني (٢ :١-٥) راجع ايضاً مجلة الدروس اليهوديَّة (Revue des Etudes Juives VII, 167 et X, 10)

(judéo-chrétiennes) شاعت خصوصاً في نواحي العرب كشيع الناصريين (Nazaréens) والابيونيين (Ebionites) والكسائيين (Elkésaites) وقد ذكرهم الكتبة الكنسيّون في القرون الاولى كاوسابيوس المؤرخ (١ واوريجانس المعلم (٢ ويوستينوس الشهيد (٣ والقديس ابيفانيوس (٤ في تاريخ الهرطقات والقديس هيرونيموس في كتاب الاعلام (٥ وتاودوريطس (٦ وصاحب الفلسفيّات (٧ وذكروا علاقاتهم مع المسيحيين

واستشهدوا بما كان لديهم من الآثار النصرانيّة. وقد وجد الاثريّون في زماننا بعض تلك الآثار المكتوبة بالحرف السرياني الفلسطيني ونشروها بينها فصول انجيليّة وطقوس ورُتب بيعيّة

وبعض هذه البدع التي انتشرت في جهات العرب بالغ اصحابها في اضاليلهم فنبذ النصارى مزاعمهم وقبّحوها كالفطائريين (Collyridiens) الذين كانوا يبالغون في عبادة مريم العذراء فيقدّمون لها نوعاً من القرابين اخصّها اقراص العجين والفطائر وقد ذكرهم القديس ابيفانيوس في كتاب الهرطقات (٨ ولعلّ هؤلاء المبتدعين هم الذين دعاهم ابن بطريق (٩ بالمريميّة والبربرانيّة فافادنا انهم كانوا يقولون « انَّ المسيح وامَّهُ الهان من دون الله ». وقد وصفهم بذلك ابن تيميَّة في كتابهِ الجواب الصحيح ودعاهم بالمريانيين او المريانيّة. وعلى هذا البناء شرح مفسّرو القرآن قولهُ: في سورة المائدة « اتّخذوني وامّي الهين » وقالوا في شرح قولهِ في سورة النساء « ولا تقولوا

---

١) اطلب تاريخهُ (Eusèbe, H. E., IV, 17 et 22)

٢) اطلب ردّهُ على قلسوس (Origenes c. Celsum, II, 3 et Hom. III, in Gen. n° 5)

٣) اطلب مذاكراتهِ (Justini *Dialog*., c. IV, LXIII et LXXX)

٤) كتاب الهرطقات (Epiphan., *Hæres*. XXIX, 7, 9, 15, et XXX, 15-19)

٥) اطلب (Hieron: *De situ et nominibus*, Migne, XXIII, p. 888)

٦) كتابهُ في خرافات الامم (Theodoret, *fabul*. I, et II, 18)

٧) اطلب (Philosophoumena, VII, 12, IX, 13, X, 17 et 29)

٨) اطلب (Epiphan., *Hares*. 10)

٩) راجع طبعتنا (١٢٦)

ثلثة » اي لا تقولوا الآلهة ثلثـة الله والمسيح ومريم (كذا ورد في شرح البيضوي والزمخشري وغيرهما)

وقام غيرهم في انحاء العرب وتطرَّفوا على عكس ذلك فانكروا على العذراء مريم دوامها في البتوليَّة فسمَّوهم لذلك بالمعادين لمريم (Antidicomarianites) وذكرهم القديس ابيفانيوس في كتاب البدع (١

وروى القديس ايلاريوس في رسالتهِ الى قسطنطين الملك (٢ انَّ فرعاً من اشياع اريوس ظهروا في جهات العرب وهو يدعوهم اقاقيين باسم اقاقيوس زعيمهم كانوا يذهبون الى ان السيد المسيح ليس هو ابن الله لزعمهم انَّ من قال ذلك جعل لله زوجة فخلطوا بين الولادة الجسديَّة والولادة الالهيَّة الروحية الازليَّة المثبتة في الكتب المنزلة

وقد ذكر حضرة الاب انستاس الكرملي في احدى المقالات المنشورة في المشرق (٦ : ٦٠) بدعة أُخرى وجد منها بقـايا في العراق تُعرف بالداوُدة او الداوُديّين يعظِّم اصحابها داود النبي ويكرمون السيد المسيح لكنَّهم يجعلونهُ دون رتبة داود

فكلّ هذه البدع وغيرهـا التي شاعت خصوصاً بين القبائل اليهوديَّة المتنصرة الساكنة في حدود الشام والحجاز شوَّهت المعتقدات النصرانيَّة الصحيحة في تلك البلاد

وبقي الامر على ذلك حتى قدمت الى يثرب بطون من عرب اليمن كبني الحرث ابن بهثة وبني شطيَّة من غسان ولاسيما بني الاوس والخزرج من الازد الذين لحقوا بها بعد سيل العرم. لكنَّهم اقاموا فيها كما روى صاحب الاغاني (١٩ : ٩٥) في جهد وضيق المعاش يرتزقون من الزراعة وكانت الاموال لليهود حتى قام بينهم في اواسط القرن السادس للمسيح احد شيوخهم وهو مالك بن عجلان فأوفد الى ملك في الشام من ملوك غسَّان يُدعى ابا جُبَيْلة فاستنجدهُ على يهود يثرب فأنجدهُ واوقعا باشراف اليهود حتى ذلُّوا وصار الامر الى الاوس والخزرج مذ ذاك الحين الى ظهور الاسلام ومنهم كان الانصار. وقد وقعت بين الاوس والخزرج حروب رواها صاحب الاغاني (٢ : ١٦٧ — ١٧٠) لا حاجة الى ذكرها

---

١) اطلب (Epiph., *Hæres.* 78)

٢) اطلب مجموعة مين (Migne, PP. LL., X)

امَّا دين الاوس والخزرج وبقيَّة القبائل غير اليهوديَّة التي كانت في يثرب وجهاتها فيظهر انهُ كان في اوَّل امرها الشرك وانَّها كانت تعبد المناة كما روى الشهرستاني في كتاب الملل والنحل (ص ٤٣٤ من طبعة لندن) لكنَّها عدلت بعد ذلك الى النصرانيَّة. ولنا على الامر ادلَّة نرويها هنا عن مصادر موثوق بها

قد رأيت في اوَّل هذا الباب انَّ دُعاة الدين المسيحي دخلوا بلاد الحجاز منذ قرون النصرانيَّة الاولى بل روى اوَّل مؤرخي الاسلام ابو جرير الطبري تقليداً عن اهل المدينة ذكروا فيهِ وجود قبر لاحد رسل السيد المسيح في جبل العقيق المجاور لبلدهم (راجع ص١٠٧)

ومن الادلَّة على نصرانيَّة عرب المدينة ان الاوس والخزرج ينتسبون الى الحارث ابن ثعلبة فيرتقي نسبهم الى بني غسَّان. ونصرانيَّة غسَّان ثابتة لا يشكُّ فيها الَّا من كابر الحقّ كما رأيت. افليس من الصواب أن يقال انَّ الاوس والخزرج دانوا بديانة غسَّان. وزد على ذلك انَّ أبا جُبَيلة الغسَّاني ملك الشام المعروف بنصرانيَّتهِ ما كان لينصر الاوس والخزرج على يهود المدينة كما مرّ بك لولا علمهُ انهم يدينون بدينهِ

ولنا على ذلك برهان آخر اقرب وادلّ وهو الاسم المُطلق على اهل مدينة يثرب الذين كانوا يُدعون باهل الكتاب. قال الشهرستاني في الملل والنحل (ص ١٦٢ من طبعة لندن) : « الفرقتان المتقابلتان قبل المبعث هم اهل الكتاب والاميون والامي من لا يعرف الكتابة فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والاميون بمكَّة » فينتج عن قولهِ هذا انَّ اهل المدينة كانوا منقسمين قسمين قسم يهودي كقريظة والنضير وقسم نصراني وهم عرب الاوس والخزرج وقضاعة الذين كانوا يسكنون المدينة بل ربَّما غلب اسم اهل الكتاب على النصارى كما افاد القسطلانيّ. ويؤيد ذلك انَّ احد زعماء الاوس يوم مهاجرة محمد الى المدينة كان يُدعى « ابا عامر الراهب » وفي اسمهِ دليل على دينهِ. فهذا حارب محمداً وانصارهُ في أُحد ثمَّ خرج مع آلهِ الى ثقيف وهو الذي سماهُ رسول الاسلام بالفاسق (١

وجاء في التقويم القديم للكنيسة الكلدانيَّة الذي نشرهُ الخوري بطرس عزيز

---

١) راجع سيرة الرسول لابن هشام ص ٥٦١–٥٦٢ ثم (Sprenger : *Leben d. Mohammad* III, 32)

سنة ١٩٠٩ (ص٨) ان النساطرة « اقاموا مطروبوليطاً في يثرب وانّهُ كان فيها ثلاث كنائس على اسم ابراهيم الخليل وايوب الصديق وموسى الكليم » وهي رواية وجدناها في تقويم آخر مخطوط لاحد اهل الموصل والله اعلم بصحّتهما

على انّ وجود النصارى في المدينة قبل الاسلام وفي اوائل ظهوره لمن الامور التي لا يمكن نكرانها. لانّ النصارى كانوا بلغوا اقاصي تخوم العرب فما قولك بالبلاد المجاورة لممالك الروم. وهذا ما اقرّ به المستشرقون في كتبهم الحديثة. قال احد ائمّتهم العلّامة ڤلهاوزن (١ : « انّ محمّداً وجد الطريق ممهّدة في المدينة بواسطة اليهوديّة والنصرانيّة لانّ هناك كان يهود كثيرون ثم لوقوع المدينة على حدود الرومان واليونان وتحت نفوذ النصارى الآراميين ». ومثلهُ قال هرتويغ درنبورغ الموسوي من اساتذة اللغات الشرقيّة في باريس المتوفي سنة ١٩١٠ : « كان للنصرانيّة تبَعة متعدّدون في جزيرة العرب فكانت مالكة على شمالها بدولتي الحيرة وغسان وعلى وسطها في المدينة وعلى جنوبها باسقفيّات اليمن (٢ »

وبقي النصارى في يثرب حتّى بعد وفاة نبيّ الاسلام كما يدلّ عليهِ قول حسّان ابن ثابت في داليّتهِ التي رثى بها محمّداً (طبعة ليدن Hirschfeld, p. 59) :

فرحت نصارى يثربٍ ويهودُها لمّا توارى في الضريح المُلحَدِ

ولعل النصارى واليهود بقوا في المدينة الى عهد عمر بن الخطّاب الذي اخرج الفريقين من جزيرة العرب استناداً الى ما رُوي في الحديث : « لاخرجنّ النصارى واليهود من جزيرة العرب »

ولمّا اراد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ (٧٠٧ م) ان يجدّد عمارة المسجد

١) هذا قولهُ بالحرف في كتابهِ عن ملك العرب WELLHAUSEN : *Das arabische Reich und sein Sturz* (p. 4) : « In Medina war der Boden fur Mohammad vorbereitet durch das Judentum und Christentum ; es gab dort viele Juden und die Stadt lag an der Grenze desienigen Teils von Arabien, der under griechisch-roemischem und christlich-aramaischem Einfluss stand. »

٢) ودونك قولهُ : H. DERENBOURG : *Opuscules d'un Arabisant* (p. 16) : « Le Christianisme comptait en Arabie de nombreux adhérents ; il dominait le Nord par les rois de Hira et de Ghassan, le Centre par Médine, le Sud par les evêchés du Yémen »

الكبير المعروف بمسجد النبي في المدينة كان بُناتهُ من نصارى الروم والقبط كما روى المؤرخون. واخبر الطبري (٢ : ١١٧) « انَّ ملك الروم بعث اليهِ بمائة عامل ومائة الف مثقال ذهب واربعين حملًا من الفسيفساء فبنوا المسجد وجعلوا طولهُ مائتَيْ ذراع في مثلها » . وقيل انَّ بعض المدنيين لم يستحسنوا العمل اذ رأوهُ شبيهاً بكنيسة

﴿ مكَّة ﴾ كما عُرفت النصرانيَّة في يثرب في عهد الجاهليَّة كذلك نالت مكَّة نصيباً من ذلك الدين. وها نحن ننقل ما رواهُ قدماء الكتبة اثباتاً لهذا الرأي

قدَّمنا في اوَّل هذا الفصل ما اثبتهُ المؤرخون اليونان والسريان والعرب عن الدعوة النصرانيَّة في الحجاز اجمالًا. ومكَّة في الحجاز بل حاضرة الحجاز فبديهي ان يقال انَّ الدين المسيحي دخل ايضاً مكَّة كسواها من الجهات الحجازية. وان قيل انَّ مكَّة واقعة في اقاصي الحجاز اجبنا انَّ كلام الكتبة يشمل كل جهات العرب حتَّى اقصاها. قال تاودوريطوس المؤرخ الكنسي (١ في القرن الخامس للمسيح عن القيصر فالنس انَّهُ لمَّا اضطهد الكاثوليك فرَّقهم في كل البلاد حتى نفى منهم كثيرين في اقاصي تخوم العرب (per ultimos fines Arabiæ)

واقدم ما رواهُ كتبة العرب صريحاً عن النصرانيَّة في مكة ما ورد في اثناء تاريخ جرهم الثانية قالوا انَّ جرهم استولوا بعد بني اسماعيل على الحجاز وصارت اليهم سدانة بيت الحرم في مكة ومفاتيح الكعبة. امَّا زمن دولة بني جرهم فلم يتفق الكتبة في تعريفه والعلماء الاوربيون مجمعون على انَّ جرهم الثانية قامت قبل تاريخ الميلاد بقليل. ومن عجيب ما رواه مؤرخو العرب كابن الاثير وابن خلدون وابي الفداء (٢ وغيرهم انَّ سادس ملوك جرهم يُدعى باسم نصراني وهو عبد المسيح بن باقية بن جرهم . فمنهُ يتعيَّن انَّ النصرانيَّة دخلت مكة قبل بني الازد وتغلُّب بني خزاعة اعني بعد موت السيد المسيح بزمن قليل. وهذا يوافق نصوص الكتبة المرويَّة سابقاً عن تبشير رسل المسيح في الحجاز

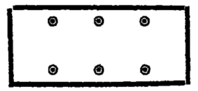
١) راجع تاريخهُ في اعمال آباء اليونان (Théodoret, H. E. l. IV, c. 15 ; Migne P. G., t. 82 col. 1158)

٢) اطلب تاريخ عرب الجاهليَّة لكوسان دي برسقال (C. de Perceval : *Essai sur. l'Hist. des Arabes avant l'Islamisme* I, 199)

وفي كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني (١٣: ١٠٩) انَّ بيت الحرام كان لهُ في عهد بني جرهم «خزانة وهي بئر في بطنهِ يُلقى فيهِ الحلى والمتاع الذي يُهدى لهُ وهو يومئذٍ لاسقف عليهِ». فقولهُ «اسقف» يريد بهِ حبر النصارى المعروف. وهو اثبات لما روى مؤرخو العرب عن نصرانيَّة الملك الجرهمي عبد المسيح بن باقية

ولنا في كتب العرب دليل اعظم يثبت انتشار النصرانيَّة في مكة قبل الاسلام وذلك في اقدم تواريخ مكة الذي عنوانهُ «كتاب اخبار مكة شرَّفها الله تعالى وما جاء فيها من الآثار تأليف ابن الوليد محمد بن عبدالله بن احمد الازرقي» المطبوع في ليبسيك (éd. Wüstenfeld. 110 — 112) انهُ كانت في دعائم الكعبة «صور الانبياء وصور الشجر وصور الملائكة وصورة ابراهيم خليل الرحمان وصورة عيسى ابن مريم» ثمَّ قال ما حرفهُ (ص ١١١):

«فلمَّا كان يوم فتح مكَّة دخل رسول الله صلعم البيت فارسل الفضل بن العبَّاس ابن عبد المطلب فجاء بماء زمزم ثمَّ امر بثوب فبُلَّ بالماء وامر بطمس تلك الصور فطُمست. قال ووضع كفَّيه على صورة عيسى بن مريم وامّهِ عليهما السلام وقال: امحوا جميع الصور الَّا ما تحت يديَّ فرفع يديهِ عن عيسى بن مريم وامّهِ... وحدَّثني جدّي قال حدَّثنا داود بن عبد الرحمان عن ابن جريج قال: سأل سليمان بن موسى الشامي عطاء بن ابي رباح وانا اسمع: أدركتَ في البيت تمثال مريم وعيسى؟ قال: نعم ادركتُ فيها (كذا) تمثال (ص ١١٢) مريم مزوَّقًا في حجرها عيسى ابنها قاعدًا مزوَّقًا. وكانت في البيت اعمدة ستّ سواري وصفها كما نُقطت في هذا التربيع



قال وكان تمثال عيسى بن مريم ومريم عليهما السلام في العمود الذي يلي الباب: قال ابن جريج فقلت لعطاء: متى هلك؟ قال: في الحريق في عصر ابن الزُّبير.. وقال ابن جريج: ثمَّ عاودتُ عطاء بعد حينٍ فخطَّ لي ستَّ سواري كما خططتُ ثمَّ قال: تمثال عيسى وامّهِ عليهما السلام في الوسطى من اللاتي تَلينَ الباب الذي يلينا اذا دخلنا.. (ص ١١٣). اخبرني محمَّد ابن يحيى عن الثقة عندهُ عن ابن اسحاق عن حكيم بن عبَّاد بن حنيف وغيرهِ من اهل العلم انَّ قريشًا كانت قد جعلت في الكعبة صورًا فيها عيسى بن مريم ومريم عليهما السلام. قال ابن شهاب قالت اسماء بنت شقر: ان امرأة من غسَّان حجَّت في حاجّ العرب فلمَّا رأت صورة مريم في الكعبة قالت: بابي انتِ وابي إنَّكِ لعربية. فامر رسول الله صلعم ان يمحوا تلك الصور الَّا ما كان من صورة عيسى ومريم»

وما رواهُ هنا الازرقي ذكرهُ كتبة آخرون كالهروي والبيهقي وابن العربي. وفيهِ شاهد جليل على تنصُّر قسم من قريش في مكة. ويؤيد ذلك احمد بن واضح المعروف باليعقوبي في تاريخهِ (طبعة ليدن ١ :٢٩٨) حيث قال «: امَّا من تنصَّر من احياء العرب فقوم من قُرَيش من بني اسد بن عبد العزَّى منهم عثمان بن الحويرث بن اسد وورقة بن نوفل بن اسد»

ولذلك ترى الشعراء النصارى في الجاهليَّة لم يأنفوا اذا حلفوا ان يجمعوا بين الصليب والكعبة قال عديّ بن زيد (الاغاني ٢ :٢٤):

سعى الاعداء لا يألون شرًّا عليك وربِّ مكّةَ والصليبِ

وقال الاعشى:

حلفتُ بثوبَيْ راهب الدير والتي بناها قُصَيٌّ والمضاضُ بن جُرهمِ

ولعلَّ ذلك ايضاً ما حمل نصارى العرب على ان يعظِّموا الكعبة في الجاهليَّة لما كانوا يرون فيها من الآثار النصرانيَّة فضلًا عن ذكر ابراهيم الخليل الذي كان يُكرَم هناك مع ابنهِ اسماعيل حيث جعل التقليد العربيّ ظهور ملاك الربّ لامّهِ هاجر (تكوين ٢١ :١٧) في هذا المكان. قال ياقوت في معجم البلدان (٤ :٦٢٢) «وليست أمة في الارض ألّا وهم يعظمون البيت... وانهُ من بناء ابراهيم حتّى اليهود والنصارى»

وممّا يدلُّ على آثار النصرانيَّة في مكة او قربها المكان المعروف بموقف النصراني ذكرهُ في تاج العروس. وكذلك مقبرة النصارى. قال الازرقي في اخبار مكة (ص ٥٠١) : «مقبرة النصارى دُبر المَقلع على طريق بئر عنبسة بذي طوى» والمقلع «الجبل الذي باسفل مكة على يمين الخارج الى المدينة». ونظنّ انَّ «مسجد مريم» الذي ذكرهُ المقدسي في جغرافيَّتهِ (ص ٧٧) بجوار مكة دعي باسم مريم العذراء لأثر دينيّ كان هناك في عهد الجاهليَّة

وممّا يثبت نفوذ النصرانيَّة في مكة على عهد الجاهليَّة نهضة الحنيفيَّة هناك فانَّ العلماء الذين درسوا تعاليم تلك الشيعة وما بقي من اخبار اصحابها في تواريخ العرب كسپرنغر (Sprenger) [١] وولهوزن (Wellhausen) [٢] وكوسّان دي پرسڤال

(١) اطلب كتابهُ (Sprenger: *Das Leben u. d. Lehre des Mohammad*)

(٢) اطلب (Wellhausen: *Skizze u. Vorarbeiten*, III, 87 *seq.*)

(C. de Perceval) (١ وغيرهم فكانت نتيجة ابحاثهم انَّ الحنيفيَّة في الجاهليَّة كانت شيعة نصرانيَّة خالطتها بعض تعاليم من غيرها وربما اراد بها شعراء الجاهليَّة والكتبةُ القدماء النصرانيَّةَ بعينها. قال شاعر هذيل (Hudheil 18 : 11):

كأَنَّ تَواليَـهُ بالمـلا نصارى يساقون لاقوا حنيقا

اراد بالحنيف الراهب يذهب النصارى لملاقاته. وروى صاحب الاغاني (ك ١٦ ص ٤٥) وياقوت في معجم البلدان (٢ : ٥١) لأيمن بن خريم قولهُ في وصف الخمرة:

وصَهْباء جرجانيَّةٍ لم يَطُفْ بها حنيفٌ ولم تَنغر (٢ بها ساعةً قِدْرُ
ولم يشهد القسُّ المُهَيمن نارَها طَرُوقًا ولا صلَّى (٣ على طَبْخها حَبْرُ

اراد بالخمر قربان النصارى والحنيف هنا بلا شكّ الراهب بدليل ذكرهِ في البيت الثاني القسّ والحَبْر. ولعلّ ابا ذؤيب قصد ايضاً الراهب حيث قال مشيرًا الى اصوام الرهبان (تاج العروس ٣ : ٣٣٩):

اقامت بهِ كمقام الحنيفِ م شهرَيْ جمادى وشهرَيْ صَفَرْ

ويؤيد رأي هؤلاء الكتبة في نصرانيَّة الحنفاء انَّ معظم الذين ورد ذكرهم في التاريخ يقال عنهم انهم تنصَّروا. واشهرهم ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزَّى وكان ابن عم خديجة زوجة رسول الاسلام الاولى وقيل بل كان عمَّها اخا ابيها قال ابن هشام في سيرة الرسول (éd. Wustenfeld, p. ١٥٣): « وكان ورقـة قد تنصَّر وقرأ الكتب وسمع من اهل التوراة والانجيل (٤ ». وقال الاسحاقي في تاريخهِ الاكبر (٥ : « كانَ ورقة امرءًا قد تنصَّر في الجاهليَّة وكان يكتب الكتاب العربيَّ فكتب بالعربيَّة من الانجيل ما شاء ان يكتب »

ومنهم عبيد الله بن جَحشٍ بن رئاب. قال ابن هشام (ص ١٤٣—١٤٤): « هاجر عبيد الله مع المسلمين الى الحبشة ومعهُ امرأتهُ امّ حبيبة ابنة ابي سفيان

---

١) كتابهُ (Essai sur l'Hist. des Arabes, I, 321)
٢) روى ياقوت: ولم ينفر
٣) في ياقوت: ولم يحصر (يحضر؟)
٤) اطلب كتابنا شعراء النصرانيَّة (ص ٦١٦)
٥) في نسخة مكتبة باريس (Mss. arab. de Paris. n° 735 ff. 88)

مسلمةً فلمَّا قدماها تنصَّر وفارق الاسلام حتى هلك هنالك نصرانياً. قال ابن اسحاق: فحدَّثني محمَّد بن جعفر بن الزبير قال: كان عبيد الله بن جحش حين تنصر يمرُّ باصحاب رسول الله صلعم وهم هنالك في ارض الحبشة فيقول: فقَّحنا وصأصأتم اي أَبصرنا وانتم تلتمسون البصَر ولم تُبصروا بعد »

ومنهم عثمان بن الحويرث الذي ذكر نصرانيَّتهُ اليعقوبيّ. وروى ابن هشام (ص ١٤٤) عن ابن اسحاق قولهُ (١: « واماً عثمان بن الحُوَيْرث فقدم على قيصر وتنصَّر وحَسُنت منزلتهُ عندهُ ». كانت وفاتهُ في الشام

ومنهم زيد بن عمرو بن نُفَيل الذي ذكر ابن هشام (ص ١٤٨) وصاحب الاغاني تردُّدهُ في دينهِ واجتماعه باحبار النصارى ورهبانهم بعد اعتزالهِ الاوثان

ومنهم اميَّة بن ابي الصلت الذي ترى ديوانهُ مشحوناً بتعاليم النصارى مع منقولات متعدّدة عن الاسفار المقدَّسة كسفر الخليقة وخلقة آدم وسقوط الابوين الاوَّلين باغراء الحيَّة والطوفان وذكر الانبياء والملائكة والسيد المسيح ومريم العذراء (٢

وكان في مكة من النصارى غير هؤلاء الحنفاء منهم ابو قيس صرمة بن ابي انس الذي روى عنهُ ابن الاثير في اسد الغابة (٣: ١٨) انه «كان ترهَّب في الجاهليَّة ولبس المسوح »

ومنهم زيد بن حارثة مولى رسول المسلمين كان نصرانياً ثمَّ اسلم

وكذلك ذكر صاحب الاغاني (١٥: ٢) نصرانيَّة عتبة بن ابي لهب صهر نبيّ الاسلام

وكان ابو سفيان زعيم مكَّة صهراً لبشر اخي أُكَيدر صاحب دومة الجندل وكان كلاهما نصرانياً وبشر هو الذي علَّم اهل مكَّة الخطَّ العربيّ

وممَّا يفيد تاريخ النصرانيَّة في مكة ذكر المعاملات التجاريَّة التي كانت متواصلةً بين اهلها ونصارى قبائل العرب الواردين اليها ونصارى الحبشة وغيرهم فانَّ اختلاط اولئك النصارى باهل مكة اثَّر فيهم تأثيراً عظيماً واجتذب كثيرين منهم الى

---

١) اطلب مقالتنا المعنونة الاحداث الكتابية في شعراء الجاهليَّة (ص ٢٠ – ٢١)

٢) اطلب مقالاتنا « الاحداث الكتابية والتشابيه النصرانيـة في شعراء الجاهليَّة » (ص ٣٠-٣١)

الدين المسيحي . ومما يؤيد ذلك انَّ ابا عامر الراهب الذي حارب رسول الاسلام في مكَّة وأُحد قد لَقِيَ المسلمين « في الاحابيش وعُبدان اهل مكَّة » كما روى ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٥٦١—٥٦٢)

وفي كتاب الخراج (ed. Th. Juynboll, 1896, p. ٥٣) ما نقلهُ الكاتب عن ابي الحويرث قال « ضرب الرسول صلعم على نصرانيّ بمكة ديناراً كل سنة » وفي هذا دليل على بقاء النصرانيَّة في مكَّة في ايام نبي الاسلام

ولم تخلُ بقيَّة مدن الحجاز من آثار النصرانيَّة كالطائف على مسيرة يوم من مكَّة (١ ومنها كان اميَّة بن ابي الصلت الشاعر النصراني ينتسب الى ثقيف اهل الطائف (٢ . وكعكاظ التي كان يجتمع في سوقها العرب فيتناشدون ويتفاخرون وهناك خطب قسّ بن ساعدة اسقف نجران كما رووا . وفي التقويم النسطوري (ص ٨) الذي اشرنا اليهِ سابقاً فطبعهُ حضرة الخوري بطرس عزيز سنة ١٩٠٩ ان النساطرة كان لهم كنيسة في عكاظ مع جماعة من اهل دينهم والله اعلم

*

وان توغَّلت في قلب جزيرة العرب ورقيتَ ما يرتفع في اوساطها من التلال والمشارف لقيت بلاد نجد التي افاض شعراء العرب في مدحها لطيب هوائها وجودة تربتها كقول بعضهم :

فيا حبَّذا نجدٌ وطيبُ ترابهِ ... إذا هضبَتْهُ بالعشيّ هواضبُهْ
وريحُ صبا نجدٍ إذا ما تنسَّمت ... ضُحىً او سرت جِنْحَ الظلام جنائبُهْ
بأجرع ممراعٍ كأنَّ رياحهُ ... سحابٌ من الكافور والمسكُ شائبُهْ
واشهد لا انساهُ ما عشتُ ساعةً ... وما انجابَ ليلٌ عن نهار يعاقبُهْ

ففي نجد وجهاتهِ وجدت النصرانيَّة لدعوتها قلوباً تقبَّلتها بالترحاب فهناك كانت عدَّة قبائل عُرفت بتديُّنها بدين السيد للمسيح كطيء والسكون والسكاسك وكندة وقد مرَّ بك انَّ ثمَّ كانت اديرة لرهبان النصارى كدير سَعْد في بلاد غطفان ودير عمرو في جبال طيّ قرب جوّ من ديارهم

١) وكانت ثقيف تسكن الطائف ومنها كان ابو رغال الذي تقدَّم الحبش وصار دليلهم لمحاربة مكَّة

٢) راجع ترجمتهُ في شعراء النصرانيَّة (ص ٢١٩-٢٢٩)

امَّا نصرانيَّة قبائل نجد فلنا عليها عدَّة شواهد. قال السائح الانكليزي بَلغراف في كتاب رحلتهِ الى جزيرة العرب (ج ١ ص ٦١) عن بلاد الجوف: « ان اهل الجوف لا يعرفون عن اصلهم وتاريخهم الَّا القليل لكن التقاليد المحليَّة تزعم انَّ تلك البلاد كانت قبلًا تدين بالنصرانيَّة وانَّ انصار النبيّ كعلي وخالد بن الوليد اضطرُّوا الى استعمال اقطع الادلَّة اي السيف ليدخلوا اهلها في الاسلام (١ »

وقال في محلّ آخر (ص ١١١): « قبل الاسلام كانت قبائل العرب في وسط الجزيرة راتعة في بحبوحة السلام الذي فقدتهُ بعد ذلك. وكان اكثرها يدين بالنصرانيَّة بل يرجَّح انها حفظت دينها بعد الاسلام الى خروج بني اميَّة عليها (٢ »

وخصَّ بالذكر تلك القبائل المتنصرة فقال (ص ٨٤) انَّ عرب نجد قبل الاسلام كانوا من تغلب وتنوخ وكندة وطيْ. وقد لقي ذلك السائح هناك عدَّة آثار وابنية سمع الاهلين ينسبونها الى قدماء النصارى من جملتها بير شقيق الذي نزل بقربهِ

وليس كلام هذا الرحالة حديثَ خرافة بل تؤيد روايتَهُ الآثار القديمة وتاريخ قبائل نجد. وكانت اعظم تلك القبائل كندة ومنها السكون والسكاسك الذين ذكر تنصرهم ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ٢٤٩). وكان لكندة بيت ملك فتولَّوا على بني معدّ في انحاء نجد واوَّلهم حُجر آكل المرار ثم خلف حجرًا بنوهُ من بعدهِ ومنهم كان امرؤُ القيس الشاعر

امَّا نصرانيَّة كندة فلا شكَّ فيها وقد اثبتنا ذلك في مقالة خصوصيَّة حيث

(١ هذا نصُّهُ بالحرف: Les Djawfites savent peu de chose sur leur origine et leur histoire ; les anciennes traditions locales prétendent pourtant que le pays était chrétien, et que pour le convertir à l'islamisme, les sectateurs du prophète, Ali et Khalid - ebn - Walid durent employer le plus tranchant de tous les arguments, le glaive. » (Palgrave : *Voyage dans l'Arabie Centrale*. I, p. 61)

(٢ وهذا قولهُ: « Les tribus du centre de la Péninsule jouissaient d'un calme et d'une prospérité qui plus tard leurs furent étrangères. La plupart avaient embrassé la foi chrétienne et probablement la professaient encore à l'époque ou elles repoussèrent l'invasion des Ommiades. » (Id. I, 111)

رددنا على مزاعم حضرة الاب انستاس الكرملي في مزدكيَّة امرئ القيس (راجع المشرق ٨ (١٩٠٥) ص ٩٩٨ — ١٠٠٦). وقد ذكرنا الكتابة التي وضعتها على صدر ديرها هندُ الكبرى بنت الحارث الكنديَّة حيث تفتخر بكونها « أمة المسيح وامّ عبدهِ (اي عمرو بن هند) وبنت عبيدهِ » (اي الحارث بن عمرو بن حجر ملوك كندة). ورويناا ايضاً النصوص اليونانيَّة التي نقلها فوتيوس في مكتبتهِ (Migne-P. G. III, 46 — 47) عن المعاهدات التي ابرمها ملوك الروم مع ملوك كندة في أيَّام انسطاس ويوستينوس ويستنيان ولولا نصرانيَّـة كندة لما تسامحوا بذلك على الاطلاق. ويؤيد قولنا في دين كندة عبد المسيح الكندي في رسالتهِ الى الهاشميّ في أيام المأمون. وقد ذكر هذه الرسالة ابو الريحان البيروني في الآثار الباقية (ص ٢٠٥ من طبعة ليبسيك) قال الكندي (ص ١٢٤ من طبعة لندن سنة ١٨٨٠):

« ولسنا نحبُّ ان نفتخر بما لنا من السبق والنسق في العربيـة وشرف الآباء فيها اذ كان ذلك معروفاً غير مجهول لابائنا واجدادنا . فقـد علم كلّ ذي علم ولبّ كيف كانت ملوك كندة الذين هم ولدونا وما كان لهم من الشرف على سائر العرب لكنَّنا نقول ما قالهُ رسول الحق بولس: ألا من يفتخر فليفتخر بالله والعمل الصـالح فانهُ غاية الفخر والشرف. فليس لنا اليوم فخر نفتخر بهِ الّا دين النصرانية الذي هو المعرفة بالله وبهِ نهتدي الى العمـل الصالح ونعرف الله حقّ معرفتهِ ونتقرَّب اليهِ وهو الباب المؤدي الى الحياة والنجاة من نار جهنم »

وقال في محلّ آخر (ص ١٠٣) يشير الى دين كندة اجدادهِ:

« ولولا انَّ الديانة عندي اشرف من الحسب الجسداني الزائل لكان يسعني السكوت . . . لكنّي رجل نصراني ولي في هذه الديانة سابقة هي حسبي ونسبي وشرفي الذي اتشرَّف بهِ وافتخر بمكاني منهُ وارغب الى الله في إماتتي على هذه الديانة وحشري عليها فانهُ غاية املي ورجائي الذي ارجو بهِ الخلاص من العذاب في نار جهنم والدخول الى ملكوت السماء والخلود فيهـا بفضلهِ واحسانهِ وسعة رحمتهِ »

فصحَّ اذن انَّ بلاد نجد لم تشذّ عن سواها في قبول الدين النصراني فشاع فيها كما شاع في بقيَّة انحاء العرب. وبهِ نختم هذا الفصل الذي تحرَّينا فيهِ تاريخ النصرانيَّة في جميع جهات العرب

الفصل الثاني

في قبائل العرب المتنصِّرة

هذا فصل نجعلهُ كتتمّة الفصل السابق فنسرد فيهِ على سياق حروف المعجم اسماء القبائل المتنصرة في عهد الجاهليّة مع الادلّة على نصرانيّتها

١ ﴿ الازد ﴾ اسم عامّ يشمل القبائل الحميريّة نسبة الى الازد بن غوث ابن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ. ونصرانيّتهم مثبتة بنصرانيّة القبائل المتفرّعة منهم وهي القبائل التي خرجت بعد انفجار سدّ مأرب فسكنت في انحاء الجزيرة وسيأتي ذكرها

٢ ﴿ امرؤ القيس ﴾ بنو امرئ القيس من بني زيد مناة بن تميم. وممن صرّح بنصرانيتهم ابن واضح المعروف باليعقوبي في تاريخهِ (ج ١ص ٢٩٨ ed. Houtsma) قال: « وتنصر من بني تميم بنو امرئ القيس بن زيد مناة ». والى نصرانية بني امرئ القيس يشير ذو الرمة الشاعر حيث يقول:

ولكنَّ اهلَ امرئ القيس معشرٌ يحلُّ لهم اكلُ الخنازير والخمرُ

٣ ﴿ الاوس ﴾ روينا في الباب العاشر من فصلنا الاوّل (ص ١٠٨) اقوال الكتبة في نصرانيّة الاوس بعد احتلالهم في مدينة يثرب وانهم المشار اليهم باهل الكتاب اي النصارى

٤ ﴿ اياد ﴾ من اقدم القبائل العربيّة المتنصرة. نقل السيوطي في المزهر (١: ١٠٥) قول ابي نصر الفارابي في القبائل العربيّة التي لم يؤخذ عنها اللسان العربيّ لفسادٍ لحق بلغتها: « ولم يؤخذ (اللسان العربي) لا من قضاعة وغسّان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانيّة » يريد اللغة الآراميّة التي شاعت بين العبرانيين بعد جلاء بابل. وقال البكري في معجم ما استعجم (ص ٤٨ ed. Wüstenfeld): « دانت اياد لغسّان وتنصّروا ». وقال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٠٥ .id): « اياد قدم خروجهم من اليمن فصاروا الى السواد فالحّت عليهم الفرس في الغارة فدخلوا الروم فتنصروا »

٥ ﴿ بكر ﴾ بن وائل قبيلة كبيرة اخت تغلب وقرينتها في القوّة والدين كانت ساكنة في الجزيرة واليها نُسبت ديار بكر. امّا نصرانيّتها فثابتة من كل الوجوه لا يُشكّ فيها. قال صاحب سيرة الرسول المعروفة بالحلبيّة (٣: ٩٥): « من قبائل العرب المتنصرة بكر وتغلب ولخم وبهراء وجذام »

٦ ﴿ بليّ ﴾ بلي بن عمرو اخوة بهراء قضاعة مثلهم كانوا نصارى وحاربوا مع بهراء ونصارى العرب جيوش المسلمين كما ذكر الطبريّ (١: ٢٤٧٤)

٧ ﴿ بهراء ﴾ فرعٌ من قضاعة اشتهروا بالنصرانيّة كما رأيت آنفاً بنصّ السيرة الحلبيّة. وقال اليعقوبي في تاريخهِ (١: ٢٩٨): « تنصر ... من ربيعة تغلب ومن اليمن طيّ ومذحج والبهراء وسليح وتنوخ وغسّان ولخم » وجاء في كتاب البلدان للاصطخري (طبعة ليدن ص ١٤ ,ed. de Goeje): « انّ بعض العرب تنصر ودان بدين الروم مثل تغلب من ربيعة بارض الجزيرة وغسّان وبهراء وتنوخ من اليمن بارض الشام ». وجاء في ترجمة ابي العلاء المعري لابن خلكان: « تنوخ احدى القبائل الثلث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب » ومثلهُ الفيروزاباديّ حيث قال: « كانت النصرانيّة في ربيعة وقضاعة وبهراء وتنوخ وتغلب وبعض طيّ » وسبق الطبريّ (ج ١، ٢٠٨١) كلّ هؤلاء فجعل بهراء في عداد نصارى العرب انصار الروم. فترى انّ نصرانيّة بهراء شائعة في التاريخ

٨ ﴿ تغلب ﴾ بن وائل هي القبيلة المعدّيّة الشهيرة وشقيقة بكر. كانت بلغت في الجاهليّة مقاماً قلما ادركتهُ قبيلة عربيّة اخرى قال عمرو الشيباني يصف شرف تغلب: « كانت تغلب بن وائل من اشدّ الناس في الجاهليّة وقالوا: لو ابطأ الاسلام قليلًا لأَكلت بنو تغلب الناس [١] ». وكانت تغلب مع شدّتها عريقة في الدين. قال عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقتهِ يفتخر بشرف ودين نساء قومهِ:

ظعائن من بني جُشَم بن بكر خلطنَ بميسمٍ حسباً ودينا

امّا هـذا الدين فكان دين النصرانيّة كما هو مشهور. والشواهد على ذلك لا تُحصى كما رأيت آنفاً من نصوص اليعقوبي والاصطخري والفيروزاباديّ وابن

١) اطلب شرح التبريزي لمعلّقة عمرو بن كلثوم (ed. Lyall, p. 108)

خلكان. وزد عليها قول ابن حوقل في المسالك والممالك (ص ١٨): « نزلوا (اي العرب) على خفارة فارس والروم حتى انّ بعضهم تنصر ودان بدين النصرانيّة مثل تغلب من ربيعة بارض الجزيرة وغسّان وبهراء وتنوخ من اليمن بارض الشام ». وتجد في الباب الثامن من الفصل السابق شواهد اخرى تؤيد الامر ولا تدع ريباً لمستريب. قال جابر بن حنيّ يردّ على بهراء (اطلب شعراء النصرانيّة ص ١٩٠):

وقد زعمت بهراء انّ رماحنا   رماحُ نصارى لا تخوض الى الدّمِ . . .

بل لدينا ادلّة واضحة على ثبوت النصرانيّة في تغلب حتى القرن الثالث والرابع بعد الاسلام وجاء في سراج الملوك للطرطوشي (ص ٣٦ من طبعة مصر ١٢٩٩) انّ بني تغلب دخلوا على عمر بن عبد العزيز فأعلنوا بنصرانيتهم

٩ ﴿ تميم ﴾ هو ابن مرّة بن ادّ من بني مضر العدنانيين وكانوا عدّة قبائل ودخلت النصرانيّة في كثير منها كبني امرئ القيس وبني شيبان وبني أيوب ابن قلّام الذي منهم كان الشاعر النصراني الشهير عديّ بن زيد. وجاء في التذكرة الحمدونيّة (ص ١٧ و١٨ من نسخة برلين) في وصاة الحرث بن كعب لبنيه انّهُ « بقي على دين عيسى بن مريم مع تميم بن مرّ واسد بن خزيمة » فجعل النصرانيّة في قبائل تميم بنسبتها الى رأسهم وشيخهم تميم بن مرّ

ولمّا وفد بنو تميم على محمد كان احد زعمائهم الزبرقان بن بدر وممّا افتخر بهِ البِيَعُ التي كان يشيدها قومهُ كما روى ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٩٣٥):

نحن الكرام ولا حيٌّ يعادلنا   منّا الملوك وفينا تُنصَب البِيَعُ

ومن تميم في الجاهليّة كان اسقف نصراني يُدعى محمداً وهو محمد بن سفيان ابن مجاشع بن دارم التميميّ (١

---

١) اطلب حياة محمد لسبرنغر (Sprenger: *Das Leben d. Mohammad*, I, 161). وفيهِ تفنيد لقول بعض الزاعمين انّ اسم محمّد لم يُعرف في الجاهليّة قبل نبيّ الاسلام. قال ابن بريّ (في تاج العروس ٢ : ٣٢٩) « ومن سمّي بمحمّد في الجاهليّة سبعة محمّد بن سفيان بن مجاشع التميميّ ومحمّد بن عتوارة الليثيّ الكناني ومحمّد بن أحيحة بن الجلاح الاوسيّ ومحمّد بن حمران بن مالك الجعفيّ المعروف بالشويعر ومحمّد بن مسلمة الانصاريّ ومحمّد بن خزاعيّ بن علقمة ومحمّد بن حرماز بن مالك التميمي

١٠ ﴿ تنوخ ﴾ احدى قبائل اليمن ونصرانيتها مُجمع عليها فانَّ الطبري (١ :٢٠٦٥و٢٠٨١) واليعقوبي (١ :٢٩٨) في تاريخهما والاصطخري في كتاب مسالك الممالك (ص ٢٤) وابن خلكان (ج ١ ص٤٢) والفيروزابادي في معجمهِ يجعلون كلهم تنوخ من جملة القبائل المتنصرة بل ورد في كتب السريان ذكرًا لاسقف التنوخيين (١

١١ ﴿ ثعلبة ﴾ بنو ثعلبة ثلاثة أبطن من طيّ وهم ثعلبة بن ذُهل وثعلبة بن رومان وثعلبة بن جدعاء يقال لهم ثعالب طيّ. ورد في الباب الثامن من الفصل السابق ذكر اساقفتهم. وقد عرف كتبة اليونان والروم والسريان نصرانيتهم فذكروهم غير مرَّة ويجعلونهم من الطائعين الخاضعين للروم « ܛܝܝܐ ܕܒܢܝ ܬܥܠܒܐ ܕܡܫܥܒܕܝܢ ܠܪ̈ܘܡܝܐ » (٢. واخبر الابشيهي صاحب كتاب المستطرف (ج ١ ص ١٣٥) قال: « رُوي انَّ بني ثعلبة دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهُ فقالوا: يا امير المؤمنين انَّا قوم من العرب افرضْ لنا. قال: نصارى؟ قالوا: نصارى. قال: ادعوا اليَّ حجاماً. ففعلوا فجزَّ نواصيهم...». ويوجد غير هؤلاء ايضاً عُرفوا ببني ثعلبة اشهرهم بنو ثعلبة بن شيبان من بطون تميم

١٢ ﴿ جذام ﴾ بن مالك بن نصر قبيلة يمنيَّة من الازد كانت تدين بالنصرانيَّة قال صاحب السيرة الحلبيَّة (٣ :٩٥) : « من قبائل العرب المتنصرة بكر ولخم وجذام » . وكذلك الفارابي في المزهر (١ :١٠٥) يجعل جذام من النصارى الذين « يقرأون بالعبرانيَّة ». وفي الفتوحات الاسلاميــة للبلاذري (٥٩ و١٣٥) وفي الطبري (١ :١٧٠٢) وفي تاريخ ابن بطريق (طبعتنا ج ٢ ص ١٣) ترى جذاماً في جملة قبائل العرب المتنصرة التي تحارب جيوش المسلمين مع غسَّان وكلب ولخم

١٣ ﴿ جَرْم ﴾ بن ريَّان هم من قبائل قضاعة ونصرانيتهم ثابتــة كنصرانيَّة قضاعة. وقد مرَّ بك في الباب الثامن من الفصل الاوَّل ذكر اسقف لبني جرم. وكانت النصرانيَّة في جرم منذ زمن قديم فانَّ السريان ذكروا ديراً ابتناه الرهبان في ديار جرم منذ اواسط القرن الرابع (٣. وقد روى قزما الرحَّالة الهندي في سفرهِ

١) اطلب الكتب السريانية (Lagarde: *Analecta Syriaca* p. 128)

٢) اطلب (G. Rothstein: *Die Dynastie der Lahmiden in al-Hira*)

٣) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (Assemani: BO, II, 41)

الى الهند انَّ بين الدائنين بالنصرانيَّة في زمانهِ اي القرن السادس للمسيح كان النبط وبنو جرم (١

١٤ ﴿ جرهم ﴾ نقلنا في جملة آثار النصرانيَّة في مكَّة ما رواه كتبة العرب عن دين بني جرهم وعن ملكهم عبد المسيح واسقفهم في مكة . فليراجع

١٥ ﴿ الحذَّاء والسِمْط ﴾ فروع من بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم . كانوا يسكنون الحيرة ويدينون بدين اهلها . قال طُخيم بن ابي الطَّخماء الاسدي يمدحهم (الكامل للمبرَّد ص ٢٦ ed. Wright) :

بنو السمط والحذَّاء كلُّ سَمَيْدعٍ لهُ في العروق الصالحات عروقُ
واني وان كانوا نصارى أُحبهم ويرتاحُ قلبي نحوهم ويتوقُ

١٦ ﴿ الحارث بن كعب ﴾ قبيلة يمنيَّة كبيرة تنتسب الى مذحج الى كهلان احتلَّت نجران ونواحيها وتنصرت وحسنت نصرانيتها ويظهر انَّ الحارث بن كعب جدّ هذه القبيلة مات نصرانياً فانَّنا قد وجدنا في النسخة الخطيَّة من التذكرة الحمدونيَّة (Ms. Berlin, *Ahlwardt*, n^os 8359 et 60 ff. 17) ما حرفهُ (٢ :

« اوصى الحرث بن كعب بنيه فقال : يا بنيَّ قد اتت عليَّ مائة وستون سنة ما صافحت يميني يمين غادر ولا قمت نفسي بخلّة فاجر ولا صحبتُ لصديق بسرّ ولا طرحتُ عندي مومسة قناعاً ولا بقي على دين عيسى ابن مريم احد غيري وغير تميم بن مرّ واسد بن حريمة . فموتوا على شريعتي واحفظوا وصيتي والهكم فاتَّقوا يكفكم المهمَّ من اموركم ويصلح لكم اعمالكم واياكم والمعصية لئلا يحلّ بكم الدمار وتوحش منكم الديار . . فانّ لزوم الخطيَّة تعقب البليَّة »

وهناك حاشية رواها ابن حمدون : « انَّ النصارى في العرب كثير وبني الحرث ابن كعب كلهم نصارى »

وكانت نجران تحت حكم بني الحارث لمَّا قصدها ذو نواس ملك حمير اليهودي فافتتحها وامتحن اهلها باخاديد النار فمات منهم عدد دثر مفضلين الموت الاحمر على جحود الدين . وبعد ظفر الحبش بذي نواس عاد بنو الحارث بن كعب الى امرة نجران وكان من اشرافهم بنو عبد المدان بن الديان الذين شادوا كعبة نجران وكنيستها المعروفة بالقليس التي افاض الكتبة في وصف محاسنها كما رأيت في

١) اطلب مجموعة مين (Migne, PG., t. 88 col. et 446)
٢) ثم وجدنا هذه الوصاة في كتابين من مخطوطات باريس ومخطوطات مكتبتنا

الباب المختصّ بنصرانيَّة اهل اليمن وبقي بنو الحارث بن كعب على نصرانيتهم بعد ظهور الاسلام كما يؤخذ من كتاب الوفادات لابن سعد (Wellhausen, *Skizzen*, IV, ٨) حيث صالحهم نبيّ المسلمين على شروط عدَّدها هناك ولم ينبذوا دينهم. وممَّا رأيناه في احد مخطوطات مكتبة قديمة في حلب منسوباً الى شاعر من بني الحارث الابيات الآتية المشيرة الى دينهم القويم:

ألا إنّنا من معشرٍ سبقت لهم ايادي من الحقّ عُوفوا من الجهلِ
ولم يبطروا يوماً الى ذات مَحْرمٍ ولا عرفوا الّا التقيَّة في الفعلِ
وبنا من التوحيد والعقل شاهدٌ عرفناه والتوحيدُ يُعرَف بالعقلِ
نُعاين من فوق السماوات كلّها معاينة الاشخاص بالجوهر المحلي
وعلمُ ما كنّا ومن اين بدؤنا وما نحن بالتصوير في عالم الشكلِ
وانّا وان كنّا على مركبة الثرى فارواحنا في عالم النور تستعلي
وما صعدت لم تحتره واعياً رأت ذاتها النور في العالم العقلي
فلم ترضَ بالدنيا مقاماً فاثرت حقيقةَ ممولٍ وحلّت عن المثلِ

١٧ (حمير) اخبار تنصرُّها مرّت في باب النصرانيَّة في اليمن فعليك بها. وزد على نصوصنا قول الفيروزابادي: «انَّ كثيراً من ملوك اليمن والحيرة تنصَّروا»

١٨ (حَنيفة) بنو حنيفة بطن كبير من بكر بن وائل كانوا يسكنون اليمامة وقد مرَّ ذكر تنصُّرهم في اثناء ذكرِ النصرانية في حضرموت وعُمان واليمامة والبحرين » وفنَّدنا هناك ما روي عن عبادتهم لصنم من عجين بل وجدنا في ذلك الهجو دليلًا على نصرانيَّتهم لاشارتهِ الى القربان الاقدس. ومثلهُ قول الآخر:

أكلت ربَّها حنيفةُ من جوعٍ قديمٍ ومن اعوازِ

ومن حنيفة كان هَوْذة بن عليّ المعروف بذي التاج ملك اليمامة الذي مرَّ ذكرهُ. ومنهم كان مسيلمة بن حبيب الذي ناصب محمَّداً وتبعهُ اهل اليمامة واستفحل امره وكاد يظهر على الاسلام لولا خالد بن الوليد الذي غلبهُ وقتلهُ. وممَّا يدلُّ على نصرانيَّة بني حنيفة ما ذكره ابن سعد في كتاب الوفادات (Wellhausen, p. 46) حيث روى خبر وفودهم على محمَّد الى ان قال: « اعطاهم رسول الله اداوةً من ماء فيهِ فضل طهوره فقال: اذا قدمتم بلدكم اكسروا بيعتكم وانضحوا مكانها بهذا

الماء واتخذوا مكانها مسجدًا ففعلوا ». ثمَّ يذكر انَّ « راهب البيعة هرب فكان آخر العهد بهِ ». فذكرُهُ لبيعة بني حنيفة وراهبها دليل ساطع على نصرانيَّتهم

١٩ ﴿ الخَزرج ﴾ بنو الخزرج كبني الاوس كانوا يسكنون المدينة ويُعدُّون من اهل الكتاب اي النصارى (يراجع ما سبق عن النصرانيَّة في المدينة)

٢٠ ﴿ (ربيعة) هو اسم يطلق على القبائل العديدة المنتسبة الى ربيعة بن نزار وهي اكبر قسم من القبائل العدنانيَّة الاربع اعني انمار واياد وربيعة ومضر. وقد انتشرت النصرانيَّة في ربيعة حتى اوشكت تشمل كل بطونها وفروعها فترى من ثمَّ كتبة العرب اذا ذكروا النصرانيَّة في الجاهليَّة جعلوها خصوصاً في ربيعة قال الفيروزابادي: «وكانت النصرانيَّة في ربيعة». وشهد بذلك قبلهُ ابن قتيبة في المعارف (ص ٣٠٥ من طبعة مصر) وابن رسته في الاعلاق النفيسة (ص ٢١٧) والقاضي ابن صاعد في كتاب طبقات الامم (ص ٤٣ من طبعتنا) وغيرهم كثيرون. فقولهم « انَّ النصرانيَّة كانت في ربيعة » باطلاقهِ يدلُّ على انَّ هذا الدين كان الغالب عليهم على اختلاف قبائلهم. ويؤيد ذلك ما رويناه عن نصرانيَّة اعظم قبائل ربيعة كبكر وتغلب وامرئ القيس وحنيفة وشيبان الخ. فناهيك بذلك شاهدًا على شيوع النصرانيَّة بين العرب

٢١ ﴿ السكاسك والسَّكُون ﴾ قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢٢١) « ومن قبائلهم السكاسك والسكون قبيلتان عظيمتان وهما ابنا اشرس بن ثور بن كندي (١)». وممَّا يؤيد تنصرهما انهما كانتا في دومة الجندل التي مرَّ ذكر نصرانيتها ونصرانيَّة صاحبها أُكيدر السكوني. وقد صرَّح ابن خلدون في تاريخهِ (٢: ٢٤٩) بنصرانيَّة السكون قال: « وكان لقضاعة ملك اخر في كلب بن وبرة يتداولونهُ مع السكون من كندة فكانت لكلب دومة الجندل وتبوك ودخلوا في دين النصرانيَّة وجاء الاسلام والدولة في دومة الجندل لأُكيدر بن عبد الملك بن السكون». وكان السكون والسكاسك يسكنون ايضاً في حضرموت محالفين لبني الحرث بن كعب اهل نجران كما اخبر الطبري ولمَّا ظهر الاسود العنسي محارباً لمحمد نبيّ الاسلام

---

١) والصواب ما قالهُ ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢١٨) « كندة هو كندي واسمهُ ثور »

كان السكون والسكاسك من انصاره (١ وكذلك نراهم يحاربون خالدًا مع بني كلب وغسّان وبهراء وكلهم من نصارى العرب

٢٢ ﴿ سليح ﴾ هي القبيلة العربيَّة التي سبقت الغسانيين في الشام ودانت بالنصرانيَّة قال المطهَّر المقدسي في كتاب البدء المنسوب لابي زيد البلخي (éd. Huart, III, p 208): « واوّل من دخل الشام سليح وهم من غسان ويقال من قضاعة فدانت بالنصرانيَّة وملَّك عليها ملك الروم رجلًا يقال له النعمان بن عمرو ابن مالك ». وقال المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ٣: ٢١٦): « وردت سليح الشام فتغلبت على تنوخ وتنصرت فملَّكها الروم على العرب الذين بالشام » . وكذلك ابن واضح اليعقوبي في تاريخهِ (١: ٢٩٨) : « تنصَّر ... من اليمن طي ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسّان ولخم» وسبقهم الطبري في تاريخه (١: ٢٠٨١) فجعل سليحاً مع قبائل نصارى العرب المحاربين مع الروم. وبنو سليح يُدعون ايضاً بالضجاعم او الضجاعمة نسبة الى احد اجدادهم قال في التاج (٨: ٣٧٣): « ضجعم ابو بطن من العرب وهو ضجعم بن سعد بن عمرو الملقب بسليح بن حلوان بن عمران ». وقد ذكر الطبري (١: ٢٠٦٥) الضجاعم مع قبائل النصارى المحاربة لخالد بن الوليد. ومن ملوك الضجاعم في الشام داود بن هبُولة المعروف باللثق وكان نصرانيًّا (٢ وقال بن دريد في الاشتقاق (ص ٣١٩) : « يضاف اليهِ دير داود في الشام »

٢٣ ﴿ شيبان ﴾ حي من بكر بن وائل.. قال في التاج (١: ٣٠٨): « هما شيبانان: احدهما شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. والآخر شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة الخ. وهما قبيلتان عظيمتان على بطون وافخاذ ». ونصرانيَّة القبيلتين شائعة كنصرانيَّة جذرهما بكر بن وائل. وكان مقام بني شيبان في بلاد الجزيرة المعروفة بديار بكر قريباً من دجلة حيث انتشرت النصرانيَّة انتشارًا تامًّا . وبنو شيبان يُعرفون غالباً ببني ثعلبة في

---

١) تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤

٢) إطلب (Caussin de Perceval : *Hist. des Arabes*, II, 201-202)

تواريخ الروم والسريان (راجع ما قلناه عن ثعلبة). ومن شيبان كان حارث بن عبّاد سيّد شيبان في حرب البسوس وقِرن المهلهل . ومنهم بسطام بن قيس احد فرسان العرب المشهورين وسيد شيبان في يومي غبيط ومحطط اللذين ذكرهما ابن عبد ربهِ في العقد الفريد (٣: ٨٨— ٨٩) وابن الاثير في تاريخهِ (١ : ٢٥٠). وقد صرّح ابن عبد ربهِ هناك بنصرانيَّة بسطام ويدعوهُ ايضاً حنيفاً فيثبت ما قلناه عن نصرانيَّة الحنفاء. ومنهم ايضاً نابغة بني شيبان الشاعر الاموي الشهير له ديوان لم يُطبع حتى الآن. وقد ذكر ابو الفرج في الاغاني (٦: ١٥١) نصرانيتهُ . وكذلك هانئ بن قبيصة قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢١٦) : «كان شريفاً عظيم القدر وكان نصرانيًّا وادرك الاسلام فلم يُسلم ومات بالكوفة»

٢٤ ﴿ ضُبيعة ﴾ كانوا اخوة بني شيبان ويُعرفون مثلهم بالثعالب يشاركونهم بكل احوالهم وهم نازلون في ديارهم ويدينون بدينهم ومنهم كان الشاعر الجاهليّ الشهير طَرَفة بن العبد صاحب المعلّقة

٢٥ ﴿ طيّ ﴾ من اكبر قبائل العرب واطولها باعاً وارقاها حضارةً واثبتها على خطوب الزمان. اصلهم من اليمن ينسبون الى طيّ بن ادد بن كهلان. وكانت ديارهم في نجد حيث الجبلان المعروفان بجبلي طيّ وهما أجا وسلمى وكانوا يسكنون في اطراف اليمامة في نواحي تيماء وكانوا يدينون اولًا بالوثنية. وقد ذكروا لهم صنماً كانوا يعبدونهُ يسمَّى الفُلْس او الفَلْس لم يتفقوا في تعريفهِ. وما لا يُنكر انَّ النصرانية كانت كثيرة الانتشار بينهم. قال ابن واضح اليعقوبي (١ : ٢٩٨) : «تنصَّر من احياء العرب ... من اليمن طيّ ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسَّان ولخم» فجعل طيّئاً في مقدَّمة القبائل المتنصرة. وقد اخبر ابن العبريّ في تاريخهِ الكنسي (Barhebræi Chronicon Eccl., III, 100) انَّ «احودما» المفريان سنة ٨٧٠ لليونان (اي ٥٥٩ للمسيح) تنقل بين العرب الطائيين وردّ كثيرًا منهم. وكان اسم الطائيين عند السريان يعمّ كل العرب لكنهم يخصصون بهِ بني طيّ ايضاً ويذكرون نصرانيتهم. ومن آثار النصرانية في طيّ اديرة للرهبان في انحائهم مرَّ لنا ذكرها. كدير عمرو في جبال طيّ (ياقوت ٢ : ٦٨٢) وكدير الثعالب لبطون من طي قريباً من بغداد (ياقوت ٢ : ٦٥٠) . ومن مآثر النصارى الطائيين

انَّ قوماً منهم وضعوا الخطّ العربي كما شهد على ذلك قدماء الكتبة (راجع المشرق ٤ : ١٩٠١) ص ٢٧٨) وقد صرَّح مؤلفو العرب بنصرانية كثيرين من الطائيّين كحنظلة الطائي باني دير حنظلة (ياقوت ٢ : ٦٥٥) الذي بسببه تنصَّر النعمان صاحب الغريين. وكاياس بن قبيصة بن ابي عفراء الذي ملك مدَّة بالحيرة. وكابي زُبيد الشاعر النصراني وكعدي بن حاتم الطائي سيد بني طيّ قال ابن سعد في وفادات العرب (Skizzen, IV, ٥١) : «عديّ بن حاتم كان على النصرانية» ومثلهُ ياقوت (٣ : ٩١٣). والمستشرقون اليوم مجمعون على نصرانيَّة طي. وقد مرَّ بك قول الرحالة بلغراف (ص ١٢٢). وكذلك العلّامة ڤلهوسن (١ خصَّ طيئاً بالعلائق القديمة مع النصرانيَّة وختم قولهُ بهذه الالفاظ «لو لم يظهر الاسلام لاضحت بعد زمن قليل بلاد شمالي العرب من البحر الاحمر الى خليج العجم كلها نصرانيَّة (٢»

٢٦ ﴿ عاملة ﴾ قبيلة ينتسبون الى عاملة بن سبا من بني قحطان وقد سكنوا العراق ثمَّ انتقلوا الى جهات الشام واليهم تنتسب جبال عاملة. وكانوا يدينون بالنصرانية كجميع عرب الشام. وقد ذكر البلاذري بني عاملة في فتوح البلدان (ص ٥٩) في جملة العرب المتنصرين الذين حاربوا في تبوك رسول الاسلام سنة ٩ للهجرة مع الروم ولخم وجذام. وكذلك الطبري في تاريخهِ (ج ١ ص ٢٣٤٦) نظم عاملة في جملة احلاف الروم. قال في تاريخ سنة ١٤ : «لمَّا اصافت الروم سار هرقل في الروم حتى نزل انطاكية ومعهُ من المستعربة لخم وجذام وبلقين وبليّ وعاملة وتلك القبائل من قضاعة وغسَّان بشر كثير»

٢٧ ﴿ العباد ﴾ قال ابن خلكان (éd. de Slane, 98) : «العباد عدَّة بطون من قبائل شتى نزلوا الحيرة وكانوا نصارى يُنسب اليهم خلق كثير منهم

---

١) اطلب كتابهُ عن اديان العرب : Wellhausen : *Reste arab. Heidentums*, p. 231

٢) وهذا نصُّهُ الاصلي :- « In der Mitte zwischen den Qudâa und der Rabi'a-Tamîm hatten die Taiji, vielleicht von Mesopotamien her, alte Beziehungen zum Christentum. Waere nicht der Islam dazwischen gekommen, so waere voraussichtlich binnen kurzem das ganze noerdlich Arabien, vom Roten bis zum Persischen Meerbusen, christlich gewesen. »

عديّ بن زيد العبادي الشاعر ».وقد روى هشام بن الكلبيّ (اطلب تاريخ ابن خلدون ٢ : ١٦٩ — ١٧٠) عن نصارى العرب في العراق ما نصهُ :

وكانت بيوتهم على ريف العراق ينزلون الحيرة وكانوا ثلث فرق : الاولى تنوخ ومنهم قضاعة . . . وكانوا يسكنون بيوت الشعر والوبر ويضعونها غربي الفرات بين الانبار والحيرة وما فوقها فأنفوا من الاقامة في مملكة اردشير وخرجوا الى البريّة . والثانية العباد الذين كانوا يسكنون الحيرة واوطنوها . والثالثة الاحلاف الذين نزلوا بهم من غير نسبهم ولم يكونوا من تنوخ الناكثين من طاعة الفرس ولا من العباد الذين دانوا بهم فملك هؤلاء الاحلاف الحيرة والانبار وكان منهم عمرو بن عدي وقومهُ . . .

امّا تسميتهم بالعباد فانّ أبا الفرج في الاغاني (١١ : ١٦٢) علّلها بكونهم قاتلوا سابور ملك العجم واتّخذوا كشعارهم « يا آل عباد الله فسُمّوا العباد »

٢٨ ﴿ عبد الدار ﴾ كانوا فرعاً من لخم وسكنوا مدّةً مكّة وكانت لهم فيها الرفادة والسقاية. ثمّ لحقوا بعرب العراق وتنصروا وسكنوا الشام وجبال فلسطين (١

٢٩ ﴿ عبد القيس ﴾ هي قبيلة من ربيعة كانت ساكنة في تيماء وبصرى وبلاد البحرين وكانت النصرانية غالبة عليها ووفدت على محمد سنة ٨ للهجرة مع سيدها بشر بن عمرو المعروف بالجارود وكان نصرانيًّا (٢ .ومن هذه القبيلة كان بحيرا الراهب النسطوري (٣ . قال الخفاجيّ في نسيم الرياض وشرحهِ على الشفاء (ج ٢ ص ٢٣) : « بحيرا اسمهُ جرجس ويقال جرجيس بياء كان من عبد القيس نصارى تيماء او بصرى » . ومنهم الرئاب ابن البراء الشنّي قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٩٧) : « وكان (الرئاب) على دين عيسى عليهِ السلام وكانوا سمعوا في الجاهلية منادياً ينادي: ألا انّ خير الناس رئاب الشنّيّ »

٣٠ ﴿ عبس وذبيان ﴾ هما ابنا بغيض بن غطفان من قبائل مضر (٤ . ليس لدينا شواهد صريحة على نصرانيتها وانما يستدلّ عليها ببعض الدلائل فمن

---

١) اطلب سيرة محمد (Sprenger III, 432) ثم (Wellhausen, *Skizzen*, IV, 108)

٢) اطلب تاريخ ابن خلدون (٢ : ٣٠١) ثم Sprenger III, 372 و Wellhausen, *ibid.* 155)

٣) اطلب مروج الذهب طبعة باريس (٣ : ٢٥٧)

٤) اطلب تاريخ ابن خلدون (٢ : ٣٠٥ – ٣٠٦)

ذلك تنصَّر قيس بن زهير بن جذيمة العبسي سيد بني عبس في أيام داحس والغبراء . قال ابن الاثير في تاريخهِ (١: ٢٤٢–٢٤٣) انهُ تاب الى ربهِ « فتنصر وساح في الارض حتى انتهى الى عمان فترهَّب بهِ ». وكذلك الربيع بن زياد احد اعيان بني عبس كان منادماً لملك الحيرة النعمان بن المنذر مع سرجون بن توفيل (ويروى نوفل) وكان النعمان نصرانياً وسرجون ايضاً نصراني رومي (١ فلا يُحتمل ان يكون الربيع بن زياد من عبدة الاصنام . وادلّ من ذلك على النصرانيَّة في عبس ظهور رجل بينهم من بني مخزوم بن عبس يدعونهُ خالد بن سنان ويذكرون انهُ كان نبياً . قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٧٠): « ذُكر عن النبي صلعم انهُ قال (عن خالد بن سنان): ذاك نبيّ ضيعهُ قومهُ ». قال العصاميّ في كتاب سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي (٢ : « روي انَّ خالد بن سنان كان في زمن كسرى انو شروان وانهُ كان يدعو الناس الى دين عيسى وكان بارض بني عبس واطفأ النار التي كانت تخرج من بئر هناك وتحرق من لقيتهُ من عابر سبيل ». وذكر العصامي في الكتاب عينهِ نبياً آخر لبني عبس اسمهُ حنظلة ابن صفوان (ص ٦٩) قال انهُ دعا قومهُ الى الله تعالى وصنع المعجزات ثمَّ قتلهُ قومهُ

اما ذبيان فشقيقة عبس ولا يبعد انها دانت بالنصرانية . وما لا ينكر انَّ شاعرها الكبير النابغة الذبياني كان نصرانياً بشهادة تاج العروس (١: ٣٣٧) نقلاً عن الصغاني والاصمعي قال في بيان معاني الصليب : « والصليب العلَم . قال النابغة :

ظلَّت اقاطيعُ انعامٍ مؤبَّلةٍ لدى صليبٍ على الزوراء منصوبِ

... وقيل سمَّى النابغة العلَمَ صليباً لأنَّهُ كان نصرانياً »

٣١ ﴿ عِجل ﴾ قبيلة كبيرة من بكر بن وائل وهم عِجل بن لُجَيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وهم اخوة بني حنيفة وكلهم نصارى كما سبق فتبعتهم عجل في دينهم . وعجل احدى قبائل النصارى التي ظفرت بالعجم يوم ذي قار (٣ وكان سيدهم حنظلة بن ثعلبة بن سيَّار العجليّ وكان على شيبان هانئُ بن

١) اطلب الاغاني (١٤: ٩٤ و ١٦: ٣٣) ثمَّ شعراء النصرانيَّة (ص ٧٨٩)
٢) من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة (ص ٦٠)
٣) اطلب الاغاني (ج ٢٠ ص ١٣٢ – ١٤٠)

قبيصة النصراني (الاشتقاق لابن دريد ص ٢١٦) ·وقد روى ابو الريحان البيروني في كتاب الآثار الباقية (ed. Sachau, p. 314) « انّ العذارى النصرانيّات من العرب صُمن شكرًا لله حيث انتصرت العرب من العجم يوم ذي قار فنُصروا عليهم » ثم نسب اليهِ صوم العذارى الواقع يوم الاثنين بعد عيد الدنح ويدوم ثلثة ايام — وبقيت عجل على نصرانيتها حتى بعد ظهور الاسلام فحاربت خالد بن الوليد وجيوش المسلمين تحت قيادة جابر بن بُجير وعبد الاسود النصرانيين كما روى الطبري (ج ١ ص ٢٠٣٢—٢٠٣٣) وابن خلدون (ج ٢ (تتمة) ٨٠) وقال كلاهما هناك انّ عبد الاسود وجابر كانا سائرين في نصارى العرب « من عجل وتيم اللات وضُبيعة » · ولم يعدل بنو عجل عن نصرانيتهم الى ايام بني امية والدليل على ذلك ان الطبري صرَّح بنصرانية سيّد بني عجل أبجر بن جابر (الطبري ج ١ ص ٣٤٦٠) ·وبقي ابنهُ حجّار على دينهِ كما يشهد عليهِ هجاء قالهُ فيهِ الشاعر عبدالله بن الزبير وكان حجّار من اشراف اهل الكوفة ودونك الشعر (الاغاني ١٣ : ٤٦—٤٧) :

سليلَ النصارى سُدْت عِجلًا ومَن يكن كذلك اهلٌ ان يسود بني عِجلِ
ولكنهم كانوا لئامًا فسُدْتهم ومثلك من ساد اللئام بلا عقلِ
وكيف بعجل ان دنا الفصحُ واغتدت عليك بنو عجل ومرجلكم يغلي
وعندك قسّيس النصارى وصُلْبها وقانية صهباء مثل جنى النحلِ

فغاظ هذا الشاعر بني عجل لمّا تهدَّدوهُ بالقتل لهجوهِ سيدهم فقال :

تُهدّدني عجلٌ وما خلتُ انني خلاةٌ لعجل والصليبُ لها بعلُ ...

يريد اكرام بني عجل للصليب على مالوف عادة النصارى

٣٢ ﴿ عُقيل ﴾ بطن من كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من غطفان· كان يسكنون اليمامة وكان اهل اليمامة كما سبق من اتباع النصرانيّة· وقد خصُّوا بالذكر عُقيلًا وذكروا لهم اساقفة· ولمَّا ظهر الاسلام دانوا بهِ مدة حتى وفاة محمد ثم ارتدُّوا الى دينهم فاضطرّ ابو بكر الصديق الى ان يرسل اليهم بعثةً لمحاربتهم وكان قسم من بني عُقَيل يسكنون ايضاً في الجزيرة عند نهر خابور مع نصارى تغلب وبكر (راجع ص ٩٤)

٣٣ ﴿ غسَّان ﴾ لا حاجة الى الاطالة في ذكر نصرانيَّة غسَّان وقد مرَّ لنا كلام مُسهب في ذلك· وليس بين كتبة العرب من يعدّد القبائل المتنصرة الَّا

ذكر في مقدّمتها او في جملتها قبيلة غسّان كالاصطخري في مسالك الممالك (ص ١٤) واليعقوبي في تاريخه (١ : ٢٩٨) وابن سعد في كتاب الوفادات (ed. Wellhausen, *Skizzen*, IV, 7) والسيوطي في المزهر والفيروزابادي في مقدّمة المحيط (١. واشتهر منهم بنو جفنة ملوكهم الذين امتدحهم النابغة الذبياني بحسن الدين فقال:

مجلّتهم ذات الالـه ودينهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

٣٤ ﴿ فَرَسان ﴾ هي قبيلة من تغلب واليهم نُسبت جزائر فَرَسان. قال ابن الحائك في كتاب الاكليل (٢: « من جزائر اليمن جزائر فَرَسان وفَرَسان قبيلة من تغلب كانوا قديماً نصارى ولهم في جزائر فرسان كنائس قد خربت وفيهم بأس... ويحملون التجار الى بلد الحبش ولهم في السنة سفرة وينضمُّ اليهم كثير من الناس ونُسَّاب حمير يقولون انهم من حمير ». وفي تاج العروس (٤: ٣٠٦) « انَّ فَرَسان لقب حمران ابن عمرو... بن تغلب قيل لقّب بهِ لجبل بالشام اجتاز فيهِ وسكن ولدهُ بهِ ثمَّ ارتحلوا باليمن ونزلوا هـذه الجزيرة فعُرفت بهم فلمّا اجدبت نزلوا الى وادي مَوْزَع فغلبوا عليهم وسكنوا هنالك. ومن الفَرَسانيين جماعة يقال لهم التغالب يسكنون الربع اليماني من زبيد »

٣٥ ﴿ قُرَيش ﴾ أتينا في مطاوي كلامنا عن مكة بذكر آثار النصرانية في مكّة بين قُرَيش مع الشواهد على ذلك. فليراجع

٣٦ ﴿ قُضاعة ﴾ أشرنا مرارًا الى نصرانيَّة هذه القبيلة التي كانت تُعد من امَّهات القبائل والى نصرانيَّة بطونها كجرم بن ريّان وسليح وكلب بن وَبَرة وتيم اللات. وممن صرَّحوا بدينهـا النصراني ابن واضح اليعقوبي في تاريخهِ قال (١ : ٢٣٤): « كانت قضاعة اوَّل من قدم الشام من العرب... فدخلوا في دين النصرانية فملّكهم ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب » وقـد مرَّ قول الفارابي (اطلب المزهر ١ : ١٠٥) عن نصرانية قضاعة. ومثلهما الفيروزابادي حيث

١) وممّن اتّسعوا في تاريخ غسّان العلّامة نُلْدِك في كتابهِ (Die Ghassanischen Fursten aus dem Hause Ǵafnas) وكذلك الرحّالة دوسّو وصنهم بانتحمُّس الديني في النصرانية (Dussaud: *Les Arabes en Syrie avant l'Islam.*) فقال عنهم: (Les Ghassanides... fervents chrétiens et fondateurs de monastères, p. 52)

٢) اطلب معجم البلدان لياقوت (٣: ٨٧٣-٨٧٤)

قال: «كانت النصرانيَّة في ربيعة وقضاعة وبهراء وتنوخ وبعض طيّ» وقد افادنا ياقوت في معجم البلدان (٢: ٦٥٨) انَّ دير خِندِف في نواحي خوزستان قد بنتهُ ليلى القضاعيَّة المعروفة بخندف امّ ولد الياس بن مضر (١

٣٧ ﴿ القين ﴾ او بَلقين هم بطن من قضاعة بنو القين بن جسر بن الاسد بن وَبَرة ومن الشواهد على نصرانيتهم ما رواه الطبري في تاريخهِ (١: ٢٣٤٧) عن هرقل انَّهُ سنة ١٤ للهجرة سار لمقاتلة المسلمين في اليرموك وكان معهُ من القبائل النصرانيَّة المستعربة «لخم وجُذام وبَلقين وبَليّ وعاملة وتلك القبائل من قضاعة» وكانت هذه القبائل حاربت مع الروم سابقاً في تبوك سنة ٧ للهجرة (٢

٣٨ ﴿ كَلْب ﴾ بن وَبَرة قبيلٌ عظيم من قضاعة يُقسم الى عدّة بطون. وهم من اعرق العرب في النصرانيَّة واقدمهم عهداً فيها. كما رأيت في تاريخ الشام والجزيرة (٣ وقد عُرفت قبيلة كلب بشرفها وعزّها. ومن امرائها النصارى زُهير بن جناب احد المعمرين. ومنهم بَجدل بن أُنيف النصراني حمو معاوية بن سفيان كان لهُ كنيسة في دمشق. ومنهم دَحية بن خليفة قال ابن دُرَيد (في الاشتقاق ٣١٦): «هو الذي كان جبريل عليهِ السلام ينزل في صورتهِ (كذا)». ومنهم فرافصة النصرانية زوجة عثمان وقد دعت ابنةً لها بمريم. وبقيت كلب مدّة على نصرانيتها بعد الاسلام الّا بعضهم وفي المقتضب لياقوت (٤: اسلمت كلب غير مدره كانوا نصارى». وفي سيرة الرسول لابن هشام (ص ٢٨٢) «انَّ محمداً دعا الى الاسلام قوماً من كلب يُعرفون ببني عبدالله فلم يقبلوا منهُ. وكانت كلب تسكن بقاع الشام حتى نُسبت اليها. قال ياقوت في معجم البلدان (١: ٦٩٩):

«البقاع.. يقال لهُ بقاع كلب قريب من دمشق وهو ارض واسعه بين سلبك وحمص

---

١) وقد اقرَّ بنصرانية قضاعة العلّامة قلهَوزن فقال: «كل قبيلة قضاعة كانت متنصّرة في القرن السابق للاسلام» (In dem Jahrhundert vor dem Islam hatten alle Quda'a-staemme es (das Christentum) angenommen. Wellhausen: *Reste arab. Heidentums*, p. 231)

٢) اطلب (Sprenger: *Das Leben d. Mohammad*, III. 292,295) راجع ايضاً تاريخ الطبري (١: ١٨٧٢)

٣) اطلب الباب التاسع من الفصل الاوّل (ص ١٠٤–١٠٥) ثم راجع تاريخ ابن خلدون (٢: ٢٤٩)

٤) اطلب (Lammens: *Etudes sur Mo'awia*, 287-289)

ودمشق فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة غيرة واكثر شرب هذه الضياع من عين تخرج من حبل يقال لهذه العين عين الحرّ. وبالبقاع هذه قبر الياس النبي عم (١ »

٣٦ ﴿ كندة ﴾ سبق الكلام عن كندة ونصرانيّة اهلها في اثناء كلامنا عن النصرانيّة في الحجاز ونجد وقد روى ابن هشام عن ابن اسحاق في سيرة الرسول ثباتهم على دينهم بعد ظهور نبيّ المسلمين قال (ص ٢٨٢): « اتى (النبيّ) كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال لهُ مُليح فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسهُ فابوا عليه » ومن رجال كندة عبد المسيح عاقبُ نجران في اوّل الاسلام والعاقب عندهم دون السيد. ومنهم ايضاً جُحيَّة بن المضرّب الشاعر الذي ادرك الاسلام ومات على نصرانيتهِ كما روى في الاغاني (٢١: ١٦)

٣٧ ﴿ لخم ﴾ احد احياء اليمن الكبرى الشهيرة بنصرانيتها. قال صاحب السيرة الحلبية (٣: ٩٥): « ومن القبائل المتنصرة بكر ولخم وجذام ». وكذلك اليعقوبي (١: ٢٩٨) جعل لخماً من جملة القبائل النصرانيّة في اليمن. ومثلها السيوطي في المزهر (١: ١٠٥). وبقيت لخم على دينها زمناً بعد الاسلام فتراها محاربةً لجيوش المسلمين مع جُذام وعاملة وغسَّان (اطلب فتوح البلدان للبلاذري ص ٥٩ وتاريخ الطبري ج ١ ص ٢٠٨١). ومن لخم كان ملوك الحيرة الذين روينا اخبارهم وذكرنا تنصُّر كثيرين منهم. ومن لخم كان بنو عديّ بن الذميل النصارى الاشراف الذين ذكر ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢٢٦) بيعتهم في الحيرة

ومن اللخميين بنو صالح الذين اختارهم يوستنيان ملك الروم لحراسة دير طور سينا كما ذكر ابن بطريق في تاريخهِ (راجع طبعتنا ص ٢٠٤). وذكر كتبة العرب عدَّة اديرة وبيعاً بناها اللخميون كدير علقمة ودير حنظلة المخمي وبيعة عدي بن الذُّميك (لعلَّها الذميل) اللخمي (ياقوت ١: ٧٦٦)

٣٨ ﴿ مازن ﴾ بطن من الازد كانوا في العراق يدينون بالنصرانيَّة. وقد ذكر لهم البلاذري في فتوحاتهِ (ص ٢٨١) بيعةً فقال: « وبيعة بني مازن بالحيرة لقوم من الازد من بني عمرو بن مازن وهم من غسَّان »

٣٩ ﴿ مَذحج ﴾ قبيلة يمنيَّة تنتسب الى مذحج وهو مالك بن ازد بن ادد بن كهلان ذكرها ابن واضح اليعقوبي في تاريخهِ (١: ٢٩٨) مع القبائل المتنصرة

(١) لعلَّهُ يشير بذلك الى « قب الياس » لكن قبر الياس النبي لا يُعرف مكانهُ

فقال: « تنصَّر من اليمن طيّ ومذحج الخ » . وكانت مذحج تسكن في جهات الموصل (ص ٩٤) ومن مذحج كان بنو الحارث بن كعب اهل نجران المشهورون برسوخ قدمهم في الدين النصراني

٤٠ ﴿ معدّ ﴾ ابو القبائل العدنانيّة. ورد ذكر نصارى معدّ واساقفة معدّ في تواريخ السريان كما سبق. وكثيرًا ما كانوا يطلقون اسم المعدّيين على العرب المتنصرين كقولهم جرجس اسقف المعدّيين (١ وكذلك كانوا يدعون بني كلب النصارى بالمعدّيين (ܡܥܕܝܐ ܐܘܟܝܬ ܟܠܒܝܐ) ومثلهم بنو عقيل (ܡܥܕܝܐ ܕܡܢ ܒܢܝ ܥܩܝܠ) (٢

٤١ ﴿ مَهَرة ﴾ حيّ عظيم من قضاعة ونصارى مثلهم ينتسبون الى مهرة بن حيدان وكانوا يسكنون اليمن مع الحميريين وكان اميرهم عند ظهور الاسلام الحارث بن عبد كلال وفد على نبيّ المسلمين كما روى الطبري (ج ١ ص ١٧١٧) مع ملوك حمير

٤٢ ﴿ ناجية ﴾ هم بنو ناجية بن عِقَال قوم الفرزدق ينتهي نسبهم الى تميم. ولنا على نصرانيتهم في الجاهليّة شاهد باهر في ما رواه الطبري في تاريخ سنة ٣٨ (ج ١ ص ٣٤٣٤ — ٣٤٣٥) حيث حدَّث عن ابن الطُّفيل ما حرفهُ :

« قال كنتُ في الجيش الذي بعثهم عليٌّ بن ابي طالب الى بني ناجية فقال: فانتهينا اليهم فوجدناهم على ثلث فرَق فقال اميرنا لفرقة منهم: ما انتم. قالوا: نحنُ قومٌ نصارى لم نَرَ دينًا افضل من ديننا فثبتنا عليهِ. فقال لهم: اعتزلوا. وقال للفرقة الأخرى: ما انتم. قالوا. كنّا نصارى فاسلمنا فثبتنا على اسلامنا فقال لهم: اعتزلوا. ثم قالوا للفرقة الاخرى الثالثة: ما انتم. قالوا: نحن قوم كنا نصارى فاسلمنا فلم نَرَ دينًا هو افضل من ديننا الاوّل فقال لهم: أسلموا. فابوا فقال لاصحابهِ اذا مسحتُ راسي ثلاث مرات فشدّوا عليهم فاقتلوا المقاتلة واسبوا الذرّيّة فجيءَ بالذرّية الى عليّ فجاء مصقلة بن هُبيرة فاشتراهم بمائتي الف فجاء بمائة الف فلم يقبلها عليّ فانطلق بالدراهم وعمد اليهم مصقلة فاعتقهم ولحق بمعاوية فقيل لعليّ: ألا تأخذ الذرّيّة. فقال: لا. فلم يعرِض لهم

٤٣ ﴿ النبط ﴾ سواء عُدَّ النبط من العرب او من عنصر آخر لا شكّ انهم اختلطوا بالعرب في انحاء شتى من بادية الشام وارياف العراق وتخوم مصر . . وتديُّنهم بالنصرانيّة قديم تشهد عليهِ عدَّة شواهد لكتبة السريان واليونان والعرب

١) اطلب Land: *Anecdota Syrirca*, I, 47) ٢) ܡܥܕܝܐ Smith: *Thesaurus Syr. s. v.*

رويناها في الفصل الاوَّل الباب الثالث. وقد صرَّح بذلك قزما الرحَّالة الهندي في القرن السادس للمسيح وغيره كثيرون. وكان لهم كنائس يطيفون بها في مناسكهم واليها اشار متمم النويري يصف ناقتهُ :

بجَسْرةٍ عنسٍ كأنّ سَراتَها فدَنٌ تُطيف بهِ النبيط مرفَّعُ

٤٤ ﴿ النَّخَع ﴾ بطن من مذحج السابق ذكرهم. كانوا نصارى يسكنون نواحي نجران. ومنهم كان بنو عبد المدان بن عُلة بن سعد العشيرة وهو مذحج من سادة اليمن. وكان زُرارة النخعي من اشرافهم وفرسانهم. قال ابن سعد في الوفادات (ed. Wellhausen, *Skizzen*, IV, ٦٩): «هو زرارة بن قيس بن الحرث بن عدَّاء وكان نصرانياً» وجاء مثل ذلك في أُسد الغابة لابن الاثير (ج ٢ ص ٢٠٢)

٤٥ ﴿ النمر بن قاسط ﴾ حي من ربيعة نزلوا في الجزيرة مع بني تغلب وبني بكر. وقد سبق في ذكر تاريخ عرب الجزيرة أنَّهم دانوا كلهم بالنصرانيَّة وفي المعارف لابن قتيبة « ان تنوخ ونمر وكلب ثلاثتهم اخوة ». وفي فتوح البلدان للبلاذري (ص ٢٤٧) انَّ بني النمر بن قاسط حاربوا خالد بن الوليد في عين تمر مع تغلب واياد والقبائل العربيَّة المتنصرة. وكانوا سنة ١١ للهجرة حاربوا المسلمين في البحرين مع شيبان وتغلب (الطبري ج ١ ص ١٩٧٣)

٤٦ ﴿ يشكُر ﴾ فرع من بني بكر كانوا يدينون بالنصرانيَّة كاخوتهم من بكر. وكانوا من جملة العرب الذين حاربوا العجم يوم ذي قار وكانوا محالفين للخميين ويحاربون معهم وكفى بذلك دليلاً على دينهم

هذا ما امكنَّا جمعهُ من آثار النصرانيَّة في قبائل العرب ولو سمح لنا الوقت بمراجعة كثير ممَّا لدينا من المطبوعات والمخطوطات لوجدنا ادلَّة غير التي ذكرنا. ولا بُدَّ هنا من تنبيه القرَّاء الى امر مهمّ وهو ان قدماء الكتبة ما كانوا غالباً ليكترثوا بذكر اديان قبائل العرب لاسيا قبل الاسلام فيطلقون عليهم اسم الجاهليَّة او اسم المشركين دون الافراز بين النصارى وغيرهم. وكانوا لا يرون في نصرانيتهم امرًا غريباً على خلاف اليهود فانهم اذا ذكروا قبيلة يهوديَّة عرَّفوا دينها سواء ارادوا بذلك تعييرها او قصدوا بيان اصلها الاجنبي

(تمَّ الجزء الاول. ويليهِ الجزء الثاني في الآداب النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة)

افادات واصلاحات

(ص ٨ س ٥—١٢) وممن فنّدوا رأي رينان في التوحيد الغريزي بين قدماء العرب المستشرق الشهير يوسف هالوي (Joseph Halévy) في مقالاتهِ عن الكتابات المكتشفة حديثاً في بلاد العرب (١ بهمّة الرحالين اليها كالانكليزي دوغتي (Doughty) والقنصل الفرنسوي هوبر (Huber) والاستاذ اوتنغ (Euting) وكذلك العلّامة الاثري فيليب برجه (Ph. Berger) في كرّاستهِ عن كتابات تيماء (Inscriptions de Teimâ) ويتضح من هذه الاكتشافات ان عبادة الاصنام كانت شائعة في جزيرة العرب ومنظمة فلها هياكل وكهنة وذبائح وآلهة متعدّدون خلافاً لما زعم رينان رغبةً في معاداة الوحي

(ص ١٠ س ٢١ وهذا بعض قول اسحاق الانطاكي ed. Bickell, I. 244-246) في الزُّهرة وعبادتها عند العرب ثم عدولهم الى دين المسيح

ܠܗܿܝ ܟܘܟܒܬܐ ܕܒܢ̈ܝ ܗܓܪ	ܡܬܩܪܒܐ ܕܟ̈ܠܝ ܗܘܢ
ܘܫܪ̈ܒܬܗܘܢ ܐܡܪ ܥܠ ܢܫ̈ܝܗ	ܐܠܐ ܕܫܦܝܪ ܘܐܬܐ ܕܡܫܝ̈ܚܝ
ܘܕܒܚ ܕܐܦܝܢ ܠܟܘܟܒܬܐ	ܥܠ ܡܠܟܬܐ ܕܐܘܡܢܘܬܐ
ܕܢ̈ܫܝܗ ܠܗ ܠܗܿܝ ܟܘܟܒܬܐ	ܕܡܫܟܢܐ ܡܢܝܚܐ ܦܬܟܪܗ
ܠܒ̈ܪܐ ܠܫܢܐ ܐܬܟܠܒܘ	ܘܟܢܘܫܬܐ ܠܫܡܫܐ
ܘܢ̈ܫܐ ܕܦ̈ܪܝ ܥܡܗ ܡܫܘܚܐ	ܟܟܘܟܒܬܐ ܫܠܡܘܗ ܠܡܫܝܚܐ

ܫܒ̈ܩܘܗ ܡܢ ܟܘܟܒܬܐ

« لهذا الكوكب (اي الزهرة) كانت قبائل ابناء هاجر (العرب) تقدّم الذبائح (لتنال نساؤهم موهبة الحسن والجمال) لكنَّ نساءهم كبقية النساء فمنهنَّ جميلات ومنهنَّ قبيحات . ومنذ اقبلت النساء العربيّات على (عبادة) شمس البرّ (اي المسيح) فانهنَّ جحدن (عبادة) ذاك الكوكب (الزهرة) الذي عبدنَهُ باطلًا . فانَّ اولئك الافراء (اي العرب) حنوا رؤوسهم للنير واناثهم (خضعن) للتأديب . والنساءُ اللواتي تربّين في المقدس (اي البيعة) ابدلن (عبادة) الزهرة بعبادة المسيح واختلطن معنا بصلاتهنَّ »

(ص ١٢ س ١١) في تاريخ الجاهلية لابي الفداء (Fleischer : *Abulfedæ Hist. anteislamica*, p. 180) ١٠ حرفةً عن اصنام العرب قال :

---

١) اطلب مقالاتهِ المعنونة (Découvertes épigraphiques en Arabie) نشرها في مجلة الدروس اليهودية (Revue des Etudes Juives, IX, 1884, p. 1 et 164)

« وصفٌ (من العرب) عبدوا الاصنام وكانت اصنامهم مختصة بالقبائل فكان ودّ لكلب وهو بدومة الجندل وسواع لهذيل ويغوث لمذحج ولقب ثل من اليمن ونسر لذي الكلاع بارض حمير ويعوق لهمدان (لحمْدان) والـلات لثقيف بالطائف والعزّى لقريش وبني كنانة ومناة للاوس والخزرج وهُبَل اعظم اصنامهم وكان هُبَـل على ظهر الكعبة وكان اساف ونائلة على الصفا والمروة »

(ص ١٤ س ١٧ ذو الخَلَصة) الرجَّح ان ذا الخَلَصة لم يكن صنماً بل بيتاً او بالحري بيعةً نصرانيَّة لقبائل اليمن . قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٤٦١) :

« الخلَصة بيت اصنام لدوس وخثعم وبجيلة . . . وقيل هو الكعبة اليمانيَّة التي بناها ابرهة بن الصبَّاح الحميري . . . وقيل كان ذو الخلصة يسمَّى الكعبة اليمانيَّة وبيت الحرم الكعبة الشاميَّة »

وقد ذكر ياقوت الكعبة اليمانيَّة في محلّ آخر (٢ : ٧٠٣) ودعاها بديرِ نجران وعليهِ يجب القول ان القبائل التي كانت تحجُّ اليها اعني خثعم وبجيلة ودوس كانت نصرانيَّة

(ص ١٦ س ٢ الذبائح) جاء في شرح المفضليات لابن الانبـاري (ed. Lyall, p. 228-229) في قول سلامة بن جندل « كأنَّ اعناقَها انصابُ ترجيب » انَّ العرب « كانوا يذبحون في رجب »

(ص ٣٠ س ١٢ نصرانية غسّان) يضاف الى مـا ورد هنالك لليعقوبي قولهُ (ج ١ ص٢٣٣) بعد ذكرِهِ لتنصر بني سليح في الشام : « وتنصرت غسَّان مملَّكةً من قبل صاحب الروم » وجعل تنصُّرها على عهد « جَفنة بن عليَّة (ثعلبة) بن عمرو بن عامر » . وكذلك الفيروزابادي في مقدَّمة قاموسهِ : « انَّ كثيراً من ملوك الحيرة واليمن تنصَّروا وامَّا ملوك غسَّان فكانوا كلهم نصارى » وقد افادنا ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ٢٧١) عن اخبار غسان بعد الاسلام ما حرفهُ : قال :

« وقامت غسان بعد منصرفها من الشام بارض القسطنطينية حتى انقرض ملك القياصرة فتجهَّزوا الى جبل شركس وهو ما بين بحر طبرستان وبحر نيطش الذي يمدّه خليج القسطنطينية وفي هذا الجبل باب الابواب وفيـهِ من شعوب الترك المتنصرة والتركس واركس واللاص وكسا ومعهم اخلاط من الفرس واليونان »

(— س ٢٢) أصلِح : كتاب التنبيه والاشراف (بالفاء)

(ص ٣٣ س ١١ — ١٢ تنصر القيصر فيلبس العربي) قـال اوروزيوس (اوروشيوس) المؤرخ الاسباني في القرن الخامس للميلاد عن فيلبس العربيّ « ان فيلبس سبق كلّ الأمبراطرة (القياصرة) في دينهِ بالنصرانية Hic (Philippus-

Arabs) primus Imperatorum omnium Christianus fuit- (*Paul-Orose, Hist.*VII, c. 20)

(ص ٣٥ س ١٩–٢٥ ماوية) جاء في تاريخ سوزمان (Sozomène, H. E., V, c. 1) انّ الروم لمّا ساروا لمحاربة الغوطيين الزاحفين على القسطنطينية استعانوا بفرقة من العرب الخاضعين لماوية

(ص ٣٦ س ١٦ نفي الشهداء في بلاد العرب) قال تاودوريطس المؤرخ في القرن الخامس عن ڤالنس القيصر الروماني « انهُ نفى كثيرين من المعترفين بالايمان في الرها الى حدود العرب « Qui (Valens) multos confessarios fidei Edessenos in finibus Arabiæ dispergi jussit (*Theodoret*, H.E. IV. 18)

(ص ٣٧ س ٥) اصلح: غسان . . . وحوران — س ٢٣ : Dussaud

(— س ١٣ اساقفة العرب) وقد ذكر القديس ابيفانيوس في القرن الرابع (Epiphanius : *Anaceph.* n° 12) اساقفةً اقيموا على قُرى العرب (μητροκωμίαι 'Αραβίας)

(ص ٣٩ س ١٧) اصلح: judéo-chrétiens

(٤٠ س ٣ البلقاء) ومن مدن البلقاء عمَّان . وفي وفادات العرب لابن سعد (ed. Wellhausen, 20) انَّ فروة بن عمرو الجذاميّ كان عاملاً على عمّان من ارض البلقاء وكان نصرانيًّا فاسلم عند ظهور الاسلام فغضب عليهِ هرقل وقتلهُ صلباً

(ص ٤٥ س ١٣ و ٢٦ اضطهاد دقيوس) اخبر اوسابيوس في تاريخهِ (Eusèbe, H. E., VI, c. 39) « انَّ كثيرين من النصارى هربوا الى بلاد العرب لمَّا ثار اضطهاد القيصر دقيوس »

(ص ٥٣ س ١٤) أصلح: يُنسب اليهم

(ص ٥٤ س ١٦ الفيلسوف النصراني بنتانوس في بلاد العرب) راجع في مجلة الكليَّة الكاثوليكيَّة (Université Catholique, 1853 XXXV, p. 329) للمستشرق البلجكيّ نيڤ (F. Nève) مقالة مسهبة يثبت فيها انَّ الهند المذكورة في تاريخ بنتانوس انَّما هي اليمن ليس الَّا قال :

« Quand nous lisons (dans Eusèbe) que Démétrius archevêque d'Alexandrie donna en 189 à S. Pantène la mission d'annoncer l'Evangile dans les Indes, nous ne pouvous entendre par ce terme que l'Arabie Heureuse ».Cfr. aussi *Annales de Philosophie, 3e série*, t. XIII, XIV (p. 7) et XV »

(ص ٥٦ س ٧-٨ . الرحمان) اسم الرحمان ورد مرارًا في الكتابات الحميريَّة المكتشفة حديثاً ولاسيا في الكتابات النصرانيَّة اطلب مجلة الاسيويَّة الالمانيَّة (Fell : *Sudarab. Studien*, ZDMG, 1900, LIV, p. 252)

(ص ٦٠ س ١٠ . شهداء نجران) راجع في المجلة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG XXXV, 1881, 1-75) مقالة مطوَّلة في الآثار العربية والسريانيَّة والحبشيَّة المتوطة باخبار اولئك الشهداء للعلّامة الالماني فال (Fell : *Die Christenserfolgung in Südarabien*)

(ص ٦٢ س ١٥) اصلح : J. Halévy

(— س ٢٤ . سدّ مأرب) في رواية كتبة العرب عن هذا السدّ اشارة الى نبيّ دعا اهل اليمن الى التوحيد فابوا الاصغاء اليهِ فعاقبهم الله بانفجار هذا السدّ . فنجد في خبرهم عينهِ مع ما فيهِ من المزاعم الباطلة اشـارة الى الدعوة النصرانيَّة لدى ذكرهم ذلك النبي الذي دعاهم الى الله فقتلوهُ وهو على رأينا احد دعاة النصرانية وشهدائها في اليمن . دونك شيئاً من روايتهم نقلًا عن كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته (ed. de Goeje, p. 114) :

« كان اهلها (اي اهل سبأ) . . . اغنياء صحب صمت ومواشي فلم يكونوا يرون لاحد على انفسهم طاعةً الّا لمن قد ملّكوه على انفسهم وانقادوا لرئاستهِ وكان لهم اوثان يعبدونها فبعث الله عزَّ وجلَّ اليهم نبيّاً اقام فيهم زماناً يدعوهم الى انهُ فكذبوه فاوعدهم وخوَّفهم وحثّهم على شكر الله على ما انعم عليهم فلم يلتفتوا الى قولهِ واستهانوا بهِ وقالوا : آتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين وذبحوه ذبحاً . . . . فانبثق ذلك السدّ واتى على اهل هاتين المدينتين (يريد سبأ المقسمة الى مدينتين عظيمتين) . . . . . فلمّا حلَّ بهم هـذا الحدث آمنوا بالله وسألوه العفو واانابوا وخضعوا فقبل الله تعالى ذلك منهم وقوَّاهم وجمع كلمتهم وأيّد امرهم . . . »

(ص ٦٤ س ١١-١٢ . كنيسة صنعاء) قرأنا في احد مخطوطات باريس (de Slane, Mss. Arab. *Paris*, Ms 701 ff. 71) عنوانهُ « تاريخ صنعاء اليمن لاحمد الرازي » كتبهُ سنة ٣٩٠ (١٠٠٠ م) ما حرفهُ :

« حدَّث غسَّان بن ابي عبيد قال دخل عيسى بن مريم صلَّى الله عليه في موضع الكنيسة (يريد في صنعاء !) فاتخذ النصارى الكنيسة بصنعاء على اثر مصلَّاهُ. وهذه الكنيسة في وقتنا خربة وهي اسفل زقاق النصبين في صنعاء في الجانب الغربي محاذية لبيعة اليهود التي هي اليوم باقية بصنعاء. وقد بقي من هذه الكنيسة ضبر شبه اسطوان على حرف الطريق الى سوق العطارين والى درب دمشق. وقد ادركتُ عقوداً كثيرة كانت باقية الى سنة ٣٩٠ »

(ص ٦٨ س ١٤. حضرموت) روى الطبري في تاريخهِ (ج ١ ص ١٨٥٢ —١٨٥٦ و ٢٠٠٥ — ٢٠٠٧) ان قسماً من قبيلتي السكون والسكاسك النصرانيتين كانوا يسكنون في حضرموت

(ص ٦٩ س ٨. النصرانية في سُقُطرى) وممن اثبتوا دخول النصرانية في جزيرة سقطرى المؤرخ فيلوستورج (Philostorge, P. G., LXV, p. 470-482) من كتبة القرن الرابع للمسيح. وبقيت النصرانية فيها اجيالًا طويلة بعد الاسلام. قال المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ٣ : ٣٧) : « وظهر المسيح فتنصر مَنْ فيها (اي جزيرة سقطرى) الى هذا الوقت ». وفي معجم البلدان لياقوت (٣: ١٠٢) : ان في سُقُطرى «من جميع قبائل مَهرة وبها عشرة آلاف مقاتل وهم نصارى» ثمَّ قال « واماَّ اهل عدن فانهم يقولون لم يدخلها من الروم احد ولكن كان لاهلها رهبانية ثم فنوا وسكنها مهرة وقوم من الشراة »

ومثلهما الشريف الادريسي في القرن الثاني عشر (ed. Jaubert. I. 47). وافادنا الرحَّالة مركو بولو في اواخر القرن الثالث عشر انَّ سقطرى كانت خاضعة لبطاركة الكلدان الذين كان يرسلون لها مطارنة. عُرف منهم مار دوا سنة ٨٨٠ وقرياقوس سنة ١٢٨٢ فغلبت النسطوريَّة على اهلها. ولمَّا دخلها البرتغاليون سنة ١٥٠٣ وجدوا اهلها نصارى كان استولى على جزيرتهم حديثاً عرب اليمن سنة ١٤٨٠ فحاربوهم سنة ١٥٠٧ وضبطوا جزيرتهم مدَّة

(— س ٢١. القديس فرنسيس كسفاريوس) لم ينسَ القديس كسفاريوس جزيرة سقطرى بعد رحلتهِ الى الهند بل ارسل اليها مرسلين يسوعيين بلغ عددهم سنة ١٥٤٩ اربعةً وتبعهم غيرهم من المرسلين سنة ١٥٦٢. الَّا ان غزوات العرب المتوالية لم تعد تسمح لهم بالسكنى هناك (راجع مقالة مطوَّلة للكاتب الفرنسويّ رومانه دي كليو (F. Romanet de Caillaud) في مجلَّة الارض المقدَّسة (La Terre

Sainte. 1889, pp. 174 et 187) وترجمة حياة القديس فرنسيس كسفاريوس الجديدة للاب برو (A. Brou: *St. François Xavier*. I. 120)

(ص ٧٠ س ١١ البحرين) ومن المحدثين الــذين اشاروا الى تنصُّر عربْ البحرين قبل الاسلام الرحّالة بالغراف (Palgrave) في سفرهِ الى اواسط جزيرة العرب (ج٢ ص ٢٠٢) . راجع ايضاً ما نقلناه عن ياقوت (٣ : ٨٧٣ — ٨٧٤) في ذكر فَرَسان (ص ١٣٧)

(ص ٧٧ س١٢ — ١٥ . تنصر امرئ القيس البدء) وقد سبق الطبريَّ ابنَ خلدون في رواية تنصر امرئ القيس حيث قال في تاريخهِ (ج ١ ص ٨٣٤—٨٣٥) :

« وكان من عمّال سابور بن ازدشير وهرمز بن سابور وبهرام بن سابور بعد مهلك عمرو ابن عدي على فَرْج العرب من ربيعة ومضر وسائر من بادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ ابنٌ لعمرو بن عدي يقال لهُ امرؤ القيس البدء وهو اوّل من تنصر من ملوك آل نصر بن ربيعة وعمّال ملوك الفرس »

وفي مروج الذهب للمسعودي (٣ : ١٩٩) انَّ امّ امرئ القيس البدء كانت غسّانية اسمها مارية اخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسّان

(ص ٧٨ س ٢٢—٢٣ . النعمان ابن شقيقة) نقل ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ٢٧١) عن البيهقي ان النعمان ابن الشقيقة « هو اوّل من تنصر » وقد رأيت سابقاً ان امرء القيس البدء هو اوّل ملوك المناذرة المتنصرين قبل ذلك بزمن طويل

(ص ٨٩ س ١٥—١٦ . تنصّر المنذر بن امرئ القيس المعروف بابن ماء السماء) يزاد الى ما روينا ما قالهُ ابو الفداء في تقويم البلدان (ed. Reinaud, p. 299) : « كانت الحيرة منازل آل النعمان بن المنذر وبها تنصّر المنذر بن امرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمــة » . ومن الحيرة كان احد كبار السيّاح المعروف بمار يوحنّان الذي تنسّك في جبل الإزْل في (Chabot : *Le livre de la Chasteté.*, p. 28) دير معرّتا . قال مؤلف كتاب العفاف السرياني (ܟܬܒܐ ܕܢܟܦܘܬܐ) انهُ « كان من الحيرة عربيّ الاصل من اسرة شريفة وبعد ان درس في مدرسة نصيبين ترهّب في دير معرتا وكرّمهُ الله بعمل المعجزات »

(ص ٩٠ س ١٠—٢٠) هذا الخبر المرويّ عن المنذر رواه المؤرخ اللاتيني وكتور التوني (Victor Tununensis, †556) المتوفى سنة ٥٥٦ م في تاريخ سنة ٥١٢ بما حرفهُ :

« Alamundarus Saracenorum rex a defensoribus Synodi Chalcedonensis baptizatus, Theopaschitas episcopos a Severo Antiochensi episcopo ad se cum litteris missos, barbaram mirabiliter propositionem concludens atque superans. Deum immortalem ostendit » (*Migne* P. L., LXVIII, p. 95)

(ص ٩٢ س ٣ . تنصر النعمان بن المنذر) زعم عمرو بن متى (ed. Gismondi, p. ٤٨) وسليمان بن ماري (Id. p, ٥٦) ان النعمان بن المنذر مرض مرضاً شديداً فشفاه الاسقفان النسطوريان شمعون اسقف الحيرة وسبريشوع اسقف لاشوم مع الراهب ايشوع زخا . وانهُ اعتمد من بعدهِ ولداه المنذر والحسن قال: « وكان الحسن اشدّهم تمسكا بالنصرانية وكان لا يمنع تقدُّم المساكين اليهِ اذا دخل البيعة »

(ص ١٠٢ س ٢٣) اصلح : « بل في القرى ايضاً تعددت . . . الكراسي الاسقفية ليس في المدن فقط »

(ص ١٠٦ س ١٧) اصلح : الباب العاشر

(ص ١١٢ س ٥ . النصرانية في المدينة) ومن الآثار المثبتة بوجود النصرانية في المدينة دير كان على جبل قريب من المدينة يدعى بسَلْع فنُسب اليه دير سَلْع وقد ذكرهُ الطبري في تاريخهِ وكان هذا الدير صار بعد ذلك في ايدي اليهود فجعلوه مقبرة وفيه دُفن الخليفة عثمان بعد قتلهِ (راجع الطبري ج ١ ص ٣٠٤٧)

(ص ١١٤ س ٢١ . ابو عامر الراهب) هو ابو عامر عبد عمرو بن صيفي بن زيد بن امية من بني عمرو بن عوف ذكره ابن الاثير في اسد الغابة (٤ : ٤٨٨) وذكر في تاج العروس (٤ : ١٧٣) له ابنةً تدعى شموساً

(ص ١١٩ س ٥ . الحنيف بمعنى النصراني) جاء في العقد الفريد لابن عبد ربّهِ في وصف يوم الغبيط (٣ : ٨٨) « انَّ عتيبة قال لبسطام بن قيس سيد بني بكر: استأسر لي . . . فناداه بسطام : ان كررتَ فانا حنيف . وكان بسطام نصرانياً »

(ص ١٢٥ س ٧ . بهراء) شهد على نصرانيتهـا ايضاً ابن حوقل في المسالك والممالك (ص ٨٠) قال « انَّ بعضهم (اي بعض العرب) تنصر ودان بدين النصرانية مثل تغلب من ربيعة بارض الجزيرة وغسّان وبهراء وتنوخ من اليمن بارض الشام »

(ص ١٢٦ س ٢٤ — ٢٥) محمد بن حمران كان من نصارى مذحج وكان معاصرًا لامرئ القيس وهو الذي سمّاه امرؤ القيس بالشويعر . امّا محمد بن خزاعي ف

فكان من بني ذكوان بطن من سُلَيم قدم على ابرهة ملك اليمن فتنصر ومات على دينهِ (Sprenger : *Mohammad*, I, 161)

(ص ١٢٨ س ١٤–١٩) وصية الحرث بن كعب) قد وجدنا هذه الوصية في كتب أُخرى منها خطية ومنها مطبوعة كما رويناها . ثم وقفنا على رواية مختلفة اثبتها العلامة غولتسير (Goldziehr) في كتابهِ (Abhandl. z. arab. Philologie, XLIII) وفيها يقول الحارث « انهُ على دين شُعيب » وروايتنا هي الاصحّ كما يلوح من القرائن . وقد روى ايضاً غولتسير « أُسيَد بن خزيمة » بدلًا من « اسد »

(ص ١٢٩ س١٥) ومن المحدثين الذين صرَّحوا بنصرانية بني حنيفة ارنلد (Arnold Mulheisen : *Islam and its Relations to* X^{ty}, p. 34) وكذلك حضرة الاب لامنس في كتابهِ عن معاوية (ص ٤٣١)

(ص ١٣٠ س ٠٣ . خثعم) قد ذهلنا عن ذكر نصرانية قبيلة خثعم . وقد شهد على الامر ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٧٠٣) حيث قال عن دير نجران في اليمن وهو المسمَّى كعبة نجران او الكعبة اليمانية (راجع صفحة ١٤٣) :

« وكان بنو عبد المدان بنوهُ مربَّعًا مستوي الاضلاع والاقطار مرتفعًا عن الارض يُصعد اليهِ بدرجة على مثال بناء الكعبة فكانوا يحجونهُ هم وطوائف من العرب ممن يحلّ الاشهر الحرم ولا يحجّ الكعبة ويحجهُ خثعم قاطبة »

فبقوله انَّ بني خثعم كانوا يحجون دير نجران اوضح بنوع صريح نصرانيتهم . وبنو خثعم كانوا ينتسبون الى خثعم بن انمار بن نزار بن معد بن عدنان . وكانوا يسكنون في البحرين وفي اليمن مع عبد القيس وبجيلة وحاربوا سابور ملك الفرس مع اياد (C. de Perceval : *Hist. des Arabes*, II, 48-49)

(ص ١٣٢ س ١٣) والى طيّ يُنسب دير سِلسلة الذي كان في جهات الكوفة قبل الاسلام وهو سلسلة بن غنم بطن من طيّ (اطلب تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٤٠٣) وهناك كان دير حُرقة ودير ام عمرو

plus généraux comprennent sans distinction les Arabes nomades ou sédentaires ; d'autres spécifient telle ou telle région de l'Arabie, tel ou tel royaume, tribu ou clan.

Des monuments épigraphiques sont venus, ces dernières années, s'ajouter à des publications de premier ordre, pour corroborer ces témoignages historiques et fixer l'attention des savants sur un problème trop négligé jusqu'ici.

Sans doute, le Christianisme des Arabes a subi, plus qu'ailleurs, l'influence des sectes hérétiques qui pullulaient dans toute la Péninsule, grâce à la liberté sans frein dont elles jouissaient loin de tout contrôle ; mais il est certain aussi que cette religion y a joué un rôle considérable ; qu'elle a eu des gloires comparables à celles des autres chrétientés d'Orient, quoiqu'il lui ait manqué un écrivain attitré pour les conserver à la postérité. En tout cas, on doit affirmer avec des Orientalistes bien informés, comme Wellhausen, que le Prophète de l'Islam n'aurait jamais implanté son Monothéisme, s'il n'avait trouvé le terrain préparé par le Christianisme et le Judaïsme.

A la suite de la partie historique dont nous parlons, nous avons donné une longue liste de tribus arabes dont le Christianisme est attesté par des preuves authentiques. Elles sont une cinquantaine : nous les avons énumérées par ordre alphabétique.

Dans la seconde partie de notre travail, nous nous proposons de traiter un sujet encore plus neuf : la Littérature chrétienne préislamique.

Beyrouth, 2 Novembre 1912.

PRÉFACE

Il y a 25 ans, paraissaient à notre Imprimerie Catholique les six premiers fascicules de notre ouvrage « Les Poètes arabes chrétiens ». Ce travail, rédigé à la hâte au moment où des occupations plus pressantes devaient détourner ailleurs notre attention, resta inachevé. L'ouvrage devait être précédé d'une longue Introduction sur le Christianisme en Arabie et sur l'influence qu'il a exercée sur la Littérature préislamique. Tout fut remis à plus tard.

Ce n'est que l'année dernière que nous avons pu donner suite en partie à notre projet dans une série d'articles parus dans notre revue *Al-Machriq*. C'est ce travail, tiré à part et complété, que nous offrons au public. Il comprend la première partie de notre thèse, c'est-à-dire l'histoire du Christianisme en Arabie et dans chacune des provinces qui composent la Péninsule, durant les six premiers siècles de l'ère chrétienne, en commençant par une vue générale sur le paganisme des anciens Arabes.

En dix chapitres assez étendus, nous donnons tous les témoignages, qu'on trouve éparpillés dans une multitude d'auteurs grecs, latins, syriaques et surtout arabes, sur l'extension du Christianisme en Arabie. Ce recueil est le fruit de longues lectures d'ouvrages spéciaux, imprimés ou manuscrits, que nous avons compulsés dans les grandes bibliothèques d'Europe ou d'Orient. On verra que notre thèse est bien appuyée et que la religion chrétienne — orthodoxe ou non, ce n'est pas le lieu de l'examiner — était connue et pratiquée, même dans les parties reculées de l'Arabie. Ces témoignages sont explicites et s'échelonnent, presque sans interruption, durant les siècles qui précèdent l'Islam ; les uns

LE CHRISTIANISME

ET LA LITTÉRATURE CHRÉTIENNE

EN ARABIE AVANT L'ISLAM

PAR

le P. Louis Cheikho s. j.

1re Partie

L'Histoire du Christianisme

DANS L'ARABIE PRÉISLAMIQUE

BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1912